

المعالم الفكرية السياسية والفقهية والإجتماعية

عند المرجع الديني آية الله العظمي
الشيخ محمد اليعقوبي

تأليف
الشيخ قيس الطائي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات أو أفكار يتبناها مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة وإن كانت تقع في دائرة اهتماماته وأولوياته..



الطبعة الأولى
١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م



من أهداف مركز عيّن:

مركز "عين" للدراسات الفكرية المعاصرة،
يعنى بتفاعلات الواقع الإسلامي، ويحاول أن
يؤصل للحلول والمقترحات تجاه مشكلات
الإنسان المعاصر..

كما وينطلق من رؤية راسخة بقابلية
الحضارة الإسلامية على قيادة الحياة وتقديم
نموذج يتناسب مع احتياجات العصر من غير
أن ينقطع عن أصوله ومنطلقاته وثوابته..

يسعى المركز ضمن برامج بحثية وهموم
ثقافية ودورات لكتابة البحوث وتصديرها،
لتعزيز الوعي الاجتماعي بقضايا الثقافة
والأفكار ومناقشة مطاريح التخلف والتسيد
لقيم غير أصيلة في المجتمع..

ليس من أهداف المركز أو مطاريحه الاعتناء
بالتبشير الطائفي، ويؤمن أن ما يحدث اليوم
هو طائفية سياسية تسعى لتجيير كل الدين
والإنسان في أتون معركة مصالح دنيئة.. ولا
نمانع من دراسات تنطلق من التسامح في
التعايش والإيمان بمشتركات الإنسان دون
إلغاء الآخر مع الاحتفاظ بالرصانة العلمية
وشروطها..

كما يؤمن المركز أن الحلول الإسلامية تنطلق
من جذورها المناسبة، ولهذا فهي تحاول
التأسيس من منطلقات إسلامية خالصة، بعيداً
عن كل التحيزات المحيطة..



مقدمة من الدكتور عبد الوهاب الفراتي

على الرغم من أن آية الله الشيخ محمد يعقوبي لديه العديد من النصوص حول القضايا السياسية والاجتماعية، إلا أن هناك قليل من الأعمال التي كتبت وقدمت لأهل العلم في هذا المجال. قبل سنوات قليلة قرأت كتاب (الأطروحات الفكرية والسياسة لمحمد موسى يعقوبي) سررت بعمل مستقل عن أفكار سماحة المرجع وسدّ الثغرة الموجودة.

سعى الكاتب في هذا العمل إلى دراسة مفهوم السلطة والدولة من منظور آية الله يعقوبي والتفت إلى ردوده الجديدة على الديمقراطية وحقوق المواطنة، بما في ذلك الحريات المدنية. ومع ذلك، لا يزال هذا العمل لا يقدم سرداً شاملاً لأفكار آية الله يعقوبي.

وقد تحققت هذه الأمنية عندما قرأت كتاب "المعالم الفكرية السياسية والفقهية والاجتماعية" للشيخ قيس الطائي قبل النشر. ففي هذا العمل، توجه الكاتب الي كل ما كان له دور في شرح وتبيين الأفكار السياسية لسماحته واتخذ خطوة كبيرة في فهم هذه الفكرة ووفر ارضية مناسبة للدراسات والبحوث القادمة. على الرغم من أن دراسة الموضوعات المطروحة في هذا العمل مختصرة، إلا أنها يمكن أن توفر مقدمة معمقة لكثير من البحث، ويعرّف الآخرين على النظام الفكري والمعرفي السياسي لآية الله يعقوبي.

مما لا شك فيه أنه يبدو من الصعب جدا التعامل مع فكر عالم وهو حي، لأنه دائما يفكر وعنده نشاط سياسي، ولكن قرب الشيخ الطائي الفكري من آية الله يعقوبي من جهة، وإتقانه للأصول والأسس الفقهية

والسياسية لسماحته من جهة أخرى، مكنته من التغلب على هذه المشكلة وبالتالي وفرّ للآخرين طريقاً لفهم أفكاره السياسية والاجتماعية.

من أهم الأسئلة في الدراسات السياسية اليوم، هو كيفية فهم الأفكار السياسية لمفكر، ثم تبيينها وعرضها علي الآخرين؟ للإجابة على هذا السؤال، هناك اتجاهات مختلفة حظيت بالاهتمام الكبير في كتب منهجية البحث في العلوم السياسية.

من منهجية اسكينر إلى نظرية الأزمة التي كتبها توماس سبرينكر (Thomas A. Spragens)، فهي من جملة الأساليب التي تسعى إلى تحقيق هذه الغاية. في هذا الكتاب، سعي الشيخ الطائي، دون التحدّث والإشارة المباشرة عن الأساليب المذكورة، بتحليل الأفكار الاجتماعية والسياسية لآية الله اليقوي في المجالات الثقافية والسياسية في العراق، ومن هذا المنطلق اقترب من هذه المناهج.

في الواقع، إن الفهم المستقل لأفكار آية الله اليقوي لا يتيسر إلا من خلال فهم ودراسة السياقات الأيدولوجية واللغوية لحوزة النجف والعراق، والشيخ الطائي مع التفاته الي هذه المسألة قام بفهم ودراسة أفكار آية الله اليقوي من خلال فهمه لهذه السياقات. ربما تكون الرؤية، بحسب الطائي، أن الفكر السياسي لآية الله اليقوي يركز على حل الأزمات التي أوجدها مثل هذه السياقات التاريخية في العراق. وهذا يدل على أن الفكر السياسي لآية الله اليقوي لا يوجد فقط في مدرسته ويمكن فهمها في جدلية منطقية بين النص والسياق.

من خلال مراجعة محتوى هذا العمل يظهر أن آية الله اليقوي، مثل

أستاذه الصدر الثاني (قائلاً)، يعتقد اعتقاداً جازماً بالنصب العام للفقهاء؛ وفي كتابيه «سبل السلام» و«فقه المشاركة في السلطة» قد تحدث بالتفصيل حول الفقيه وسعة ولايته وسلطته. ومن منظاره أن حكومة الفقه هي الحكومة الوحيدة التي تتمتع بالمشروعية في عصر غيبة إمام العصر (عجل الله فرجه)، وأن تكون أساس العمل السياسي للمؤمنين، إلا أنه بخلاف الكثير من أقرانه في الحوزة العلمية في النجف، يعرف جيداً أن تشكيل مثل هذه الحكومة في بلد مثل العراق، الذي يعاني من تنوع عرقي وديني، يواجه العديد من المشاكل، ويجب على الفقيه البحث عن نماذج أخرى من الحكومة الشرعية من أجل احترام الوحدة واستقلال العراق، وايضا يحفظ بها شريعة محمد (صلى الله عليه وآله).

بالإضافة إلى ذلك، يدرك آية الله العقبوي جيداً أن نسيج السلطة قد تغير في العصر الجديد وأن الناس قد وجدوا دوراً كبيراً في السلطة. فالناس في مثل هذه الحكومات ليسوا رعايا بل هم المالك الرئيسي للسلطة. لكن كيف يُنظر إلى هذا النسيج الجديد للسلطة في الفكر الديني وما هو التقييم الفقهي لمثل هذه الحكومة؟ ومدى التفاعل الإيجابي للفقه الإسلامي مع نتائج هذه الحكومات الحديثة؟ هناك العديد من الأسئلة التي توجه إليها وقام بتبيينها آية الله العقبوي في العديد من كتبه. التوجه الذي قليل ما نراه في المؤلفات الفقهية لكثير من العلماء في النجف. وهذا يدل على أن الفكر السياسي الشيعي قد دخل مرحلة جديدة من ولادته، ويحاول نشر الدين في الحضارة الجديدة والدفاع عن موقفه الايماني تجاه الحياة السياسية.

في الواقع، ينتمي آية الله العقبوي إلى جيل من المجتهدين في النجف

الذين توصلوا إلى فهم أكثر واقعية للعالم الجديد ويمكن أن يكونوا حلقة وصل بين العالم القديم والجديد. ولد اليقوي في سبتمبر ١٩٦٠م في عائلة شهيرة بالتدين والبلاغة والشعر. أكمل دراسته الجامعية في بغداد وتخرج في كلية الهندسة المدنية في جامعة بغداد عام ١٩٨٢م بدرجة الماجستير في الهندسة المدنية. في ذلك الوقت كانت الحرب العراقية الإيرانية مستعرة، لكنه لم يخدم في الجيش واختبأ في داره ودرس الكتب الإسلامية في مكتبة والده الثرية.

في عام ١٩٨٥م، قام بالمراسلة السرية مع الشهيد الصدر ثاني، مما نتج منها عدة كتب بقلم الشيخ محمد اليقوي في مواضيع الفكر الإسلامي والأخلاق وتنقية الذات، بعنوان: (الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه) و (قناديل العارفين). وكتابين للشهيد الصدر (ما وراء الفقه) و (نظرة في فلسفة الأحداث في عالم المعاصر). وعاد اليقوي إلى النجف الأشرف بعد الحرب الإيرانية العراقية عام ١٩٨٨م وقام بدعم مجاهدي النجف الأشرف في الإنتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م. ورغم أنه لم يوفق في الكفاح المسلح ضد المرتزقة البعثيين، لكنه استخدم قلمه ولسانه لمساعدة المقاتلين ورفع معنويات الشباب الثوري.

تم بث بعض بياناته من مكبرات الصوت في حرم الإمام علي (عليه السلام)، وفي بداية عام ١٩٩١م. ارتدي ملابس رجال الدين علي يد آية الله العظمى الخوئي (قدس سرّه). خلال هذه السنوات أصبح اليقوي أحد حوارى الصدر الثاني، استطاع أن ينال ثقة استاذة لدرجة بحيث أن الشهيد قبل استشهاده بخمسة أشهر عرف الشيخ اليقوي خلفاً له. اليقوي، الذي كان يدرس

السطوح العليا في الحوزة آنذاك، امتنع عن إعلان اجتهاده حتى شهد بعض علماء الحوزة في قم، بما فيهم آية الله الشيخ محمد علي الكرامي والشيخ محمد الصادقي الطهراني بأنه مجتهد. بدأ آية الله يعقوبي أيضاً في عام ٢٠٠٦م بتدريس بحث الخارج، وحضر من الفضلاء والأستاذة في الحوزة أكثر من سبعين نفر في بحثه. سبل السلام هو اسم رسالته العملية التي أعيد طبعها عدة مرات.

عبد الوهاب الفراتي

جمادي الأولي ١٤٤٣



المقدمة

يعود الفكر السياسي إلى العصور القديمة، في حين أن التاريخ السياسي للعالم وبالتالي تاريخ الفكر السياسي للإنسان يمتد عبر العصور الوسطى وعصر التنوير (النهضة)، حيث توسعت الكيانات السياسية من الأنظمة الأساسية للحكم الذاتي والملكية إلى الأنظمة المعقدة من الديمقراطية والشيوعية التي وُجدت في العصر الصناعي والعصر الحديث. في موازاة ذلك، توسعت النظم السياسية من الحدود ذات النوع المحدود والمُعَرَّفة بشكل مبهم، إلى الحدود الواضحة الموجودة اليوم.

الفكر السياسي الإسلامي، من المفاهيم التي ظهرت وانتشرت في القرون الوسطى ضمن الحضارة الإسلامية، حيث قامت على أساس فكري وثقافي متين وجاء هذا الفكر من المبادئ الإسلامية وشرح كيفية بناء الدولة الإسلامية، في الواقع، هذا الفكر متجذر في صميم مصادر الإسلام، أي القرآن والسنة. ولكن، يفترض الفكر الغربي عموماً أن ذلك كان مجالاً معيناً خاصاً فقط بفلاسفة الإسلام كالكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن باجة، وابن رشد، وابن خلدون. والحال تُعتبر المفاهيم السياسية للإسلام، مثل القدرة، والسلطان، والأمة، وحتى المصطلحات «الجوهرية» للقرآن، أي العبادة، والدين، والرب، والإله، أساس التحليل السياسي. وبالتالي، لم يكن الأمر خاصاً بأفكار الفلاسفة السياسيين المسلمين فحسب، بل طرح أيضاً العديد من الفقهاء والعلماء الآخرين أفكاراً ونظريات سياسية. على سبيل المثال، فإن أفكار من التاريخ الإسلامي المتعلقة بالخلافة والأمة، أو أفكار

الإسلام الشيعي حول مفهوم الإمام؛ تُعد بمثابة دليل على الفكر السياسي. الفكر السياسي والحياة السياسية من أهم معالم المعارف الاجتماعية الإسلامية، فقد اشتبك الإسلام منذ ولادته الأولى بالحياة السياسية، وتكوّنت مع تكوّنه حكومة المدينة المنورة، تشق طريقها لتكوين مفاهيم سياسية جديدة، ووعي سياسي آخر، لم تعرفه الجزيرة العربية.

ولقد قدّمت الحياة السياسية الإسلامية والتراث السياسي الإسلامي نتاجات باهرة في بعض العصور، ففي عصر الرسالة، وعصر علي والحسن عليهما السلام كانت أرقى مظاهر العدل السياسي، والقرنين الرابع والخامس الهجريين شكلاً منعطفاً حساساً في مسيرة تراث الفكر السياسي الإسلامي عموماً.

واليوم حيث يعود الفكر الإسلامي السياسي الي الظهور من جديد، تبدو الحاجة ماسةً لتنوير التراث، لكي نأخذ عصاراته والمفيد منه، ونذر ما يذهب جفاءً. وفي هذا الإطار كان من الضروري أن تولد كتب فكرية تحليلية، لتظهر وتبرز الفكر السياسي الإسلامي، المتمثّل بجهود المفكرين والعلماء المسلمين في القرون المعاصرة لتعطي صورة كاملة أو شبه كاملة عنه.

وسنلاحظ بصورة جلية أن ثمة ارتباطاً بين الفقه والسياسة، من حيث تأثير الأول في الثاني، فإن التبدلات التي يشهدها مجال الفقه تنعكس وبطريق مباشر علي المجال السياسي، بحيث لو أردنا معرفة سر موقف سياسي لفقيه شيعي، رجعنا الي المجال الفقهي.

سنحاول هنا اقتفاء جذور النظرة الفقهية الشيعية في عصر الغيبة

والصياغات المهمة للمباني السياسية الإسلامية طبقاً لنظر وفكر سماحة المرجع الديني آية الله العظمي الشيخ محمد اليعقوبي دام ظلّه والطفرة التجديدية التي أوجدها في الفقه الشيعي علي المستوي التنظير في الفكر السياسي الاسلامي ولحاظه الفقه الاسلامي له وكيفية قيادة الدولة وشرعية عملها وغيرها من المفاهيم التي اثبتها في خطابه وبياناته اضافة الي طروحاته الفقهية الموسومة فقه الخلاف، من خلال تتبع كل ما كتب فيها اضافة الي الاستعانة ببعض المؤلفات التي كتبت في نفس الغرض، فمنه نستمد العون والتوفيق انه المسدد والمؤيد للصواب.

قيس الطائي

٢٠٢٢/١/١

٢٧ جمادي الأولي ١٤٤٣

الفصل الاول

المفاهيم وخصائص الفكر السياسي للمرجع اليعقوبي

المرجع اليعقوبي هو تلميذ مدرسة الشهيدان الصدرين، استلهم منهما مختلف قضايا الدين، واكثر التجارب النظرية والعملية الرائدة التي تركوها لعموم المسلمين والاحرار والمناضلين والشرفاء في العالم، فكان حقا الوعاء الذي استوعب النهج النير، وازداد عليه لمسات اخري منها استيعاب تلك النظريات و تطبيقاتها العملية علي ارض الواقع اضافة الي السجاي الاخلاقية السامية.

يعود المرجع اية الله الشيخ محمد اليعقوبي إلى الحوزة العلمية الحركية وإلى المدرسة الصدرية بالخصوص تلك المدرسة التي تعطي أهمية كبرى للفقيه أو المرجع ولايته لشؤون الأمة، وعليها إنارة طريق الحق والأخذ بأيدي الناس وإيصالهم إلى الطرق المنشودة في ابتغاء مرضاة الله، وتلك المرجعيات التي تتصف بطيبة القلب وقوته، وحب الآخرين والتسامي عن الحقد والغل والأنانية والحرص وغيرها وبذل الوسع في قضاء حوائج الناس، وإدخال السرور عليهم من اسمى أهدافها، و أما قوة القلب فهي مبعث على الشجاعة والإقدام والغضب لله تبارك وتعالى ورفض الظلم والباطل والانحراف وقد أشترك المراجع الثلاثة الشهيدان الصدرين (قدس سرهما) والمرجع آية الله الشيخ اليعقوبي دام ظله في هذه الصفات.

وفي هذه المدرسة ليس كل فقيه جامع هو نائب عن الإمام بل أن النائب من لديه الاستعداد للقيام بأعباء ومسؤوليات الإمام بحسب استعداداته

وقابلياته الناشئة من الفوارق الذاتية بين المعصوم وغيره، لأن مقتضى النيابة هي القيام بواجبات المنوب عنه في غيابه في سائر المواقع كالوظائف السياسية والإدارية وأن تلك المرجعيات تمثل الكيان القيادي للأمة بما تقتضيه من مسؤوليات القيادة من نشاط سياسي واجتماعي وأخلاقي وتربوي وفكري وانساني وحتى اقتصادي.^(١)

و تلك المرجعيات الحركية تسعى الي هدف واحد وهو بلوغ مرضاة الله وإعادة ترسيخ حكمه وتشيد شرائعه وقد قام بهذا الدور المرجع الشهيد آية الله العظمي محمد محمد صادق الصدر (قده) من ثم أكمل المسيرة بعد التخلص من نظام الاستبداد وتطبيق نظرية المرجعية الشاهدة آية الله العظمى الشيخ محمد اليقوبي (دام ظلّه) والتي انتجها الشهيد الصدر الأول وعنوانها «خلافة الأمة على نفسها وشهادة المرجعية».^(٢)

وسماحة المرجع اليقوبي (دام ظلّه) يرى واجب المرجعية الدينية تجاه الامة باعتبارها القائمة على رعايتها وادارة شؤونها و يثبت في رسالته العملية باب من أبوابها حول واجبات العلماء تجاه الأمة حيث جاء فيها:

١- الحرص على إعمار الحياة وإقامة النظام المتحضر للمجتمع والمحافظة على الدولة والمؤسسات التي تحفظ النظام الاجتماعي العام. وتعتقد أن الشريعة هي الأصل والسابق لبناء المجتمع المدني المتحضر ومؤسساته ومنظّماته، والمرجعية تضحي بكل حقوقها وامتيازاتها من أجل

(١) خطاب المرحلة ٢٦٤؛ و ٣١٦.

(٢) للمزيد حول معايير التقليد في المدرسة الصدرية يراجع لقاء قناة العراقية بتاريخ

هذا الهدف حتى ولو لم يكن النظام مبني على الإسلام.^(١)

٢- تقديم الأفكار والمشاريع والرؤى التي فيها صلاح العملية السياسية ونجاحها وإعطائها دفعة إلى الأمام وقد ساهمت المرجعية بتقديم مشروع الإصلاح الوطني وإنقاذ العراق ومشروع تفعيل دور المعارضة الإيجابية كجزء مقوم للعملية الانتخابية.

٣- بيان الموقف الشرعي والوطني للجماهير ازاء مختلف الأحداث والقضايا التي تواجهها كالانتخابات والحيلولة دون التأجيج الطائفي و تدعو لإعمار البلد و تثبت سياده الدولة و القانون و ضمان حقوق المواطن في حياه حره كريمه يكفلها الدستور.

٤- تقويم العملية السياسية والتنبيه إلى الأخطاء لتصحيحها وتشخيص الخلل والإشادة بالمحسنين.

٥- المساعدة في اختيار العناصر الكفاءة والنزاهة القادرة على خدمة الشعب وترشيحها إلى مواقع القيادة والمسؤولية و دفع العناصر المومنه و الخيره بهذه الوظيفه.

٦- حشد الرأي العام وتنقيفه لدعم الخطوات الإيجابية في العملية السياسية التي تصب في مصلحته وفي موازاة ذلك فإن المرجعية لا تغفل عن تربية الأمة على الأخلاق الفاضلة والتمسك بالتعاليم السامية وكل خصال الخير لأنها تعتقد انه إذا كانت النفوس صالحة أفرزت مجتمعاً

(١) يراجع سماحة المرجع الشيخ محمد اليقوي، نحو سياسة نظيفة، دارالصادقين، النجف الأشرف، ص ٢٨.

وحكومة صالحة والعكس بالعكس.^(١)

المطلب الأول

مصطلحات ومفاهيم مهمة في السياسية والعمل الاسلامي

١- الحكومة

يمكن تعريف الحكومة على أنها المؤسسة التي من خلالها تصنع القرارات و تحل المشاكل و توزع المسؤوليات والامتيازات. ولذلك فإن لدى كل من الجامعات والشركات والأندية والنقابات... حكومة نظرا لأن لديها إجراءات منتظمة لاتخاذ القرارات وفرض تطبيقها.

ومع ذلك فإن الاهتمام لا بد أن يكون بالقرارات التي تكون جماعية بطبيعتها وتؤثر على المجتمع بكامله. أي الحكومة في المحيط العام بدلا من الحكومة في المحيط الخاص أو التنظيمات الأدنى. فنحن مهتمون أساسا بالتوجه السياسي للحكومة على المستوى الوطني وفي الحقيقة فإن مصطلح الحكومة يستخدم في الغالب وفق هذا المنظور.

و هنا نشير اهم النقاط التي يمكن ان تحدد فيها وظيفة الحكومة

أ: الخصائص الأساسية لعملية صنع القرار في الحكومة

ويشار هنا إلى أن عملية صنع القرار السياسي في المحيط العام تتميز

بخصوصيتين أساسيتين هي:

(١) السيد محمد معن الموسوي وحسن رشك غياض، معالم الفكر السياسي للمرجع العقبوي

قراءات في الأدوار والأهداف، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٥٩.

١- صنع القرار السياسي عملية سلطوية

فالقرارات ليست بطبيعتها استشارية أو مجرد اقتراحات ، فالقوة أو التلويح باستخدامها تقف وراء تلك القرارات فضلا عن وجود اشعارات محددة بأنها ينبغي أن تطاع . وحتى في حالة مخالفة الفرد للقرارات، فإنه سيشعر في داخله بأنه ينبغي ألا يفعل ذلك بل أن بحثه عن أعذار لتبرير فعله مثلا (تجاوز حد السرعة المسموح به مثلا) يعتبر في حد ذاته إقرارا من الفرد بضرورة اتباع القرارات). أي قبول الشعب واعترافهم بقوانين النظام السياسي.

٢- القرارات السياسية للمجتمع بكامله وليس لجماعة أو فئة

خاصة

فالقرارات التي يتخذها النظام السياسي ليست مميزه في النتائج ، حيث يستفيد منها البعض ويتضرر منها البعض الأخر. فعندما يقرر النظام السياسي مثلا فيما اذا كان ينبغي رفع أو خفض مقدار الضرائب فإنه سيكون هناك حتما جماعات مستفيدة من ذلك القرار وأخرى متضررة، وكذلك الحال في رفع اسعار المحروقات او غيرها في الموارد.

فالجماعة أو الشركة مثلا تستطيع أن تصنع قرارات سلطوية توزع بموجبها الإيجابيات والسلبيات إلا أن قرارها ينطبق فقط على المنتمين إليها ولا يتجاوزه لجماعات أو منظمات أخرى أما سلطة القرار السياسي في المحيط العام فتشمل كل المجتمع فلا بد أن يخضع كل الأفراد و المؤسسات والجماعات لسلطته.

و في هذا السياق كتب ديفيد إيستن: حتى في اصغر وابسط المجتمعات يجب أن يتدخل شخص ما باسم المجتمع ومدعوماً بسلطة ذلك المجتمع ليقرر كيف تحل الخلافات، ويمثل هذا التوزيع السلطوي للقيم الحد الأدنى من متطلبات أي مجتمع.... وكل مجتمع يوفر بعض الآليات مهما كانت بدائية لإيجاد حل سلطوي للخلافات حول الأهداف التي يسعى للوصول إليها.^(١)

ب: ضرورة الحكم والسلطة

إن أفضل طريقة لتقييم الحاجة إلى الحكومة هي النظر إلى الحالات التي تختفي فيها الحكومة بحالتها التي نعرفها. مثلاً ماذا يحدث عندما تتنافس جماعات متعددة مع بعضها بالقوة في المجتمع؟ وهناك حالات حول العالم حدث فيها مثل هذا الفراغ.

فإن أحد الوظائف الأساسية للحكومة هي حفظ الأمن والنظام. و من خلال حفظ النظام فإن الحكومة تحمي الدولة و الشعب من العنف على أيدي الخارجين علي القانون. كذلك تهدف الحكومة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية. فإذا غاب الأمن والنظام انتفت سلطة الحكومة.

إلا أن النظام ليس هو القيمة السياسية الأهم فقط. ولذلك فإن توفير الحماية من عنف المجرمين المحليين أو الجيوش الأجنبية ليس لوحده كافياً. فالمواطنون يحتاجون أيضاً إلى حماية من إساءة استخدام السلطة من قبل الحكومة.

(١) محمد تقي المؤمن، القيادة الواعية، نشر دار القاري، ٢٠١٧، ص ٦٥.

وتمثل الحرية هدفا مهما آخر يمكن تحقيقه. ولذلك فإن الحرية تمثل قيمة مهمة يمكن للحكومة تعزيزها من جهة لكنها يمكن أن تستخدم ضدها أيضا.

٢- السلطة

تعتبر القوة القسرية شكلا غير مجدي للحكم تماما كما أن الاستعباد يعتبر غير فعال نظرا لأن هناك حاجة لمراقبة العبيد كما أنهم على أي حال يفتقدون لأي التزام تجاه عملهم. وبناءً عليه فإن القوة القسرية تكون غير مستقرة وغير فعالة أيضا، ولذلك يقال بأن أولئك الذين يعيشون بواسطة السيف يموتون غالبا بالسيف. ومن ثم فإن المعضلة الأساسية التي تواجه الحكام تتمثل في كيفية إضفاء الشرعية على حكمهم أي كيف يمكن تحويل القوة إلى سلطة.

و تشير السلطة إلى الحق في الحكم، وتظهر عندما يعترف الخاضعون بحق المهيمنين على إصدار الأوامر. وفي نفس الوقت فإن السلطة هي أكثر من مجرد الإذعان الاختياري، فالاعتراف بسلطة الحكام لا يعني الموافقة على قراراتهم، أنه يعني فقط القبول بحقهم في إصدار القرارات ووجوب الطاعة من المجتمع.

ولا تزال علاقات السلطة هرمية. وفي الحقيقة فهي غالبا ما تكون بمثابة ورقة تغطي التهديد باستخدام القوة.

وتعتبر البيروقراطيات الحديثة أفضل مثال للمنظمات القائمة على السلطة القانونية العقلانية، فنحن ندعن للقوانين ليس بدافع الخوف فقط ولا

بدافع التقاليد أو الولاء الشخصي ولكن لأننا نشعر أن القانون والنظام يعتبر ضرورة في مجتمع عقلاني. فنحن أذن نعرف بسلطة القانون وليس قوة القائمين على تنفيذه فقط.

وبإمكان السلطة القانونية العقلائية الحد من إساءة استخدام القوة وذلك لأنها قائمة على المنصب، حيث انه قد يكون هناك مسئولين يتجاوزون صلاحياتهم. وإذا كان لدينا شجاعة كافية فإننا نستطيع عندئذ أن نرفض الإذعان وبشكل مشروع. والشرطة تستطيع أن تستجوبك ولكن في بلد منظم جيدا ولن يكون بإمكانهم ضربك أو تعذيبك إذا رفضت الإجابة. وفي الواقع فإن الناس الذين يملكون وسائل القوة يستخدمونها في الغالب حتى عندما لا يكونون مخولين بالقيام بذلك. إلا أن استناد القوة إلى المنصب و عدم إيضاح حدود تلك القوة يساعد بالفعل على إساءة استخدامها.

أن مجرد الإذعان يمكن أن يفيد لبعض الوقت لكن سيكون من الأفضل لو تم تحويل الإذعان المعتاد إلى ولاء أصيل. باختصار يتحول الفاتحون إلى ملوك من خلال خلقهم لمصادر مستقرة للدعم، أما إذا لم يظهر أو أي اعتبار لمن يحكمونهم فسوف يواجهون في النهاية مشاكل في حكم غير الكفوء وغير المستقر التي قضت على معظم المستبدين و المستكبرين.

المطلب الثاني

خصائص النظام السياسي الاسلامي في فكر المرجع اليعقوبي

أولاً: المرجعية وبناء النظام المتناسب مع التطور الحضاري

و يرى المرجع اليعقوبي كما رأي سلفه السيد الشهيد محمد باقر الصدر^(١) (قَلْبًا) أن الأصل في الحكم هو الله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)^(٢) والآيات (٤٤، ٤٧، ٥٠) من نفس السورة المباركة.

وان الأصل في الحكم كما يراه المرجع هو ولاية الفقيه، ولكن هنالك محددات وموانع عديدة تحول الآن دون السعي لتحقيقه على ارض الواقع (في العراق) منها باختصار شديد.^(٣)

أ- ديموغرافية الشعب العراقي وتنوع قومياته وطوائفه وتعدد عقائده ومذاهبه وهي بعيدة عن تصورات هذا النظام وترفض تطبيقه.

ب- شهرة القول بعدم ولاية الفقيه في اروقة الحوزات العلمية في النجف الاشرف وعند مرجعياتها وكثرة اتباع تلك المرجعيات وسعة قواعدها.

(١) فؤاد ابراهيم، الفقيه والدولة، ص ٥٠٢-٥٠٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٤٥.

(٣) الشيخ محمد اليعقوبي، نحو سياسة نظيفة، تأصيلات فقهية واخلاقية ورسالية للعمل

السياسي، دار الصادقين، النجف الاشرف، ط١، ٢٠١٦، ص ٣٤.

ج- تشتت مراكز القرار وعدم وجود قيادة دينية يلتف حولها الاكثرية وغيرها من الأسباب.

اذن لابد من الخيار الاضطراري في الحكم وهو الخيار الاقرب للشرعية وهو أن يقوم الشعب بقيادة نفسه وفق الآليات الديمقراطية المعمول بها. ومنها اجراء انتخابات لاختيار ثلة تقوم بإدارة البلد على أن يرجعوا في امورهم إلى توجيهات القيادة الدينية الواعية المخلصة.

و مستند هذه الشرعية تفويض الناخبين لهذه الثلة باعتبار ان الأصل هو عدم ولاية احد على احد الا إذا فوضه بذلك، ولكن مشروعيته تبقى مقيدة بحدود الشريعة الالهية ولا يحق مخالفتها، لان اصل الحاكمية لله تبارك وتعالى (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)^(١) (٢).

ومن أجل ذلك فقد أوضح المرجع اليقوبي كل السبل الشرعية التي استنبطها من الكتاب والسنة المطهرة من أجل مواكبة بناء الدولة العراقية الحديثة وفقاً لما تمليه الحضارة المدنية وضرورة تمازج الإسلام مع تجارب الشعوب وقد قدم آراء فقهية غاية في الإدراك الفقهي من أجل اسعاد البشرية، فقد كان صوت المرجعية الشاهدة حاضراً في كل ممارسة سياسية

(١) سورة النساء الآية ٦٥.

(٢) يراجع اللقاء الصحفي للمرجع اليقوبي مع احدى المؤسسات الثقافية في كربلاء المقدسة في ٢٠٠٥/٥/١١. كذلك يراجع خطاب المرحلة ٧٧.

الغاية منها بناء هياكل ومؤسسات الدولة العراقية.^(١)

ثانياً: المرجعية وممارسة الانتخابات

وقد أفتى سماحته بضرورة المشاركة في الانتخابات منذ بداية سقوط النظام الاستبدادي بل وصلت إلى الإيجاب على المؤمنين منهم، لكون الانتخابات هي الوسيلة الوحيدة لإيصال الكفوئين المخلصين إلى مركز القرار السياسي، لأنه يرى أن موضوع الانتخاب هو نوع من أنواع فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الفريضة التي يقال عنها أنها خير من عموم الصلاة والصيام. لذلك جعل الله تعيين القيادة وتنصيب ولاة أمور المسلمين في كفة والرسالة كلها في كفة حيث جاء في الآية الكريمة (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)^(٢) إذ جعل الله تعيين القيادة في كفة والرسالة في كفة أخرى، بل وحث المؤمنين الذين يجدون في أنفسهم الكفاءة والمقدرة أن يعرف نفسه للأمة كي تختاره ويؤدي واجبه^(٣)، وتتخلص من ظلم المعسكرات الظالمة.^(٤)

ويرى سماحته أن الشرعية المكتسبة من صناديق الانتخابات مشروطة

(١) السيد محمد معن الموسوي وحسن رشك غياض، معالم الفكر السياسي للمرجع العنقوبي

قراءات في الأدوار والأهداف، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٦٢.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٣) خطاب المرحلة ٧٧.

(٤) السيد محمد معن الموسوي وحسن رشك غياض، معالم الفكر السياسي للمرجع العنقوبي

قراءات في الأدوار والأهداف، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٦٣.

بالوفاء بالبرامج السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي وعدو بها الناخبين^(١). فإذا لم يفوا بها ويخدموا الشعب ويوفروا له حقوق الحياة الحرة الكريمة فعليهم التنحي طوعا او كرها ويوجد المرجع الأساس الشرعي والقانون الالهي في سبيل تنحية هؤلاء في الآية الكريمة المباركة (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)^(٢). وهذا المبدأ الذي طرحه المرجع هو اروع ما انتجته البشرية في سبيل تعزيز الديمقراطية والوفاء بمبدأ حكم الشعب لنفسه اذ ان الوفاء لطموحات الشعب هو الغاية من الفوز بالانتخابات والحصول على السلطة وليس الفوز بالانتخابات من اجل تقاسم النفوذ والمغانم ورعاية مصالح الحزب والكتلة التي ينتمون اليها فقط.

ثالثا: المرجعية والقانون الوضعي

كذلك أكد سماحته على ضرورة أن يكون للأمة دستور يضم المبادئ العامة التي تتوافق عليها الأمة، ويمثل مرجعية القوانين التي يعمل بها، ولا يوجد أي غضاضة للالتزام بها لأنها تعود بالنفع عليهم، وبدونها ستحكم الأمة بشريعة الغاب.^(٣) بل أن المرجع اعتبره من الواجبات في تاسيس

(١) الشيخ محمد العنقوبي، المقطع الثاني من الخطاب الذي القا على جموع المعزين

باستشهاد الزهراء في ساحة العشرين (النجف) في ٣/ جمادي ٢/ ١٤٢٨ / نهاية عام ٢٠٠٧.

(٢) سورة محمد الآية ٣٨.

(٣) خطاب المرحلة ٧٧.

الدولة، والمهم هو الجدية في العمل والانجاز. ومن هذه المبادئ التي يمكن أن تحتويها الوثيقة الدستورية باختصار:^(١)

١- نشر الفضيلة في المجتمع ومنع الفساد والانحراف والمحافظة على هويتنا الاسلامية الأصيلة.

٢- ضمان وصول العناصر الكفوءة والنزيهة إلى موقع المسؤولية والإدارة.

٣- الارتقاء بمستوى العلم والمعرفة والوعي لدى ابناء الامة لتكون بالمستوى الحضاري المعاصر. تحقيق العدالة في الامة واستقرار الأمن وإنعاش الوضع الاقتصادي للبلد.

٤- الحفاظ على وحدة البلد وتركيته الاجتماعية واستقلاله. و توفير الحقوق والحريات لجميع فئات المجتمع وطوائفه واعراقه بما لا يتنافى مع الفقرات اعلاه.

٥- وضع دستور للبلاد يضمن النقاط اعلاه و وسائل تفعيلها ولا يتقاطع مع الشريعة المقدسه.

٦- ضمان انتخابات حرة نزيهة لاختيار برلمان وحكومة تمثل بصدق تركيبة المجتمع العراقي وتحترم ارادته وبحسب التمثيل السكاني.^(٢)

(١) المصدر نفسة.

(٢) السيد محمد معن الموسوي وحسن رشك غياض، معالم الفكر السياسي للمرجع اليقوبي قراءات في الأدوار والأهداف، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٦٤.

رابعاً: المرجعية ومبادئ الديمقراطية

يري سماحته أن الإسلام هو أول من وضع آليات العمل بالديمقراطية التي تعني احترام إرادة الشعب والرجوع إليه في تقرير مصيره، ويستشهد بسيرة الرسول (ﷺ) حينما أعترض مع المسلمين قافلة قريش وحينما أفلتت تلك القافلة وأصبح المسلمون في مواجهة مشركي قريش، فإن الرسول (ﷺ) أستشار أصحابه في التصدي لقريش داخل المدينة وأزقتها أو خارج المدينة، كذلك فإنه استشارهم في كيفية مواجهة الأحزاب في معركة الخندق، فأشار عليه سلمان المحمدي (رض) بحفر الخندق، كذلك أكثر من واقعة في الإسلام تدل على القبول برأي الناس وعدم التعصب لرأي الرئيس وهذه قمة الديمقراطية.^(١)

ولكن المعنى الاخر للديمقراطية والتي تعني حكم الاغلبية الفائزة فان هذه الاغلبية اذا شرعت قانونا يجيز زواج المثليين او جواز الموت الرحيم او اباحة العلاقات الجنسية خارج ضوابط الزوجية، فان مثل تلك القوانين مرفوضة عندنا في الاسلام لان الحاكمية لله سبحانه وتعالى، أما المعنى الثاني للديمقراطية وهي أن يختار الشعب قاداته وحاكميه ومدبري شؤونه، فهذا لا بأس به لان الله سبحانه وتعالى او كل لعباده تصريف شؤونهم بأنفسهم فينظمون الالية التي يتوافقون عليها كما في قوله تعالى (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

(١) خطاب المرحلة ٧٧.

يُنْفِقُونَ^(١) والضمير هم، يعني ان الامور العائدة لهم في تدبير شؤونهم الحياتية موكل اليهم^(٢) (في منطقة الفراغ التشريعي).^(٣)

خامسا: المرجعية وحرية الرأي العام

إذ يرى سماحته أن كل إنسان له حرية الاعتقاد، إذ قال تعالى (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ)^(٤)، كذلك قال تعالى (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)^(٥)، كذلك قال تعالى (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ)^(٦) فالإنسان مخير في عقيدته ونمط حياته^(٧) التي يسير عليها^(٨).

سادسا: المرجعية والأحزاب السياسية

يري سماحته أن الأحزاب والتنظيمات وردت في القرآن والسنة المطهرة قال تعالى (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

(١) سورة الشورى آية ٣٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) السيد محمد معن الموسوي وحسن رشك غياض، معالم الفكر السياسي للمرجع اليقوبي قراءات في الأدوار والأهداف، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٦٦.

(٤) سورة الكهف الآية ٢٩.

(٥) سورة الإنسان الآية ٣.

(٦) سورة الأنفال الآية ٤٢.

(٧) خطاب المرحلة ٧٧.

(٨) السيد محمد معن الموسوي وحسن رشك غياض، معالم الفكر السياسي للمرجع اليقوبي قراءات في الأدوار والأهداف، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٦٦.

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(١) وقد أسس أمير المؤمنين (عليه السلام) أول حزب بالمعنى المتعارف عليه ويسمى أعضائه (شرطة الخميس) وأنضم إليه عيون أصحابه وعلمائهم، كذلك قول أمير المؤمنين: أوصيكم بتقوى الله ونظم أمركم. يعني تنظيم الأمور بكيانات وتجمعات، وهذا التنظيم يكون على شكل أما حزب سياسي او حركة و إي نوع من التنظيمات الصحيحة والتنظيم قوة ولكن يجب أن يتأطر بالمبادئ الصحيحة للعمل وإلا فإنه سينقلب إلى الضد ويكون عبثاً على الأمة^(٢).

سابعاً: المرجعية ومنظمات المجتمع المدني

إن منظمات المجتمع المدني هي من العناصر الأساسية لإرساء مبدأ العدالة في المجتمع وإسماع رأي العباد إلى المسؤول وهو يعتبر أن وجود هذه المنظمات هي حالة صحية في المجتمع كونها إحدى هياكل البناء للنظام المؤسسي في الدول الديمقراطية وهو يرى أن دور هذه المنظمات يتلخص بما يلي:

- ١- استنقاذ حقوق الأمة والمطالبة بها.
- ٢- مساعدتها في معالجة المشاكل والأزمات وتجاوز المحن.
- والصعوبات ومد يد العون لها والتخفيف من آلامها.
- ٣- تطوير حالها وتأهيل أبنائها لممارسة دورهم الحضاري والإرتقاء بمستواها الي مستوى الدول المتحضرة.

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤.

(٢) حوار أجرته قناة العراقية مع سماحة المرجع الشيخ محمد اليقوي في ٢٠٠٥/٦/١٩.

٤- مراقبة السلطات الرسمية وتقييم أدائها وتشخيص مواطن الضعف والخلل والفساد والضغط عليها لتجاوزها.

٥- قيادة الفعاليات وتنظيمها بعد إقناع الأمة بمبرراتها.

والمرجعية ترى أن الثقافة الإسلامية المتمثلة في القرآن والسنة المطهرة عززت هذه التوجهات ودفعتها إلى تحمل مسؤولياتها قال تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)^(١)، كذلك قول الرسول (صلي الله و عليه و آله و سلم): (كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته)^(٢).

ثامنا: المرجعية ومبدأ حقوق الإنسان

المرجع يرى أن الإسلام هو رائد حقوق الإنسان ومؤسسها وقادة الإسلام التزموا بها ورسوموا لها أنبل الصور إلتزاما وهو يسترشد بقول الله تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)^(٣). كذلك فإن رسالة الحقوق للإمام السجاد مليئة بتلك المعاني و المفاهيم السامية.

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣.

(٢) السيد محمد معن الموسوي وحسن رشك غياض، معالم الفكر السياسي للمرجع اليقوي قراءات في الأدوار والأهداف، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٦٩.

(٣) سورة الإسراء الآية ٧٠.

تاسعا: حقوق المرأة في الإسلام

أن الإسلام يؤمن بمساواة الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات إذ يقول الله تبارك وتعالى و (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ) (١). كذلك قوله تعالى (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) (٢). ويرى المرجع أدام الله ظله ان المساواة موجودة ولكن لا توجد مماثلة في الوظائف بينهما لاعتبارات التركيبة النفسية والفسولوجية والاجتماعية لكل منهما بما يتناسب مع طبيعة المرأة وهناك حقوق مصانة ومضمونة للمرأة التي يؤمن بها الإسلام) (٣).

عاشرا: التنوع في الآراء والمعارضة الايجابية في الحكم

وهي من مصاديق الديمقراطية الحديثة، إذ أن التنوع في الاثنيات والقوميات هي سمة من سمات المجتمعات الحديثة ويرى سماحته أن مصاديق التنوع وعدم إجبار الآخرين على التخلي عن عقيدتهم هو ما جرى عليه تصرف الإمام علي (عليه السلام) دولته حينما مكث (٢٥) عاما في المعارضة الإيجابية رغم النص عليه في غدیر خم لكنه جلس في المعارضة الإيجابية يجمع كتاب الله و ينصح المسلمين الي ما فيه صلاحهم وكذلك عندما بايعه الناس بعد الخليفة الثالث وامتناع عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص فلم يجبرهما على المبايعة و تصرفه مع الخوارج إذ قال لهم والله لا أمنعهم من

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٥.

(٢) سورة الكهف الآية ٣٠.

(٣) خطاب المرحلة ٧٧.

مساجد المسلمين ولا أبدأهم بقتال قط ولا أمنع الفيء عنهم، كذلك كان في دولته أناس من غير ملته فقد وزع الفيء بالعدل بين الجميع بمعنى أنه يعطي حق المواطنة.^(١)

الحادي عشر: المبادئ الثابتة والمتغيرة في السياسة

أما الموقف الفكري عند الشيخ محمد اليعقوبي، فهو ينظر للسياسة بشكل عام بأنها ثابتة على عكس ما يقال في عدم وجود صداقات دائمة، أو عداوات ثابتة؛ فيقول: "ونحن نقول توجد مبادئ ثابتة والمصالح الحقيقية ليست هي التي نقرّها نحن وإنما التي تنسجم مع هذه المبادئ"^(٢) إذ يعتقد بأن المبادئ يجب أن تكون ثابتة؛ ولذلك فالمصالح أيضا يجب أن تكون ثابتة؛ لأن المصالح ليست تلك التي يقررها السياسي، بل اقرارها يعتمد على مدى اقترابها، أو ابتعادها عن المبادئ الاسلامية الثابتة.

وفي الحقيقة فإن الابتعاد عن هذه المبادئ - الثابتة - هو الذي ادى بالعلماء والفقهاء الي الابتعاد عن العمل السياسي تفصيلاً، والخوض فيه وإنشاء الأحزاب والمؤسسات التي تعمل على اقناع الأمة بالاسلام فكراً، ومنهجاً للحياة.^(٣)

الثاني عشر: أصول ومظاهر الشفافية ودورها في العمل السياسي

ولا يوجد خلاف على أن ظاهرة الفساد واحدة من أهم مشكلات

(١) المصدر نفسه.

(٢) الشيخ محمد اليعقوبي، نحو سياسة نظيفة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩.

(٣) خطاب المرحلة، ج ٤، ص ٤٥.

المجتمعات، التي يتعين على الباحثين دراستها والاهتمام بتشخيصها والبحث في سبل علاجها.

وفي هذا الإطار يطرح هذا السؤال: هل توجد حلول لقضايا الشفافية والفساد للتخفيف من حدة الظاهرة ومواجهتها؟ وهل تؤدي دوراً مسانداً ومكماً لمكافحة الفساد؟ الأمر الذي يتطلب مراجعة للأدبيات التي تناولت الظاهرة، وهو ما نسعي إليه، حيث نهدف إلى مراجعة أدبيات "الشفافية ومظاهرها"^(١) علي ضوء ارشادات الشيخ محمد اليعقوبي ونأمل تفعيل دورها في تعزيز الشفافية ومكافحة الفساد.

أما اصطلاح الشفافية فقد تعددت التعاريف الخاصة به في العملية السياسية، حيث تم تعريفها علي أنها حق المواطنين في الوصول الي البيانات والاطلاع علي المعلومات المرتبطة بآليات صنع السياسات واتخاذ القرارات ومعرفة آليات اتخاذ القرار الموسّسي، ووضع معايير أخلاقية قادرة علي اكتشاف الفساد، وترد هذه الكلمة كثيراً على ألسنة السياسيين وعموم المتصددين للعمل الاجتماعي ويطالب الجميع بأن يكون العمل شفافاً، ولكن لم يشرح أحد حقيقة الشفافية وكيف يكون التعامل شفافاً، وما هي مظاهر الشفافية؟ وكيف يمكن تدريب النفس عليها أي ما هي المبادئ والخصائص التي يجب توفرها في النفس لتنتقل منها التعاملات الشفافة؟ ومن هذا المنطلق يري الشيخ اليعقوبي أحد المعوقات لفشل العمل هو عدم الشفافية ويقول: "هو عدم التعامل مع الآخرين بشفافية" وعدّها من جملة

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

حقوق الانسان بقوله: "الشفافية والوضوح وعدم المخادعة والتضليل" (١) وقام الشيخ اليعقوبي ببيان اجمالي الي مبادئ الشفافية وما هي مظاهرها علي ضوء الآيات والروايات، وترك البيان التفصيلي إلى الفضلاء والمفكرين لاغتناء المصادر الإسلامية، وذكر عشرة محاور في هذا الباب، وهي علي الترتيب التالي:

١ - إنصاف الآخرين من نفسك

فإذا كان رأي الآخر صحيحاً فكن شجاعاً وقل له ذلك وتنازل عن رأيك واعترف بخطئك، لذا قالوا أن الاعتراف بالخطأ فضيلة، وقد وبّخ الله تعالى من يتمسك بموقفه ورأيه رغم اعترافه في داخله بصحة رأي الآخر وحقه فقال تعالى: [وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ] (٢) وقال تعالى: [وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ] (٣)، ودعا تبارك وتعالى عباده إلى إعطاء الآخرين حقهم من غير غمط ولا بخس، قال تعالى [وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ] (٤).

وهذه الصفة شاقة على النفس ولا يتحلى بها إلا من روض نفسه ودرّبها ومملك زمامها؛ لذا جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال:

- (١) نشرة الصادقين العدد المائة والاثنتان والعشرون الصفحة الثانية، تحت عنوان: النهضة الحسينية والدفاع عن حقوق الإنسان.
- (٢) سورة البقرة الآية ٢٠٦.
- (٣) سورة النمل الآية ١٤.
- (٤) سورة الأعراف الآية ٨٥.

قال رسول الله (ﷺ): (يا علي ثلاث لا تطيقها هذه الأمة: المواساة للأخ في ماله وإنصاف الناس من نفسه، وذكر الله على كل حال، وليس هو سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولكن إذا ورد على ما يحرم خاف الله عز وجل عنده وتركه)^(١).

٢- المشاورة وعدم الاستبداد بالرأي

المشاورة وعدم الاستبداد بالرأي وعدم الاستكبار عن سماع رأي الآخرين ونصيحتهم، فإنها قوة إضافية لانضمام عقول الناس إلى عقله فكأنه يفكر بمجموع عقولهم وهو كمال ونضج للرأي؛ لذا جاء فيما أوصى به النبي (ﷺ) علياً (عليه السلام): (لا مظاهرة أوثق من المشاورة ولا عقل كالتدبير)^(٢) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها عقولها)^(٣) وعن الصادق (عليه السلام): (ما يمنع أحدكم إذا ورد عليه ما لا قبل له به أن يستشير رجلاً عاقلاً له دين وورع)^(٤)، ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): (أما أنه إذا فعل ذلك لم يخذله الله بل يرفعه الله، ورماه بخير الأمور وأقربها لله)^(٥).

وأعطي النبي (ﷺ) والأئمة (عليهم السلام) الدروس العملية في ضرورة المشورة وهم أكمل الخلق وسادتهم والمتصلون بالتسديدات الإلهية التزاماً

(١) الخصال ج ١ ص ١٢٥.

(٢) نهج البلاغه حكمة ١١٣.

(٣) نهج البلاغه حكمة ١٦١.

(٤) المحاسن ج ٢ ص ٦٠٢.

(٥) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ١٠٢.

بقوله تعالى [وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُبْصِرُ] (١) ووصف عباده المفلحين بقوله عزّ من قائل [وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ] (٢)، وعن بعض أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام): قال: قال لي الصادق (عليه السلام): أشر عليّ برجل له فضل وأمانة، فقلت: أنا أشير عليك، فقال شبه المغضب: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يستشير أصحابه ثم يعزم على ما يريد الله.

٣- اعتماد مبدأ الحوار وعدم فرض الرأي على الآخر

من المبادئ الأخرى للشفافية هي اعتماد مبدأ الحوار وعدم فرض الرأي على الآخر مهما كان مقتنعاً به فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يعلم أنه على حق ومع ذلك أمره الله تعالى بالحوار مع الآخرين [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ] (٣)، وقوله سبحانه: [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] (٤).

وقد ثقف الإسلام أتباعه على حرية التعبير عن الرأي واختيار العقيدة قال تعالى [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ] (٥)، ويبلغ هذا المبدأ أوفى حالاته وأكملها حينما يأمر الله تبارك وتعالى المسلمين أن يوفّروا الأمن والحماية لمن يريد

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٢) سورة الشورى الآية ٣٨.

(٣) سورة آل عمران الآية ٦٤.

(٤) سورة العنكبوت الآية ٤٦.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٥٦.

من المعسكر الآخر أن يستمع إلى هذا الدين ثم يعيده إلى بلاده آمناً ليختار بكل حرية [وإن أحد من المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغُهُ مَا أَمَّنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ] (١). فهل يوجد حث على الحوار وهل توجد شفافية أكثر مما في الإسلام.

٤ - التواضع

التواضع، هي من المبادئ الأخرى للشفافية لأن التكبر والنظر إلى الأنا والإعجاب بالنفس يصد عن سماع الحق ويعمي البصيرة ويذل صاحبه، وعلى العكس منه فإن التواضع يرفع صاحبه ففي الحديث: (من تواضع لله رفعه الله)، وفي دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً إلا أحدثت لي ذلّةً باطنةً عند نفسي بقدرها) فلا تتكبر على الآخرين وتواضع لأدنى خلق الله فقد يجري الله الكلمة المفيدة النافعة الصالحة على لسان من لا تأبه بهم، ومما روي عن سيرة عيسى روح الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) انه قال لحوارييه يوماً: أريد أن اغسل أقدامكم قالوا نحن أولى بأن نفعل لك ذلك يا روح الله. قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): لكي تتواضعوا من بعدي.

٥ - سعة الصدر

سعة الصدر، وقد ورد في الحديث (آلة الرياسة سعة الصدر) ولا نفهم من الرئاسة أنها المناصب الحكومية الرفيعة فقط، بل كل ولاية أمر لمجموعة هي رئاسة فالمعلم رئيس لطلابه وشيخ العشيرة رئيس لأبناء

(١) سورة التوبة الآية ٦.

عشيرته والعالم الديني وإمام الجماعة رئيس لمريديه وأتباعه والأم رئيسة في بيتها فكل واحد محتاج إلى سعة الصدر لكي ينجح في عمله، ولا بد أن تتناسب سعة الصدر مع عظم المسؤولية فكلما كبرت وازداد عدد المرؤسين وجب أن يتسع الصدر لاستيعابهم جميعاً، ومما أوصى به النبي (ﷺ) عمه العباس (إنكم لا تسعون الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم) فيمكن للإنسان بسعة صدره أن يكسب الناس من حوله ويزيد ثقتهم بقيادته.

٦ - الحب للناس جميعاً

الحب للناس جميعاً، فليس في قلب المؤمن حقد ولا غل ولا كراهية لذلك جعل الله من نعمه على أهل الجنة انه يزيل ما بقي في صدورهم وقلوبهم من هذا قال تعالى: [وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ] ^(١)؛ لأن هذا الغل والحقد والكراهية أول ما يؤدي صاحبه فيجعل حياته منكدة ومعذبة وباله مشغولاً بهذه الدوامة من التفكير مما يقعه عن القيام بالكثير من الأعمال الناجحة، أما لو نقى قلبه منه فسيكون سعيداً فارغ البال للمسؤوليات المهمة، لكن الناس متفاوتون في تطهير قلوبهم حتى المؤمنين، لذا يوجد من يدخل الجنة وهو لم يكمل تنقية قلبه مما ينكد عليه صفو الحياة في نعيم الجنان فيتم الله نعمته عليه بنزع الغل من قلبه ولكن بعد ألم طويل، فلماذا لا يعمل الإنسان على إزالته من الدنيا لينعم بالسعادة مباشرة ويملاً قلبه بحب الخير للناس جميعاً ولا ينال السعادة

(١) سورة الحجر الآية ٤٧.

الكاملة [إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ] ^(١) خصوصاً بين المؤمنين العاملين في مشروع إسلامي واحد حتى لو اختلفوا في الرأي وفي آليات العمل فلا يؤثر ذلك على روح الصفاء.

أما ما نراه من تحول المودة إلى تقاطع وانتقاص للآخر وتشويه لصورته وما يتبعه من غيبة ونميمة وسوء ظن وكلها من الكبائر فهذه ليست من أخلاق الإسلام، ولنتأس بالإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الذي بكى على أعدائه يوم عاشوراء معللاً ذلك بأنهم سيدخلون النار بسببي وهم المحتشدون لقتله واستئصال أهله وخاطب الله نبيه ﷺ (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ^(٢) أي جميع العوالم من المخلوقات وليس للبشر فقط فضلاً عن المسلمين من أتباعه (ﷺ)، فلنحمل هذا القلب الكبير المملوء بالرحمة والحب وإرادة الخير ولنتأس بالنبي وآله الطاهرين (صلى الله عليهم أجمعين).

٧ - حسن الخلق مع الناس والتآلف معهم

حسن الخلق مع الناس والتآلف معهم فمن صفات المؤمن انه يألف ويؤتلف، وهذه من أهم مظاهر الشفافية ويوجد في جوامع الحديث حشد هائل من الأحاديث التي تبني في الإنسان مكارم الأخلاق والخصال الحميدة، قال الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (ما يقدم المؤمن على الله عز وجل بعمل بعد الفرائض أحب لله تعالى من أن يسع الناس بخلقه فإن الخلق الحسن يميت الخطيئة كما تميت الشمس الجليد) ^(٣)، وعنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (أن الله تبارك

(١) سورة الشعراء الآية ٨٩.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٠٠.

وتعالى ليعطي ثوابه على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله^(١). وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (التودد إلى الناس نصف العقل)^(٢). فما أجمل أن تستقبل الناس دائماً بالبشاشة والانفتاح وتودد لهم والبسمة دائماً على وجهك حتى في أحلك الظروف وليس أن تكون عبوساً في وجوه الناس.

٨ - حمل الآخرين على الصحة والتماس العذر لهم

حمل الآخرين على الصحة والتماس العذر لهم أن لم يعجبك شيء من تصرفاتهم، لذا ورد في الحديث: احمل أخاك على سبعين محمل حسن. وهو رقم يضرب للكثرة لا للتحديد فلو احتجت إلى واحد وسبعين تفسيراً فاحمل عليه، فقد وصلت تربية الأئمة لشيعتهم إلى حد أن الإمام يقول لأحد أصحابه انه لو شهد عندك خمسون قسامة (أي خمسون رجلاً يقسمون عندك) أن أخاك المؤمن قال فيك كذا وكذا ثم جاءك هو وقال لم افعل فخذ بقوله وأزل قول القسامة.

٩ - المحافظة على حدود الصداقة

المحافظة على حدود الصداقة التي حدها الأئمة المعصومون (عليهم السلام) فعن الإمام الصادق (عليه السلام): لا تكون الصداقة إلا بحدودها فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها وإلا فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة؛ فأولها: أن تكون سريره وعلايته لك واحدة. والثانية: أن يرى زينك وزينه وشينك وشينه.

(١) الكافي ج ٢ ص ١٠١.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٤٣.

والثالثة: أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال.

والرابعة: لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته.

والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال: أن لا يسلمك عند النكبات^(١).

١٠ - المواساة

المواساة، بل الإيثار، فعن بعض أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) قال: قال لي الباقر: رأيت من قبلكم إذا كان الرجل ليس عليه رداء وعند بعض إخوانه رداء يطرحه عليه؟ قال: قلت: لا، قال:.... فضرب بيده على فخذه ثم قال: ما هؤلاء بأخوة.

ووصف القرآن الكريم علاقة المؤمنين فيما بينهم بأكمل من ذلك فقال: [وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ].^(٢)

هذه هي المظاهر الرئيسية للشفافية التي اختصرها المرجع اليقوبي وهي تتطلب الكثير من الصبر والمصابرة والتربية للاتصاف بها والالتزام بمضمونها وعدم الاكتفاء بإلقاء الكلمات من دون تطبيق لذلك.^(٣)

ويعد هذا الجهد المبذول لدراسة قضايا الشفافية والفساد من قبل الشيخ اليقوبي، دليلاً على إدراكه لخطورة ظاهرة الفساد غير أنها لا تعد بالضرورة دليلاً على إسهام تلك الجهود في مواجهة الظاهرة وعلاجها في الواقع، الأمر الذي يتطلب قدرًا من المراجعة للأدبيات التي تناولت قضايا الشفافية والفساد؛ مراجعة لموضوعاتها ومنهجيتها، أملاً في تطويرها وتفعيل دورها

(١) تحف العقول ج ١ ص ٣٦٦.

(٢) سورة الحشر الآية ٩.

(٣) خطاب المرحلة، ج ٤، ص ١٤٠.

في مواجهة الظاهرة، في ظل دولة تسعى لمواجهة الفساد بكل أجهزتها التنفيذية والتشريعية والقضائية.

الثالث عشر: نظم الأمر في العمل الإسلامي

إن الإسلام ينظم الحياة البشرية في مختلف ميادينها الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية. فالنظام هو محور حياة المسلم، بل خلق الله عز وجل هذا الكون على أساس نظم، فوضع كل شيء في موضعه، وجعل له مهمة، عليه أن يؤديها في هذه الدنيا، قال الله تعالى: (وَأَيُّهُ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ).^(١)

وقال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِعَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ).^(٢)

وكذلك نظرة الإسلام للنظام في تعاملات البشر واضحة، فالاستئذان شرط، ومن لا يؤذن له لا يدخل، وللأكل آدابه، والالتزام بالعهود والعقود شرط، وفي السفر إن خرج اثنان في سفر فليؤمرا أحدهما، ووصل النظام

(١) سورة يس، الآيات ٣٧ - ٤٠.

(٢) سورة الروم، الآيات ٢٣ - ٢٤.

إلى ضرورة اختيار اسم صالح للأولاد بمجرد ولادتهم، ثم حسن تربيتهم. ووضع الإسلام كذلك، قواعد في آداب التحية والسلام، وفي الصلاة: (أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولينوا بأيدي إخوانكم، ولا تدرؤا فرجات للشيطان).^(١) وفي الجهاد قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ)^(٢)، وغيرها من الموارد. فهذا باختصار هو الإسلام، دين النظم والانتظام، نظام في كل شيء، منذ الولادة وحتى الممات، في الأمور الخاصة والعامة، وفي تكوين الأرض والسموات.

ومن وصية للإمام علي عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله) على رأسه الشريف: (أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم...)^(٣).

ويحب الله عز وجل - الذي خلق هذا الكون بهذا النظم العجيب - أن يكون الإنسان منظماً في حياته الشخصية والعامة، وقد بين طريق ذلك في رسالات السماء وبالخصوص دين الإسلام، وأمر برعاية ما بينه وأنزله.

وقد أوصى الإسلام بنظم الأمور في مختلف جوانب الحياة الإنسانية، بأبعادها الفردية والاجتماعية بهدف تحقيق امتثال التكليف الإلهي. ويتجلى الالتزام بالنظام بالالتزام بتعاليم الدين الحنيف، التي جاءت لتنظيم الحياة

(١) سنن أبي داود، تستيقق و تعليق سعيد محمد اللحام، ج ١، ص ١٥٧.

(٢) سورة الصف، الآية ٤.

(٣) نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ص ٤٢١٢١، الخطبة ٤٧.

الإنسانية وتأمين السعادة للمجتمع البشري كله، وهو ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام في وصيته لولديه، حيث قرن التقوى - التي تعبر عن أعلى مراتب الإيمان والالتزام بالعمل بأحكام الشريعة وقوانينها - بالوصية بنظم الأمر، لأنه لا يمكن أن يكون الإنسان مؤمناً يتحلى بالتقوى والإيمان الحقيقي دون أن يربي نفسه على النظام، والالتزام بالحقوق والواجبات تجاه الله والناس، وإلا لابتلي بالنفاق والكذب، ما يؤدي إلى ضعف الإيمان والتدين، ولا يبقى عندها أي قيمة للتقوى والإيمان.^(١)

الرابع عشر: الأمانة أساس في العمل الإسلامي

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)^(٢)

إن الأمانة من أهم الفضائل الأخلاقية والقيم الإسلامية والإنسانية والتي وردت كثيرة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وقد أولاهها علماء الأخلاق أهمية كبيرة على مستوى بناء الذات والشخصية، وعلى العكس من ذلك (الخيانة) التي تعد من الذنوب الكبيرة والردائل الأخلاقية في واقع الإنسان وسلوكه الاجتماعي. والأمانة هي في الحقيقة رأس مال المجتمع الإنساني والسبب في شدة أواصر المجتمع وتقوية الروابط بين الناس في نظامهم الاجتماعي وحياتهم الدنيوية والأخروية، ولهذا شدد أهل البيت عليه السلام عليها كثيرة، وللإمام زين العابدين عليه السلام في هذا المجال تعبير عجيب،

(١) محمد تقي المؤمن، القيادة الواعية، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٧٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

حيث يقول لشييعته: (عليكم بأداء الأمانة، فو الذي بعث محمد ﷺ بالحق نبيا، لو أن قاتل أبي الحسين بن علي ؑ ائتمني على السيف الذي قتله به لأديته إليه).^(١)

إن الأمانة من الصفات التي تربط الإنسان من جهة مع الله تعالى، وكذلك تربطه مع غيره من أفراد البشر، ومن جهة ثالثة ترسم علاقته مع نفسه أيضا ومع الطبيعة والبيئة، بل إن جميع النعم المادية والموهب المعنوية الإلهية على الإنسان في بدنه ونفسه هي في الحقيقة أمانات بيد الإنسان. في حين أن الخيانة بمثابة النار المحرقة التي تحرق جميع العلاقات الاجتماعية وتؤدي إلى الفوضى والفقر والشقاء، وبالتالي تخريب الأطر الإنسانية والحضارية في المجتمعات البشرية.

روي عن الإمام الصادق ؑ أنه قال: (إن الله عزوجل لم يبعث نبيا إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر).^(٢) إن هذا التعبير يوضح أن جميع الأديان السماوية قد جعلت الصدق والأمانة جزء مهم من تعليماتها الدينية والإنسانية ومن الأصول الثابتة في الأديان الإلهية.

وقد ورد ذكرت الأمانة في القرآن بالنسبة إلى ستة من الأنبياء بعبارة: (إني لكم رسول أمين)^(٣) عن النبي نوح ؑ في (سورة الشعراء، الآية ١٠٧)، والنبي هود ؑ (سورة الشعراء، الآية ١٢٥)، والنبي صالح ؑ (سورة الشعراء، الآية ١٤٣)، والنبي لوط ؑ (سورة الشعراء، الآية ١٦٢)،

(١) الأمالي للصدوق، المجلس الثالث والأربعون، ح ٦/٣٧٤.

(٢) أصول الكافي، ٤، ج ٢، ص ١٠٤، باب الصدق وأداء الأمانة، ح ١.

(٣) سورة الشعراء، الآية ١٠٧.

والنبي شعيب (سورة الشعراء، الآية ١٧٨)، والنبي موسى (سورة الدخان، الآية ١٨)، وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية هذه الفضيلة الأخلاقية إلى جانب مهمة إبلاغ الرسالة الإلهية، وبدون ذلك لا يمكن لهؤلاء الأنبياء من كسب ثقة الناس واعتمادهم على أقوالهم.

إن ما ورد من الأحاديث الشريفة عن النبي الأكرم ﷺ والأئمة المعصومين عليه السلام يحكي عن الأهمية البالغة لهذه المسألة، حيث وردت الأمانة تارة بعنوان أنها من الأصول والمبادئ الأساسية المشتركة بين جميع الأديان السماوية وتارة أخرى بعنوان أنها علامة للإيمان، وثالثة بعنوان أنها سبب نيل الرزق والثروة والثقة والاعتماد لدى الناس وسلامة الدين والدنيا والغني وعدم الفقر وأمثال ذلك، ففي حديث عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: "لا إيمان لمن لا أمانة له." (١)

وورد عن رسول الله ﷺ تعبير شديد، حيث قال: "لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والمعروف وطننتهم بالليل، ولكن أنظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة." (٢)

والهدف من هذا التعبير ليس هو أن هؤلاء لا يهتمون بصلاتهم وصومهم أو يستحقون بحجتهم وإنفاقهم، بل الهدف هو أن هذه الأمور ليست هي العلامة الوحيدة لإيمان الفرد بل هناك ركنان أساسيان لدين الشخص، أي الصدق والأمانة.

(١) النوادر، الراوندي، ص ٩١.

(٢) الأمالي، ص ٣٧٩، المجلس الخمسون، ح ٦/٤٨١.

المطلب الثالث

بناء السلطة في فكر المرجع اليعقوبي

لأول مرة في تاريخ الرسائل العملية لعلماء الحوزات العلمية الشريفة نجد احد المراجع يبين للمقلدين واجبات المرجعية تجاههم، ومن احد واجبات المرجعية الحركية هو تقديم الأفكار والمشاريع والرؤى التي فيها صلاح للعملية السياسية ونجاحها واعطائها دفعة الى امام، كما أن بيان الموقف الشرعي للجماهير ازاء مختلف الأحداث والقضايا التي تواجهه كالانتخابات و الترددي الامني وغيرها وكذلك تقويم العملية السياسية والتنبيه الى الاخطاء لتصحيحها والاشادة بالمحسن وتنبيه المقصرين ومساعدتهم في علاج التقصير وتجاوزه ومن هذا المنطلق في توجهات المرجعية فإننا نقسم هذا القسم من البحث إلى التفرعات التالية.

أولاً: المرجعية وتقديم الأفكار الاصلاحية

١- الإصلاح السياسي

انطلاقاً من شعور المرجعية الرشيدة بمسئوليتها تجاه الامة ورعايتها وحل مشاكلها، وفي حماية مصالحها وتحصيل حقوقها، تعتقد المرجعية أن الخطوات التالية كفيلة بتخفيف الاحتقان السياسي الذي هو السبب الرئيس للعنف وبين ان العمليات العسكرية وحدها لا تكفي لحل مشاكل البلاد بل لابد من حل سياسي يضمن للجميع حقوقهم ويؤسس لشراكة حقيقة في ادارة البلاد واقتسام ثرواته كما ان اي مشروع سياسي للحل يتوقف ايضاً

على وجود ارادة صادقة وجدية من قبل السياسيين المهيمنين على القرار السياسي وإدارة البلاد وهو يتطلب التخلي عن مقدار ما من الأنانية والمصالح الشخصية ورعاية الصالح العام وإرضاء الله سبحانه وتعالى وتخفيفا عن هذا الشعب المضطهد المحروم وفيما يلي الخطوط العريضة لهذا المشروع^(١)، والمتمعن بهذه الخطوات التي اكدها المرجع قبل حوالي ٩ سنوات فسيجدها عنوانا متكاملًا للحل والاصلاح السياسي الشامل واليوم تخرج التظاهرات في النصف الثاني للعام ٢٠١٥ بعد طول هذه الفترة تطالب بالإصلاح بينما المرجعية نبهت عن ذلك منذ أكثر من ٩ سنوات.

وتعهد كل القوى السياسية بالالتزام بوثيقة مكة المكرمة التي الزمت الجميع بالثواب الوطنية كوحدة العراق وسيادته وتساوي ابنائه أمام القانون ونبذ العنف والطائفية وغيرها.

وأن يكون رئيس الحكومة شجاعا حازما لا يخضع لابتزاز الكتل السياسية ويقف على مسافة واحدة من الجميع وان يعتمد الكفاءة والنزاهة والوطنية والإخلاص في اختيار الوزراء بمعونة الكتل السياسية المكونة للبرلمان والممثلة للشعب.

واعطاء دور فاعل للمعارضة الايجابية باعتبارها جزءا مقوما للعملية

الديمقراطية من خلال عقد مؤتمر للقوى السياسية الخارجية عن الحكومة والبرلمان لكنها تؤمن بالعملية الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة ونبذ

(١) خطاب المرحلة ١٠٥.

العنف، ويهدف المؤتمر الى تشكيل مجلس مصغر يمثل هذه القوى.^(١)

٢: الإصلاح الاقتصادي

تعاني البلاد من مشكلة البطالة وازدياد نسبة الفقر والبؤس وزيادة نسبة العاطلين عن العمل، بل أن الكثير منهم هم من حملة الشهادات الجامعية العليا، وترى المرجعية أن لهذه المشكلة تداعيات خطيرة منها تداعيات اجتماعية ونفسية وأمنية واقتصادية على البلاد ومهما يكون القطاع العام فإنه لا يستوعب تلك الاعداد الكبيرة من الشباب الباحث عن العمل، وان تشغيل الجميع في مؤسسات الدولة يؤدي لنشوء البطالة واستنزاف المال العام بلا معنى، اذ أن الموازنة التشغيلية هي اربعة اضعاف الموازنة الاستثمارية، ومثل هذا التحليل يدركه اساتذة الاقتصاد وهو يرى ان تشغيل الجميع في القطاع العام لا يحرك الاقتصاد بل يحول الدولة إلى دولة مستهلكة فقط وغير منتجة ومترهلة وذات بطالة مقنعة، وبعين المراقب المتمكن من الصناعة فإنه يوجد الحلول اللازمة لتنشيط الاقتصاد وتحريك عجلته وذلك بتنشيط الاقتصاد الخاص والعمل باقتصاد السوق، ويلقي على عاتق السلطة مسؤولية تنشيط هذا القطاع لتخفيف الضغط على موازنة الدولة، وهو يرى أن الحاجة الى تنشيط القطاع الخاص متأتية من الوضع الذي تعيشه البلاد فهناك آلاف من اليتامى والأرامل والمعاقين والمعوزين والمرضى وغير القادرين على العمل والعازفين عن الزواج بسبب الفقر والفاقة والحاجة

(١) السيد محمد معن الموسوي وحسن رشك غياض، معالم الفكر السياسي للمرجع العقبوي

قراءات في الأدوار والأهداف، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٧١.

المتزايدة الي بناء الملايين من الوحدات السكنية لاستيعاب المتزايد والمضطرد من السكان لذلك.

فان معالجة مشكلة البطالة وازدياد نسبة الفقر والبطس وزيادة نسبة العاطلين عن العمل، يقع على عاتق الجميع في مساعدة هذه الفئات ورفع معاناتها فان كل منظمات المجتمع المدني وكل المؤسسات الخيرية تعتمد على المبالغ المخصصة لها فتستهلكها وتبقى مكتوفة الأيدي امام تعاضم هذه المشكلة لكن حتى هذه المؤسسات اذا فكرت بالاستثمار فأنها ستتحول الى الاكتفاء الذاتي اذا ما فكرت بالدخول باعمال استثمارية فأنها ستنجح في سد الكثير من احتياجاتها.

سماحة المرجع يرسم خارطة طريق لتشغيل العاطلين في القطاع الخاص من خلال تنشيط هذا القطاع ودعمه في مشاريع الاستثمارات الزراعية والصناعية والثروة الحيوانية وغيرها وكذلك فان تنشيط التجارة والأعمال الصناعية ونحوها من الفنون التي لا يجيدها كل الناس بل أن البعض منهم ممن لديه الفطنة والكفاءة في مباشرته ولكن ضيق الحال تمنعه من ذلك.

فعلى الدولة أن توفر لأصحاب الكفاءات والمهن نقطة الانطلاق،

اضافة الى تشكيل الشركات المساهمة من تجميع الفوائض المالية من الأموال التي تزيد عن حاجة الموظف او الكاسب فيمكنه من الاستثمار في هذه الشركات لتشغيلها ويضرب مثلاً رائعا حول البنوك الاسلامية وكيف انها سلمت من تداعيات الأزمة المالية التي ضرب العالم وذلك لكونها لا تأخذ المال من المودع قبل ايجاد المشروع الذي تستثمر فيه هذه الأموال

المستلمة من المودع او من الراغب باستثمار امواله فيها، وبذلك فان امواله تحرك من خلال الاستثمارات وليس من خلال الفائدة التي تعطىها البنوك الأخرى غير الإسلامية والتي هي نوع من انواع الربا.

ويضرب سماحته عشرات الامثال من السيرة النبوية الشريفة وسيرة الأئمة (عليهم السلام) عن الامام الصادق قوله (التجارة تزيد في العقل) لأنها تكسب خبرة وتجربة وحنكة ونضجا ومعرفة بأحوال الناس وصفاتهم وسلوكياتهم، واعتبروها عنوان عز الانسان، وفي خبر صحيح عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال لمواليه: (احفظ عزك قال وما عزي جعلت فداك؟ قال (عليه السلام) غدوك الى سوقك وإكرامك نفسك).

ويحذر الامام الصادق (عليه السلام) من عاقبة ترك التجارة ويورد سماحته مثلا اخر عن فضل العمل بأعمال التجارة، فعن الفضل بن يسار اذ قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) اني قد كففت عن التجارة وأمسكت عنها، قال (عليه السلام) ولم ذاك (أي لماذا)، اعجز فيك، كذلك تذهب اموالكم، لاستكفوا عن التجارة والتمسوا من فضل الله عز وجل.

فان عدد من أصحاب الأئمة (عليهم السلام) كما نقل في المجامع الروائية، يمتلكون ما يشبه اليوم بالشركات المساهمة التي تستثمر اموالاً للناس، ومنهم يزيد العجلي وهو من وجوه اصحاب الامامين الباقر والصادق (عليهم السلام) وفي رواية صحيحة انه ارسل بسؤال الى الامام الصادق (عليه السلام) عن طريق صهره محمد بن مسلم وهو من افقه أصحاب الإمامين (عليهم السلام) سل لي أبا عبد الله (عليه السلام) عن شيء اريد ان اصنعه، أن للناس في يدي ودائع وأموال اتقلب فيها، وقد اردت ان اتخلي من الدنيا وادفع إلى كل ذي حق حقه،

فأجاب الامام (عليه السلام) بالنهي. اي بمعنى ان هذا الرجل كانت له ودائع للناس يستثمرونها عنده ويريد أن يترك تلك الاستثمارات ويعيد الأموال إلى أصحابها اللذين اودعوها لديه لغرض الاستثمار، والامام منعه من ذلك ليدل على كراهة ترك الاستثمار والدعوة لمواصلتها.

ويسوق سماحته عشرات الأمثلة من سيرة الأئمة (عليهم السلام) حول موضوع بناء الشركات المساهمة وتنشيط القطاع الخاص من اجل تنشيط عمليات الاستثمار والعمل بالقطاع الخاص.

كما يري سماحته أن في تجربة الامام علي (عليه السلام) خير مثال لفائدة القطاع الخاص في تفعيل الاقتصاد والحياة الاقتصادية للدولة، ويرى في رسالة الامام (عليه السلام) الى عامله على مصر مالك الأشتر خير مثال لذلك اذ جاء فيها ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، وقيمونه من اسواقهم.

يقول سماحته أن الاستقرار والأمن كلما ازداد في العراق فان الشركات الاجنبية ستأتي الى العراق شيئاً فشيئاً وهذا يعني ازدياد الخبرة والتجربة للمجتمع في مثل هذه الاعمال التجارية والاستثمارية وتشكيل الشركات فأنها ستمنح الفرصة الأكيدة للمنافسة مع الشركات الأجنبية التي ستدخل الى العراق، وهو ما يحذر منه اصحاب الاختصاص، اذا أن البقاء على ما هو

عليه كما الآن سيحرم العراقيون من فرصة المنافسة وهو ما حذر عنه سماحة المرجع قبل تدارك الموقف وبدء التجربة من الآن لأنها ركيزة لأمن المستقبل.

ويري سماحته أن تنشيط القطاع الخاص والمواجهة الحضارية^(١) سيوفر السير في هذا الاتجاه اي ان تنشيط القطاع الخاص يحقق الامور التالية:

- استيعاب الأيدي العاملة والقضاء على البطالة بدرجة كبيرة.
- انها مساهمة كبيرة في ازدهار البلاد وأعمالها وتطويرها اذ المعلوم اقتصاديا أن مساهمة القطاع الخاص في اقتصاد وأعمار الدولة لا يقل شانا عن مساهمة القطاع العام الذي ترعاه الدولة خصوصا الناهض من ركाम الحروب والدمار والقتل والتخريب.
- انها خطوة ناجحة لمعالجة الفساد المالي والإداري الذي تعاني منه الدولة بسبب تصدي التجار والفاستدين والشركات الطفيلية لمقاولات البناء والأعمار والتجهيز وغيرها فيكون الحل بتسليم البديل الصالح لهذه المسؤولية.

- ان التوجه في العراق الجديد يسير نحو الاقتصاد الحر وسيكون في يوم ما مسرحا لتنافس الشركات العالمية بكل ما تحمله من تأثيرات اخلاقية وثقافية واجتماعية واقتصادية فلا بد لأبناء البلد من الاستعداد لملء الفراغ بالمقدار الذي يمنع من التداعيات والتأثيرات السلبية الذي تقتضيه العولمة. وهذه المنافسة لا تولد في لحظة وإنما تتطلب شروعا مبكرا وتضافر جهود الجميع.

- ان لدى الناس فوائض نقدية لا تنتج شيئا بمفردها لقلتها كليون او مليونين وهم يرغبون باستثمارها فيما يكون الحل بتأسيس شركات مساهمة

(١) خطاب المرحلة ٢١٠، تنشيط القطاع الخاص والمواجهة الحضارية.

تجمع هذه الأموال وإلا فأنهم لحرصهم على عدم تجميد أموالهم يقعون في فخوخ الشركات الوهمية والمحتالة التي تعتمد التسويق الشبكي وأمثالها فتتحمل نحن مسؤولية ايجاد البديل.

- أن بعض الوظائف الحكومية سواء كانت مدنية أو عسكرية فيها ظلم وعدوان وارتكاب للمحرمات الشرعية وان الموظف المنتسب لا يمكنه التخلف عن تنفيذ الأوامر فهو مضطر للاستجابة وإلا سيفصل من وظيفته وهكذا يتحول اداة للظلم وهو ما حذر منه الأئمة (سلام الله عليهم) والقران الكريم وان عاقبته اليمه فالأسلم للإنسان المؤمن أن يتعد عن مثل هذه الوظائف ويطلب الرزق الحلال في غيرها.

من المعلوم أن الاقتصاد عصب الحياة ومن يمتلك زمام الاقتصاد ويكون له دور مؤثر فيها فانه سيكون مؤثرا في كل معالم الحياة الاخرى السياسية والاجتماعية وحتى العقائدية، ولقد كان من تخطيط أئمة أهل البيت (عليه السلام) لأتباعهم هو استقلالهم اقتصاديا عن الحكومات مما ساعدهم على حفظ هويتهم وخصوصياتهم وجنبوا انفسهم من الذوبان في الأنظمة الحاكمة التي التفتت إلى عنصر القوة هذا في مدرسة اهل البيت (عليه السلام)، فعملوا دائما على تجفيف منابع المالية لأتباع اهل البيت ومصادر أموالهم فكان الاستقلال الاقتصادي وسيلة لحریتهم وكرامتهم.

-ان رواتب الموظفين الحكوميين غالبا، عدا ذوي الدرجات الخاصة لا تكفي لسد الاحتياجات الأساسية للمعيشة فضلا عن تلبية متطلبات الحياة الكريمة لذا فالموظف اما ان يبقى يعيش حالة الكفاف وجشوبة العيش، أو أن يتوجه الى الوسائل غير الشريفة والعياذ بالله، أما التوجه إلى القطاع

الخاص فإنه يفتح فرصا وأفاقا واسعة للكسب والاسترباح.^(١)

٣: اصلاح الوضع المالي والإداري

تجري هذه الايام تداول مصطلح الفساد الاداري والمالي في ارقه الدولة العراقية وتحظى تلك الظاهرة باهتمام المؤسسات الرسمية والمرجعات الدينية ومنظمات المجتمع المدني وتخرج في كل جمعة التظاهرات الجماهيرية التي تطالب بمعالجة مسألة الفساد المالي والإداري، ولكن المرجع اليعقوبي (دام ظلّه) هو اول من نبه إلى هذه الظاهرة واعتبره الخطر الأهم والسبب الرئيسي للخراب وتعتبر مصدر رئيسي لتفريخ الارهاب ودعمه وانتشاره، ورغم وجود جهات رقابية عديدة كالنزاهة والرقابة المالية والمفتشين العموميين في الوزارات لكنها لم تقف حائلا دون انتشاره.

ويؤشر المرجع الى السبب الرئيسي وهو هيمنة رؤساء الكتل السياسية الفاعلة والمؤثرة في المشهد السياسي لتوفير الغطاء لأعضاء احزابهم وأعضاء كتلهم، ويشير الى ابواب عديدة ساهمت في انتشار الفساد ومنها ما هو سياسي لان المسؤولين عن النزاهة، لا يمكنهم الخروج عن طاعة وإجماع كتلهم السياسية خوفا من العزل او خوفهم من فقدان الاستقواء عند الحاجة (توفير الحماية لهم من تعدي الكتل الاخرى، وتوفير الملاذات عند الحاجة)؛ وما هو اداري لكون الوزير والمفتش من نفس الكتلة وهذا يؤدي

(١) السيد محمد معن الموسوي وحسن رشك غياض، معالم الفكر السياسي للمرجع اليعقوبي

قراءات في الأدوار والأهداف، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٨٧

الى سيادة روح التضامن والتكافل في اخفاء اثار جريمة الفساد، وكان هذا التأشير قبل اكثر من عشر سنوات، والمطالبة بوضع الحلول له وهذا يدل على بعد النظر الذي تتمتع به المرجعية، والأكثر من ذلك فان المرجعية تضع حلولاً غاية في الابداع والحكمة والفلسفة السياسية لمعالجة مثل هذه الأمور، ومنها: ^(١)

- اعادة النظر في تقييم الأشخاص والمؤسسات اداريا وهيكليا.
- جعل المفتش في الوزارة مستقلاً عنها ويؤسس ديوان للمفتشين العموميين ويكون رئيس هذا الديوان بمرتبة وزير وأما المفتش فيكون بمثابة وكيل وزير.

- يجري ترشيح الاشخاص المسؤولين عن اجهزة الرقابة والتفتيش من الأشخاص الكفوئين والمستقلين او من الكتل والأحزاب غير المشاركة بالحكومة ومثل هذه الخطوة تؤسس لاكتمال الديمقراطية وصنع معارضة حقيقة داخل النظام تمارس دورها المؤثر في تقويم المسيرة ورصد الأخطاء ومثل هذه العملية توفر مصداقية لأجهزة الرقابة والتفتيش وصيانة المال العام.

مثل هذه العملية تخفف من الاحتقان السياسي الناشئ من الاقصاء والتهميش وستكون مثل هذه المشاركة ممارسة مهمة لنزع فتيل الازمات لان المعارضة السياسية الايجابية ستأخذ دورها في بناء النظام السياسي للدولة العراقية على اسس ديمقراطية. مثل هذه العملية ستوفر انسيابية في

(١) خطاب المرحلة ١٢٧.

تشكيل الحكومة بعد أن يطمئن السياسيون الى تواجدهم في النظام السياسي وعدم اقصائهم او تهميشهم. لان الكل سيشعر بان له مكان في الحكومة من خلال المشاركة في بناء المؤسسات الرقابية لعمل الحكومة.

ثانياً: المرجعية وتقوية اعمال السلطة

بعد ان بين سماحته الخطوات العملية لبناء الدولة ورسم ملامح هياكلها وسلطاتها ومؤسساتها وبين الأساس الشرعي لكل مفصل من مفاصلها من خلال دعوة الناس للمشاركة في الانتخابات العامة للجمعية التأسيسية لكتابة الدستور وبين موقف الشرع من الفصل بين السلطات وكذلك بين مبدأ تعدد السلطات ومبدأ ولاية الامة على نفسها وحاجة الامة الى الدستور والسلطة لتدبير امورها وحاجة الامة الى منظمات المجتمع المدني وكذلك موقف الشرع من مبادئ حقوق الانسان والرأي العام والمعارضة وغيرها من الاشتراطات لبناء الدولة العصرية المدنية الحديثة.

واصل المرجع رعايته لهذه الدولة من خلال الرقابة على تصرف سلطاتها تجاه الناس ومدى ايفائها بالوعود التي قطعها على نفسها في سبيل الوصول الى سدة الحكم من خلال عدة نقاط نشير اليها باختصار:

١. الاستئثار بالسلطة يسبب العنف السياسي

منذ البدء بالعمل السياسي اشرت المرجعية الرشيدة الى حالات خطيرة لدى الكتل السياسية الفائزة بالانتخابات التشريعية بعد اقرار الدستور فقد استأثرت بالسلطة وتفردت بالمغانم والمكاسب التي توفرها السلطة مما قد يسبب الحيف والظلم والجور على عامة الناس وقد تصير الناس على

مستوى معين من الحرمان والتعسف لكن صبرهم لا يستمر إلى ما لا نهاية وعندما يتسبب الحرمان من ابط حقوق الحياة الانسانية الكريمة لدرجة لا تطاق فان الصبر والتصبر لا يجدي نفعا ويتفجر الوضع بالضد من الدولة والسلطة على وجه الخصوص.

وهذا ما عبر عنه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري اذ يقول (عجبت لمن لا يجد القوت في بيته ولا يخرج شاهرا سيفه) وهو الحالة التي يشير اليها المرجع لحال السلطة قبل حوالي ١٠ سنوات من تفجر الأوضاع في المدن الغربية كالرمادي والموصل وصلاح الدين مما ادى الى اتساع الهوة بين السلطة وبين عموم الناس مما ادى الى كوارث حقيقة دفع ثمنها ابناء الشعب العراقي من خلال استغلال داعش إلى تلك الفجوة بين الشعب وبين السلطة والذي سهل من تغلغل داعش الى اعماق النفوس وكان ذلك الاحتلال المهين لثلاث اراضي البلد مما بنيت على اساسه تلك الأحوال المزرية التي نشاهدها الآن من عمليات القتل والتهجير وسبي النساء ومثل هذه الظاهرة اشرتها المرجعية منذ زمن طويل فأمرت حزب الفضيلة في حينه الذراع السياسي لها بالانسحاب من الائتلاف العراقي الموحد ليكون كتلة خاصة به.

58 ٢ - انحراف السلطة عن مسارها الذي رسمه الدستور

منذ وقت مبكر لاحظ سماحة المرجع ان هنالك بوادر انحراف لدى السلطة بعد أن بدأت العملية السياسية بالسير نحو العمل الحكومي وفقا للدستور وبعد وقت قصير من العمل بالدستور الذي سن في أواخر العام ٢٠٠٥ أي بعد أشهر قليلة من بدء العمل الفعلي به وإذا بالمرجع يؤشر الي

كون هؤلاء السياسيين لا يستطيعون أن يكبحوا جماح شهواتهم وغير قادرين على قيادة انفسهم لانهم ينظروا الي انفسهم ومصالحهم الشخصية والحزبية، وقد لاحظ المرجع ان مثل هؤلاء لا يستطيعون حل مشاكل الناس وإصلاح احوالهم لأنهم يمارسون النفاق والاستخفاف بمشاعر الناس كونهم يجتمعون على موائد الطعام وتشاهدهم الناس من على شاشات التلفزة وبقية الناس يتصورون جوعا وبلا مأوى ويتبادلون الابتسامات والقبلات والقتل والدمار يملا شوارع البلاد، لذلك فان هذه اللامبالاة تؤثر لحال خطير.

ويعبر المرجع عن ذلك بالقول: ان النار اذا لم تحرق هؤلاء السياسيين ولم تضر بمصالحهم وتبقي مقتصرة على الابرياء فأنهم سوف لن ينتبهوا الى واقعهم، ولأنه من شر البلاء الذي ابتلينا به هو أن يفقد هؤلاء السياسيين لكل المشاعر الانسانية والإسلامية والوطنية ولكل حرص على المواطن، وأنهم اذا لم يحترقوا بالنار فأنهم لا يحلون مشاكل البلاد.^(١)

كما أن المرجع لاحظ منذ وقت مبكر ان هنالك انحراف للسلطة وأن هنالك تدليس من قبل القابضين على السلطة، واللطيف في الأمر بينما اصحاب الشأن من البرلمانين وهم المعنيين اصلا بالموضوع لم ينتبهوا إلى الأمر إلا أن نهتم المرجعية من خلال بيانها بمناسبة عيد الاضحى المبارك الذي صادف في ٢٠٠٦/١٢/١٣، وبين المرجع في هذا البيان أن السلطة قدمت الموازنة بنفس الاخطاء التي درجت عليها خلال السنوات الماضية

(١) خطاب المرحلة ١٢١.

وفيها الكثير من الارتجالية والعبثية وكثرة منافذ الاختلاس والسرقة للمال العام وخلوها من المشاريع الاستراتيجية والإصلاحات الاقتصادية الحقيقية، كما انها تركزت الباب واسعا الهدر المال العام حتى أن وزير المالية السابق اعترف بسرقة (٥) خمسة مليارات دولار وهو رقم ضخّم جدا لو كلفت السلطة نفسها واستعادته لما احتاجت إلى قرض البنك الدولي الذي اشترط عليها رفع الدعم عن البطاقة التموينية والمشتقات النفطية وزيادة الضرائب التي من خلالها ستضيف ارقاما اخرى لمستوى الفقر البؤس والحرمان للشعب العراقي.

ومثل هذا الموضوع قد نبهت عنه المرجعية الرشيدة عند العام ٢٠٠٦، والشعب العراقي ومرجعية النجف تتظاهر الآن في العام ٢٠١٥ حول الفساد المالي والإداري وضرورة الإصلاحات اي بعد عشر سنوات من اشارة المرجعية الحركية الرشيدة لهذا الموضوع وكما نبهت الي آن احدى وسائل السلطة في تمرير الموازنة على علتها هو ان الكتل الداعمة للسلطة والمشاركة لها في الفساد قادرة على افتعال الاساليب الشيطانية لتأخير الاقرار وزيادة الضغط الشعبي على البرلمان مما يؤدي الى الاسراع بإقرارها دون المرور بمزيد من التمعن والمناقشة.^(١)

ولم يترك سماحة المرجع مناسبة الا ويعبر فيها عن رضاه من الانحراف الذي ينتاب السلطة وعن الاستثثار والتفرد بالقرار السياسي وعدم الاصغاء إلى نداء الشركاء، حتى بين للشعب العراقي في خطبته الشهيرة على اسماع

(١) خطاب المرحلة ١٤٦.

الآلاف المعزين باستشهاد الصديقة الطاهرة الزهراء (س) في أواخر العام ٢٠٠٧ في ميدان ثورة العشرين في النجف الأشرف، اذ بين ان اعداء الشعب ثلاثة هم الارهاب والاحتلال وفساد الحكومة وهي علامة خطيرة أن يضع تصرفات الحكومة بنفس المستوى من الارهاب والاحتلال لان السلطويين جعلوا دم العراقيين وحضارتهم وعزتهم ثمنا لصفقاتهم ولصراعهم على المغامر وعلى المصالح وتقاسم النفوذ والهيمنة، كذلك فإننا نسمع عن فضائح سرقة أموال الشعب العراقي حتى تصدر العراق قائمة الدول الفاشلة والمتهمه بالفساد.

ويقول المرجع في خطبته تلك أن الاحتلال والارهاب خطران عظيمان يواجهان العراق وشعبه وسببان للمصائب والويلات التي حلت بالعراق، لكن الأخطر منهما والذي يوفر عنصر البقاء والنمو هو العنف السياسي الناشئ من الصراع على السلطة والاستئثار بثروة الشعب والاستبداد بالقرار، وينظر الكتل السياسية بعضها إلى بعض على انهم خصوم وليسوا شركاء في بلد واحد وركاب سفينة واحدة والتسابق إلى حيازة المغامر على حساب الشعب العراقي من ابسط حقوقه، واعتبار السلطة وسيلة للإثراء غير المشروع وليست وسيلة لخدمة المواطن وأعمار البلد، وتوزيع المناصب على اساس الولاء للكيان لا على اساس الكفاءة والنزاهة والإخلاص للوطن والشعب، وهذا هو الذي مزق الشعب وخرّب الدولة وجعل الكتل السياسية منشغلة عن الشعب وهمومه بعقد الصفقات وسحق الخصوم حتى لو احتاج الأمر إلى التواطئ مع الجهات الأجنبية.

ويري سماحته أن الشرعية المكتسبة من صناديق الانتخابات مشروطة

بالوفاء بالبرامج السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي وعدو بها الناخبين^(١). فإذا لم يفوا بها ويخدموا الشعب ويوفروا له حقوق الحياة الحرة الكريمة فعليهم التنحي طوعا او كرها (ويوجد المرجع الأساس الشرعي والقانون الالهي في سبيل تنحية هؤلاء في الآية الكريمة المباركة (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم)^(٢)). وهذا المبدأ الذي طرحه المرجع هو اروع ما انتجته البشرية في سبيل تعزيز الديمقراطية والوفاء بمبدأ حكم الشعب لنفسه اذ ان الوفاء لطموحات الشعب هو الغاية من الفوز بالانتخابات والحصول على السلطة وليس الفوز بالانتخابات من اجل تقاسم النفوذ والمغانم ورعاية مصالح الحزب والكتلة التي يتتمون اليها فقط.

٣- رفع اليد عن دعم السلطة وعدم تبني أفعالها

بعد الأداء غير المقنع، للسلطة بعد تشكيلها مع بدء الحياة البرلمانية للبلاد وفقا للدستور النافذ في العام ٢٠٠٦، وبيان حالات الظلم والاستثثار التي اتسمت بها تلك السلطة واستمرار حالات الخراب والدمار وزيادة مستويات الفقر والحرمان والاضطهاد وتبديد الثروات وعدم المبالاة بأحوال الناس، مما جعل المرجعية تخرج امام الجمهور الذي دعتهم فيه للمشاركة في الانتخابات، ولكون هذه المرجعية لا تستطيع تبرير افعال السلطة وتكون

(١) سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي، المقطع الثاني من الخطاب الذي القا على جموع المعزين باستشهاد الزهراء في ساحة العشرين النجف في ٣/ جمادى ٢ / ١٤٢٨ / نهاية عام ٢٠٠٧.

(٢) سورة محمد ٣٨.

مظلة شرعية لعملية منحرفة وظالمة ولا يصح منها أن تكون أداة يحقق بها المستأثرون مآربهم الشخصية على حساب المستضعفين والمحرومين الذين ضحوا بأنفسهم وخرجوا للمشاركة في الانتخابات ليجلس هؤلاء المستأثرين على أرائك الحكم ويصادروا حقوق العباد لذلك فان المرجعية الرشيدة رفعت يدها عن مواصلة دعمهم لان مواصلة الدعم^(١) سيوفر الشرعية الدينية لتواجههم على راس السلطة وان مواصلة دعمهم سيؤدي الى ان تحل الكارثة بالأمة والبلاد.^(٢)

ثالثاً: المرجعية وتصحيح مسار السلطة

١ - تحذير الجمهور من الاستغفال من قبل السياسيين والسلطة الظالمة وانطلاقاً من رعايته الابوية للجمهور وشعوره بالمسئولية الأخلاقية والشرعية امام الامة وسعيه لزيادة وعيها وتحذيره لها من الذين يلعبون بمشاعر الجمهور من اجل التسلق على رقابهم والقبض على السلطة ومن ثم التخلي عنهم ورعاية مصالحهم ومصالح كتلهم وحينما شعر سماحته أن هذه الحالة تكررت في اكثر من محفل انتخابي فإنه ساق مجموعة من التحذيرات للناس جاء فيها:^(٣)

الأول: أن ما يسمى بمصطلح ركوب الموجه وذلك بان يستغل مطالب

(١) خطاب المرحلة ١١٨.

(٢) السيد محمد معن الموسوي وحسن رشك غياض، معالم الفكر السياسي للمرجع اليقوي قراءات في الأدوار والأهداف، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٩٦.

(٣) سماحة المرجع محمد اليقوي - خطبة عيد الفطر المبارك المصادف لجمعه ٩/ آب/

حقيقية ومشروعه للشعب، فينادي بها لغرض كسب الجماهير اليه والتقوى للضغط على خصومه لتحصيل مكاسب اكبر سواء كانوا داخل الحكومة أو خارجها، كالمطالبة بتحسين الخدمات وإيجاد وظائف للعاطلين أو معالجة الخروقات الامنية أو الغاء الرواتب التقاعدية الباهظة للبرلمانيين وأمثالهم وهي مطالب مشروعه تؤيدها وندعمها، لكن جهات مجهولة تحاول تحريك الناس تحت عنوان هذه المطالب لإغراض معينة على رأسها السيطرة على توجيه المجتمع والتحكم بحركته وانتزاع قيادته لتكون بيد جهات خفية تعمل على مواقع التواصل الاجتماعي وبدعم خارجي وداخلي ماليا وإعلاميا وسياسيا وليضغطوا بذلك على الجهات الفاعلة على الأرض حتى تسير في ركابهم.

الثاني: الهاء الشعوب بالألعاب والمتع واللهو والعبث لإشغالهم عما يجري من فساد وظلم وطغيان وتحويل انتباههم الى اللهو واللعب بدلا من القضايا الحيوية والحركة الواعية البناءة الى رفض ظلم وفساد أولئك الحكام وهذه السياسة يسمونها (استراتيجية الإلهاء) وتشمل سيلا لا ينتهي من الالعاب والبطولات والمسابقات والمهرجانات ونحو ذلك.

الثالث: خلق المشاكل وافتعال الأزمات لتمرير سياسات معينة تكون مرفوضة في الوضع الطبيعي مثلا يريدون دعم السلع الاساسية أو الضمان الاجتماعي أو الخدمات العامة كالصحة والتعليم فيخلفون ازمات مالية ليقتنعوا الشعب بضرورة اتخاذ هذه الاجراءات. أو يريدون مثلا وضع الشعب تحت المراقبة والتجسس عليه وجمع المعلومات التفصيلية عنه وتقييد حرياته وحركته، أو اعتقال وتصفية المعارضين، فيفتعلون مشكلة امنية

كتفجيرات مثلا او اظهار اعترافات شبكة تجسس وهمية وهكذا مما يجعل اتخاذ تلك الاجراءات امرا مقبولا وتسمى هذه السياسة (ابتكر المشاكل ثم قدم الحلول).

الرابع: استراتيجية التدرج باعتماد التدريجية في تطبيق التكتيكات حتى يصلوا إلى النتيجة التي يريدونها ولو فعلوها مباشرة لأحدثت ضجة وثورة عارمة كبعض الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية وقد تطول المدة أو تقصر بحسب اهمية القضية مثلا يريدون تقليل الرواتب فيتركون حالة البطالة تزداد ويستقدمون عمالة اجنبية رخيصة فيرضى المواطن بأقل ما يمكن.

الخامس: استثارة العاطفة بدل الفكر لتعطيل حالة الوعي والتأمل والتحليل وتمييز ما هو عقلائي عن غيره فيفقد الانسان قدرته على النقد البناء الذي يقود عملية الاصلاح كما أن استعمال المفردات العاطفية يسمح بالمرور الى اللاوعي حتى يتم زراعته بأفكار ومخاوف ونزعات او سلوكيات.

السادس: ابقاء الشعب في حالة جهل وحماقة بطريقة يكون غير قادر على استيعاب الطرق المستعملة للتحكم به واستعباده بان تكون نوعية التعليم المقدم للطبقات السفلى هي النوعية الأفقر حتى تبقى الهوة المعرفية التي تفصل الطبقات السفلى عن العليا غير مفهومة من قبل الطبقات السفلى.

السابع: التعويض عن الثورة ورفض الظلم والفساد والإحساس بالذنب يجعل الفرد يعتقد انه المسئول الوحيد عن تعاسته وان سبب مسؤوليته تلك

هو نقص في قدراته وقابلياته او تقصير في جهوده فيقوم بامتهان نفسه بان التحرك للتغير والإصلاح لن يجدي نفعاً.

ولا يخفى عليكم سريان بعض هذه الأساليب الى الشعائر الدينية. وهذه نماذج من وسائلهم لترويض الشعوب وتسييرها في ظل الديمقراطية الشكلية مستفيدين من ما كينة اعلامية ومؤثرة وتمويل ضخمة مصدرها ما سرقوه من اموال هذه الشعوب المغلوبة على امرها.

وأما المكر المستخدم لتحصيل المواقع الدينية المقدسة فهو لا يقل دهاء عن هذه وما تقوم به بعض الجهات المتنفذة بصناعة الزعامات التي يريدونها ويسوقونها الى الاتباع والمريدين الذين لا يتمكنون من المناقشة والتأمل لطول سياسة التهميش والتجهيل المتبعة معهم ولأنهم اوهموهم بان في ذلك خروجاً عن الدين ونحو ذلك فيسلمون بالنتيجة وهذه اخطر حالات المكر التي تتعرض لها الأمة وهي راضية بحالها مستسلمة للأغلال التي كبلوها بها ولا تسمع إلى العلماء المخلصين العاملين الواعين.^(١)

٢- الاساس الصحيح لبناء السلطة في الأنظمة الديمقراطية

ان المرجع ينتمي الى التيار الديني ولكونه امام للأمة ونائب عن الامام وانه يطرح افكاراً غاية في الابداع السياسي الذي يتناسب مع الطرح الحضاري الذي انتجته الحضارة البشرية ويرى ان اساس نجاح بناء اي تشكيل سلطوي للدول الديمقراطية يأتي من النظام الانتخابي الصالح والمشاركة السياسية الواسعة للشعب، فالمشاركة السياسية هي:

(١) السيد محمد معن الموسوي وحسن رشك غياض، معالم الفكر السياسي للمرجع اليعقوبي

أ - استحقاق انساني ووطني

وتعتبر المشاركة السياسية دلالة واضحة على امتلاك الشعوب للثقافة الديمقراطية والوطنية في ان واحد، وتعني هذه الظاهرة اشتراك الشعب في بناء سلطة وفقا للرؤى التي يؤمن بها. والمشاركة هي السبيل لإنتاج السلطة المعبرة عن تطلعات المجتمع ولإدراكه هذه الأهمية.

فإنه يوجب المشاركة في الانتخابات ويعبر عنها بكونها استحقاق انساني ووطني وواجب شرعي فهو يرى أن المشاركة هي استحقاق انساني لأنها تمثل اثنان ما في الوجود وهي الحرية بكل تجلياتها اذ ان الانتخابات تمثل حرية الاعتقاد والسلوك وحرية التعبير عن الرأي وحرية الانسان في اختيار من يمثله في صنع مستقبله، لأنها تعني اختيار من يمثلنا في ادارة شؤوننا وولاية امورنا، وحفظ النظام الاجتماعي العام ونحو ذلك.

ب - اثبات للمواطنة

المشاركة في الانتخاب هي التعبير عن المواطنة لأنه يعتبر ان من يحمل جنسية البلد فإنه يتمتع بهذا الحق وان المشاركة بهذه الممارسة تعني اثبات للمواطنة وإعلان للانتماء والهوية الوطنية ، وتكون هذه الممارسة هي استحقاق انساني ووطني لان استيفاء الحق والأخذ به يستحسنه العقلاء.

وذلك الان ثمرة الاختيار تعني حرية من يدير شؤون البلاد ويلبي امور العباد وتجري على يديه مصالح الناس وأمنهم وأرزاقهم العامة وتحصيل هذا الحق من اهم ما تسعى اليه الشعوب وتقوم من اجله الثورات العارمة، فالعقلاء لا يرضون بتفويت هذا الحق واهماله وقد اتاحت هذه الفرصة لممارسته وبلا مؤونة.

ج - وسيلة من وسائل تغيير السلطات

المشاركة في الانتخابات واجب شرعي امتثالا لقول رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلمه ليس وراء ذلك شيء من الايمان)، وقد شخص كل مواطن من خلال الفترة المنصرمة البناء الحالي للسلطة والذي تعتريه المفاصد والمظالم والقصور في الاداء للعملية السياسية وهذا يدفع ثمنه المواطن في امانه وصحته ورزقه ومستقبل ابناءه، فلا بد من قيام الكل بواجبه في التغيير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لان التغيير باليد مستطاع اليوم من خلال الادلاء بالأصوات ولا نحتاج الى القوة والعنف في عملية التغيير وهنا فان المرجح يعبر عن اسمي انواع الرقي السياسي لأنه يدرك أن وسائل تغيير السلطات تتم بنوعين من تلك الوسائل اولهما عبر الانتخابات في الأنظمة الديمقراطية التي تتيح ذلك او القوة والعنف في الانظمة الاستبدادية التي لا توجد فيها مثل تلك الممارسة الانتخابية.

أن مسؤولية التغيير تلك تقع على عاتق الامة وجاء بالآية القرآنية مصداقا لذلك اذ يقول الله في محكم كتابه (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (١).

أن المسؤولية الملقاة على عاتق الامة هي ان تكون شاهدة على هذا الشخص بكونه مؤهل لوضعه في المكان المناسب وذلك الشخص سيء ولا يجوز له التصدي لشيء من امور الأمة.

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣.

وان واجب الشهادة يأتي من مفهوم الآية القرآنية (وَلَا تَكْتُمُوا
الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)^(١)، ولكون
هذه الشهادة تتعلق بحقوق الناس والأمة. قال أمير المؤمنين (أفضع الخيانة
خيانة الأمة).^(٢)

فإذا تقاعست الأمة ولم تدلي بشهادتها للمؤهلين لقيادة البلاد فأنها
تفسح المجال للمفسدين أن يعودوا إلى مواقعهم، والخيانة الأفضع والأسوأ
ان يجدد اعطاء صوته ويمنحه الثقة لنفس اللذين ظلموه وغضبوا حقه
وسرقوه ثرواته، ولم يرى منهم خيرا غير الصراعات، وكان يقول سأقطع
اصبعي البنفسجي عندما كان يرى مفسادهم ومظالمهم وعدم مبالاتهم ثم
يعود مرة ثانية وينتخبهم فهذه هي شهادة الزور على خلاف الواقع ولعله
يكون مشمولاً.. بمعنى من المعاني.. بعقوبة شاهد الزور.^(٣)

لذلك فان اختيار السلطة التي تتولى ادارة الحكم هي ضرورة عقلانية
ولا بد من المشاركة فيها لضمان وصول الصالحين الكفوئين اللذين
يستحقون منح الثقة بهم في هذا المجال وبراءة الذمة بانتخابهم.^(٤)

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٣.

(٢) نهج البلاغة، ج ٣ ص ٢٧.

(٣) خطاب المرحلة ٤٠٦.

(٤) السيد محمد معن الموسوي وحسن رشك غياض، معالم الفكر السياسي للمرجع اليعقوبي
قراءات في الأدوار والأهداف، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ١٠٣.

الفصل الثاني

قواعد النظام السياسي في الاسلام من منظور فقهاء الشيعة

شكل الفكر السياسي الاسلامي منطلقا لفهم التأمل الفكري للفقهاء الشيعة بنوع خاص الى شكل الدولة والحكومة ونوع الافراد القائمين عليه خاصة في زمن الغيبة الكبرى المباركة وقد بدى الفكر السياسي الشيعي منغلقا على نفسه لقرون عديدة متأثرا بفكرة الظهور الميمون وما ان تحولت ايران إلى التشيع ومن الدولتين الصفوية والقاجارية حتى تحرك الفقهاء لاستنباط العلاقة التي تربط السلطة الزمنية بالسلطة الروحية وبدات تلك البواكير على يد العلامة النراقي لتجد لها سبيلا في نطاق تفكير العلماء الذين تلوه ومنذ القرن الرابع عشر الهجري.

تحرك الفقهاء لبيان نظريات متعددة في شكل السلطة والحكومة من وجهة نظر الفقهاء وبينوا اكثر من نظرية ولكن الفضل في تحريك الوعي الشيعي يعود الى العلامة الشيخ محمد حسين النائيني لوجود اول نظرية دستورية فيها مجال لدخول الشيعة لإدارة السلطة لتأتي بعدها نظرية ولاية الفقيه والتي وجدت لها مجالا واسعا للتطبيق في ايران ولا زالت قائمة وتلاقي نجاحا باهرا بسبب طبيعة تقبل المجتمع الإيراني وتوافر اسباب نجاحها ومن ثم كتبت نظريات اخرى لإعلام الفكر الانساني الشيعي ومنهم السيد محمد باقر الصدر والسيد محمد مهدي شمس الدين.

ولكننا نرى مجالا واسعا لتطبيق النظرية الاسلامية لقيادة الدولة من خلال الخطوات التي قام فيها المرجعية الشاهدة لسماحة اية الله العظمى

الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) والذي عاصر الشهيدين الصدرين ونهل من علومهما الشيء الكثير وهو ابن المدرسة الصدرية والمثل الحقيقي لحوزتها الشاهدة، وبعد التغيير في النظام السياسي في العراق قدم سماحته رؤى وأفكار عديدة من اجل اقامة الدولة وبناء مؤسساتها على شكل لا يتقاطع مع النظرية الاسلامية ولا ينحاز كثيرا الى النظم العالمية العاملة في الساحة فإنه لا يمانع من بناء الدولة المدنية ولكنه لا يسمح باستنساخ تجربتها.

ومنذ بداية التغيير وتطبيق الدستور وبداية العمل بالنظام البرلماني وتشكيل الحكومة على هذا الأساس والمرجعية تعمل بجد واجتهاد من وحي مسؤوليتها الشرعية والأخلاقية تجاه ألامه فأنها ترقب وتلاحظ وتحلل وتنصح وتوجه وتدرس وتقتراح الحلول والإصلاحات لعلها تفلح في بناء نظام سياسي يوفر العدل والرفاهية للمجتمع لكي يحقق احد اهداف العباد في الرغبة بدولة كريمة، ومن هذا المنطلق بدأت المرجعية الرشيدة اعمالها فهي لا تترك مناسبة ألا وتتحدث فيها عن اي انحراف للسلطة وتعديل مسارها أو مقترح تراه مناسباً ويساعد على نجاح الحكومة.

ولكنها عندما يئست من الإصلاح فأنها تعمدت ارسال اشارات عدم الرضا للكتلة التي تألفت منها الحكومة فسحبت الحزب الذي يمثلها في العملية السياسية من الائتلاف العراقي الموحد تعبيراً لها عن دم الرضا بالأداء وجعلته منذ ذلك الحين بكتلة بنفس الاسم (كتلة الفضيلة النيابية)، ثم توجهت الى الوسائل التي من خلالها يتم التغيير لأنها مؤمنة بالحوار والدعوة اليه امثالاً لقوله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الحُسْنَةَ^(١) واقترحت خارطة طريق عنوانها المشاركة السياسية الواسعة وتبديل قانون الانتخابات من القائمة المغلقة الى القائمة المفتوحة لعله يساعد في التغيير لكن المال السياسي واستغلال متاعب الناس واستغفالهم اعادت السلطة الى سابق عهدها ولكن ذلك لم يمنعه من تقديم النصح والإرشاد وبرامج الحل السياسي والاقتصادي لعلها تنفع (فَدَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الدِّكْرَى)^(٢) وهكذا قدمت المرجعية الدينية الحركية اروع الأمثلة في الصبر والتخلي عن مكاسبها الروحية من أجل السعي لإسعاد البشرية وتنفيذ رغبة الخالق في الحصول على العدل النسبي الذي يسبق دولة الامام المهدي تلك الدولة التي عنوانها العدالة الربانية المطلقة.^(٣)

المطلب الاول: الخطاب السياسي الشيعي

في جواب سؤال وُجِّه إلي سماحة المرجع العقوبي عن الخطاب السياسي الشيعي وأهدافه وآلياته: هل تعتبرون أن الخطاب السياسي الشيعي ناضج في هذه المرحلة أم لا؟ وعلى من تقع مسؤولية هذا الخطاب، على الحوزة العلمية أم على الأحزاب الإسلامية؟

أجاب سماحته: إن الخطاب السياسي يعني الأطروحة والرؤية وبرنامج العمل الذي يقدمه أي حزب أو تنظيم لتحقيق الأهداف التي يعمل من أجل

(١) سورة النحل الآية ١٢٥.

(٢) سورة الاعلي الآية ٩.

(٣) السيد محمد معن الموسوي وحسن رشك غياض، معالم الفكر السياسي للمرجع العقوبي

قراءات في الأدوار والأهداف، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ١٠٩.

تحقيقها، والخطاب السياسي الشيعي فيه مطالب عامة يشترك فيها مع جميع الطوائف والتيارات الممثلة للشعب، وأخرى خاصة بالطائفة نفسها لما فيها من خصوصيات في هذا البلد كوجود المرجعية الدينية والعتبات المقدسة والحوزة العلمية الشريفة، والمظلومية وسلب الحقوق التي تعرضت لها خلال العقود السابقة.

والخطاب السياسي الشيعي لا بد أن يشمل جميع هذه المحاور وتتحمل الحوزة العلمية والأحزاب السياسية مسؤولية كلا الخطابين، وسوف أؤجل الحديث عن الخطاب الثاني الخاص، أما الخطاب الأول العام فيمكن للحوزة أن تشارك فيه من خلال عدة خطوات:

١- وضع الأهداف العامة التي يجب السعي لتحقيقها.
٢- الانفتاح على الأحزاب والتشكيلات السياسية الإسلامية الموجودة في الساحة والاطلاع على برنامج عملها، لمعرفة مدى وعيها لهذه الأهداف وقدرتها على تحقيقها ونظافة آليات عملها ونزاهة وإخلاص القائمين عليها وتقييم دورها.

٣- دعوة المؤمنين المخلصين لتشكيل النقابات والاتحادات والجمعيات المتخصصة وغيرها لاستقطاب وتجميع الطاقات الكفوءة والنزاهة، وحثها على العمل السياسي والإشراف على برامج عملها وأطروحتها، والحفاظ على جاهزيتها لممارسة دورها في إدارة البلد.

٤- دعم وإسناد الأحزاب والتشكيلات المؤهلة لتحقيق الأهداف المطلوبة وتوجيه الجماهير نحوها بالآليات المتعددة كإخراج المسيرات وعقد التجمعات.

وفي فقرة أخرى يبين فيه الخطوط العريضة لنحوية لمطالب الأمة و يقول:

ونستطيع أن نضع جملة من الخطوط العريضة لمطالب الأمة التي يراد تحقيقها، وعلى الأحزاب بلورة وصياغة هذه الأفكار في خطاب سياسي وآليات عمل تفصيلية كأى اختصاص في مجال معين، وتتفاوت الخطابات والأطروحات السياسية في النضج تبعاً لكفاءة وخبرة القائمين عليها ووعيهم وإخلاصهم لقضيتهم، والمهم هي الجدية في الانجاز، ومنها:

١- نشر الفضيلة في المجتمع ومنع الفساد والانحراف والمحافظة على هويتنا الإسلامية الأصيلة.

٢- وصول العناصر الكفوءة والنزيهة إلى موقع المسؤولية والإدارة.

٣- الارتقاء بمستوى العلم والمعرفة والوعي لدى أبناء الأمة لتكون

بالمستوى الحضاري المعاصر.

٤- تحقيق العدالة في الأمة واستقرار الأمن وإنعاش الوضع الاقتصادي

للبلد.

٥- الحفاظ على وحدة البلد وتركيبته الاجتماعية واستقلاله.

٦- توفير الحقوق والحريات لجميع فئات الشعب وطوائفه وأعرافه بما

لا ينافي الفقرات أعلاه. 74

٧- وضع دستور للبلد يضمن النقاط أعلاه ووسائل تفعيلها ولا يتقاطع

مع الشريعة.

٨- ضمان انتخابات حرة نزيهة لاختيار برلمان وحكومة تمثل بصدق

تركيبة المجتمع العراقي وتحترم إرادته بحسب التوزيع السكاني.

ولكي يتحقق ذلك لابد من الحوار بين جميع التيارات الممثلة للشعب وانفتاح بعضها على بعض خصوصاً الإسلامية منها لتنسيق المواقف اتجاه القضايا العامة.

فمسؤولية وضع الخطاب السياسي والعمل على انجازه على ارض الواقع يقع على عاتق الحوزة الشريفة والتشكيلات السياسية وعموم المؤمنين كل بحسبه، ولكل فرد في الأمة تأثير في مستقبلها السياسي كالمشاركة في التصويت على الدستور بعد فهمه واستيعابه أو انتخاب ممثليه في البرلمان والحكومة.^(١)

المطلب الثاني: تاريخ السياسة والعمل السياسي الإسلامي

أولاً: تاريخ تدوين الفقه السياسي

لقد بدأ تدوين الفقه السياسي متأخراً عن تدوين كثير من العلوم، كالحديث والتاريخ والتفسير والفقه والأدب. وامتدت فترة والتمهيد له مدة طويلة إلى عصر المأمون العباسي. كما ساهم في تكوين بنيتة الفكرية كل العناصر الثقافية المحلية والوافدة جاهلية وإسلاماً.

نظراً لكون الأمة العربية كانت قبل البعثة شفوية الثقافة، فقد ظل التفكير السياسي لديها شفويًا تتداوله الألسن شعراً وحكمة وأخباراً. ولم تكن الحاجة ماسة إلى تدوينه إلا في فجر الإسلام كما بالنسبة للعلوم المتصلة اتصالاً واضحاً مباشراً بالعقيدة والعبادة.

فلقد تأخر التدوين السياسي - عموماً - إلى أوائل القرن الهجري

(١) خطاب المرحلة ج ٣ ص ٢٩٥ - ضرورة مشاركة العراقيين في العملية السياسية.

الثاني، حيث ظهر ضمن مصنفات أدبية وأخبارية على هيئة مواعظ ونصائح وأساطير مقتبسة من تجارب الإنسان وتقاليد الأمم. ومن ثم انتقل إلى مرحلة ثانية هي مرحلة المصنفات المستقلة الخاصة به؛ ولكن على يد غير العلماء والفقهاء ومن مرجعية غير إسلامية. فقد ظهر أول المصنفات فيه التي كانت ترديد الفلسفة الإشرافية هندية وصينية وبابلية وآشورية وفارسية ويونانية. وكان ذلك على يد الفارابي (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٥٠ م)، المتأثر بالآراء السياسية لأفلاطون وأرسطو؛ حيث تناول الفلسفة السياسية في عدة مؤلفات منها: "رسالة تحصيل السعادة"، "السياسة المدنية"، "رسالة السياسة"، "الفصول المدنية"، "آراء أهل المدينة الفاضلة".^(١)

وفي منتصف القرن الهجري الرابع - العاشر الميلادي (٣٧٣ هـ - ٩٨٣ م)، ظهرت الكتابات السياسية لجماعة "إخوان الصفا وخلان الوفا"، متأثرة بنفس المؤثرات. وكانت السياسة لديها تمثل علما مستقلا بذاته، له خمسة أقسام: السياسة النبوية، والسياسة الملوكية والسياسة العاسية، والسياسة الخاصة، والسياسة الذاتية.

في بداية القرن الهجري الخامس - الحادي عشر الميلادي -، ظهرت المرحلة الثالثة بأول الكتابات السياسية المستقلة عن الفكر الفلسفي، المتأثرة بالفقه والشريعة، على يد الماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ / ٩٧٥ - ١٠٥٨ م) ومن نهج نهجه ونحا نحوه.

اما الكتابات الفعلية في الفقه الفكر السياسي الاسلامي فقد اتى على

(١) محمد تقي المؤمن، القيادة الواعية، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ١٤.

مراحل:

أ: الفقه السياسي في دائرة الفقه الاسلامي

ولقد سار الفقهاء والمتكلمون في بداية القرن الهجري الخامس اي المرحلة الثالثة، على نهج تشريعي لما ينبغي وما يجب وما يجوز وما لا يجوز في نظام الخلافة وتدبير أمر الدولة. واستوفت أبحاثهم نظم الملك والوزارة والإدارة والقضاء، والحسبة والأموال وتنظيم الجيوش والعلاقات مع داري الحرب والمهادنة، كما بذلوا جهودا جبارة من أجل تبرير تصرفات الملوك وإضفاء الشرعية عليها، وإرشادهم إلى ما يحفظ عروشهم ويحببهم إلى الرعية.

ثم تدهور التصنيف في هذه المرحلة إلى مستوى من الإسفاف والمداهنة الخانعة، بأسلوب متودد يحاول حفظ ماء وجه الفقهاء، ولا يزعج الحكام أو يضايقهم، من خلال الإعراض عن ذكر الأحكام الشرعية الخاصة بتصرفات الخليفة، والاقتصار على تقديم النصائح ذات الطابع الأخلاقي والتعليمي التي من شأنها أن تحفظ العروش أطول مدة ممكنة، والتذكير بوصايا من تراث الأمم، ومأثورات الطوائف والأساطير ومختارات الشعر والنثر والحكم والأمثال، و آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ما صح منها وما لم يصح، مثلما هو حال كتاب "سير الملوك" لنظام الملك (٤٠٨ - ٤٨٥ هـ / ١٠١٨ - ١٠٩٢م)، و"سلوان المطاع في عدوان الأتباع" لمحمد بن ظفر الصقلي المكي (٤٩٧ - ٥٦٥ هـ / ١١٠٤ - ١١٦٩م)، و"النهج المسلوك" لابن نصر الشيزري (ت ٥٨٩ هـ).

ثم بعد ذلك ظل التصنيف السياسي لدى المسلمين متأرجحا بين هذه

المراحل، لا يغادرها ولا يتطور لما هو خير منها، إلى عصر النهضة الحديثة التي حاول استنهاض الهمم فيها كل من الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده ومن جاء بعدهم. ولكن محاولاتهم ظلت حبيسة ازدواجية عقيمة، تتخذ مرجعية في فقه الماوردي من جهة، وتحاول تطويرا بالديموقراطية الغربية من جهة أخرى؛ لذلك لم تثمر تأصيلا حقيقيا لنظام حكم إسلامي متميز في الكتاب والسنة.^(١)

ب: علم السياسة عند الفلاسفة والحكماء

أما التصنيف السياسي المباشر فقد ظهر أولي بواكيره على شكل رسائل مستقلة تبحث موضوع "السياسة" بمفهومها الذي هو حسن التدبير والحكمة في التسيير، وكان من أول مؤلفيها تحت عنوان "رسالة في السياسة" لكل من الفارابي وأبي القاسم المغربي وابن سينا.

ولئن اختلفت بعض مضامين هذه الرسائل التي تطابقت عناوينها فإنها اتفقت كلها في ثلاث محاور:

- ١- أن السياسة حاجة ملحة لكل البشر رفيعهم ووضيعهم، ولكن الملوك ثم أعوانهم أشد حاجة إليها.
- ٢- لم يعتمدوا في تصانيفهم على الكتاب والسنة مرجعا أو استشهادا.
- ٣- كانت منطلقاتهم الفكرية والفلسفية معتمدة اعتمادا مطلقا على الفكر اليوناني.

ثم بعد ذلك أخذت تظهر مصنفات فلسفية موجهة للملوك فقط،

(١) بنقل: محمد تقي المؤمن، القيادة الواعية، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ١٨.

ترشدهم إلى ما ينبغي عمله وإقامته في سياستهم، مثل كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك" لابن أبي الربيع.^(١)

يذهب البعض إلى أن الفلسفة اليونانية عند أفلاطون وسقراط وأرسطوطاليس وغيرهم هي الأساس الذي بني عليه تفكير فلاسفة المفكرين المسلمين الأوائل. إلا أن في هذه الدعوى تجاوزا كبيرا للحقيقة؛ لأن الفلسفة اليونانية نفسها ليست إلا امتدادا وخلاصة للأوهام الميتافيزيقية التي كانت منبثا لأديان القارة الآسيوية؛ وذلك ما نقل إلى الثقافة العربية في صدر دولة بني العباس وكان مرجعها لأول حركة فلسفية في الإسلام.

إن الإنسان عندما نسي المنهج الرباني الذي أنزل مع آدم عليه السلام، وفقد الصلة بالله تعالى، وارتكس في حمأة الجاهلية والبدائية، ملأت الهواجس والأوهام قلبه وعقله واستبد به الخوف من الظواهر الطبيعية برقا ورعدا وخسف وزلازل وعواصف، وأخذ به الرعب والرهبة من الموت والمصير المجهول كل مأخذ، فأقبل على نفسه ينسج لها استجلابا للطمأنينة، خيالات و تصورات وأساطير وخرافات، عما لا يفهمه وما يرجوه أو ما يرهبه ويخافه. فتراكم بذلك لدى البشرية على مر السنين، تراث ضخيم من المعتقدات الضالة المضطربة، التي اتخذت فيما بعد مادة للتفكير والاستقراء، والبحث عن الذات أصلا ومالا، وعن الكون والطبيعة ماضيا واستقبالا. ثم تحول هذا التراث إلى قاعدة للفكر الديني الوضعي المفضي إلى عبادة الأوثان والطواطم والنجوم والكواكب، واتخاذها آلهة وأرباباً.

(١) محمد تقي المؤمن، القيادة الواعية، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٢٥.

ثم بعد ذلك اتخذت هذه المعتقدات الدينية منطلقاً ومادة للتفكير الفلسفي الآسيوي الذي نقل إلى اليونان وتطور فيه. وظل مجرداً من أهم أداتين للفهم هما: المعرفة المادية الصحيحة لحقائق الطبيعة بسبب التخلف العلمي آنئذ، والمعرفة الغيبية اليقينية التي لا مصدر لها إلا الوحي.

ولعل الأسطورة التي رواها أفلاطون عن منشأ الفكر السياسي في محاورة "بروتاجوراس"، تقدم لنا خير مثال على ما نذهب إليه من أن الفكر البشري عامة والسياسي خاصة منبثق من الخرافة والأساطير والأوهام.^(١)

ج: الفقه السياسي في الفقه الإمامي

أما في التاريخ الشيعي من الإسلام، أي مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فقد كان لها وضعها الخاص، وتاريخها السياسي الخاص، فهي لم تنقطع عن التدوين، وأن سلسلة العصمة، والإمامة، والقيادة؛ مستمرة عندها، والتي ختمت بغيبة الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، ليأتي بعدها تاريخ علماء وفقهاء مدرسة أهل البيت، والذين ساروا مسار أئمتهم في قضايا السياسة وما يتعلق بها.

فيعود الفقه السياسي الشيعي الي القرن الرابع الهجري، متمثلاً في آراء فقيهين شيعيين كبيرين، هما الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ ق) وتلميذه السيد المرتضي (٤٣٦ هـ ق). وقد بذل الشيخ المفيد جهوداً كبيرةً في تدوين الفقه الاجتهادي، مستفيداً من الجهود السابقة التي بذلها علماء كبار، أمثال ابن

(١) محاورة لأفلاطون، ترجمة محمد كمال الدين علي يوسف، سلسلة مذاهبها وشخصيات، ص ٥٥.

أبي عقيل العماني (ت ٣٦٩ هـ ق) وابن الجنيد الإسكافي (ت ٣١٨ هـ ق) الذي يري أن للعقل موقعاً مميزاً، ويعتبره أحد مستندات حجية القرآن والسنة.^(١)

وسعي المفكرون الشيعة تاريخياً الي اتخاذ جانب الاعتدال كي لا يقعوا في محذوري الإفراط والتفريط.

د: نظام المجتمع في فتاوي الفقهاء

لقد أفتى الفقهاء المسلمون بوجوب الالتزام بمقررات النظام الاجتماعي، ولو كانت من دولة غير إسلامية، تجب مراعاتها على كل حال. وليس لأي أحد أن يضع في الشوارع والطرق العامة ما يضر بالمارة ونحوهم، ولا بد من منع ذلك بأية وسيلة ممكنة، ولو بتسجيل عقوبة مادية على المخالفين لحفظ المصالح العامة، وكذا الحال في وضع القذارات فيها، ولا ينبغي لأحد مخالفة النظام، ولا سيما مع حصول الإضرار بالجار.^(٢) ومن الطبيعي أن المحافظة على أنظمة وقوانين، مثل: شبكات الكهرباء والماء والهاتف العامة، وعلى أنظمة السير والبناء والضمان الصحي والبيئة، وغيرها مما له جنبه مصلحة وفائدة اجتماعية عامة، من المصاديق الطبيعية، التي تندرج تحت النظام العام الذي أوجب الفقهاء الالتزام به ومراعاته.

لقد أولى الإسلام الآداب العامة التي ترتبط بالمجتمع وتمس حياة الناس وحقوقهم أهمية قصوى، تبرز في مختلف مرافق الحياة العامة

(١) السيد كاظم السيد باقري، العقل ودوره في تطور الفقه السياسي عند الشيعة الإمامية قراءة معاصرة، مجلة الاجتهاد المعاصر، السنة ٢ العدد ٣ شتاء - ربيع ٢٠١٧ ص ١١٣.

(٢) مجمع المسائل، ج ١، ص ٣٩٩، م ١٦.

والاجتماعية. فقد جعل الإسلام كل مسلم مسؤولاً في بيئته الاجتماعية، يمارس دوره الاجتماعي من موقعه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن ورعيتيه).^(١)

ودعا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى الاهتمام بأمور المسلمين، ومشاركتهم في وآمالهم وآلامهم، فقال: (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم).^(٢) فالمسلم مسؤول عن إصلاح وتحسين نفسه وأفراد مجتمعه، من خلال الالتزام بالأحكام الشرعية الاجتماعية المتعلقة بالأسرة والأرحام، والجيران والأبناء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحافظة على النظام العام، ورعاية حقوق الآخرين، وعدم التهاون والتساهل فيها، بالإضافة إلى المساهمة والحضور الاجتماعي بحسب المصلحة والوسع. قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ).^(٣)

وبذلك يتوضح ما للنظام والانضباط من أهمية في حياة الأفراد والأمم بغض النظر عن معتقداتها، ولغاتها، وقومياتها، ومن الأولى أن يتصدر الإسلام ذلك؛ لأنه دين النظام والانضباط.

ثانياً: العمل الإسلامي السياسي

إن استمرار أي نظام سياسي مرتبط بطبيعة الأرضية السياسية أو طبيعة الفكرة التي تعطي الديمومة والحركة له، وقد تختلف مناهج بقاء الأنظمة

(١) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٣٨.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ١٦٣.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٠.

وقيامها ووسائل استمرارها، فبعد الإطالة التي قمنا بها على المدارس السياسية في أوروبا والتي توصلت في الأخير إلى وضع الأمر في يد أفراد المجتمع، حيث يستطيعون عبر تعاقد جماعي من تحديد طبيعة النظام القائم، نقوم بإطالة على الوضع السياسي الإسلامي.

وأما على صعيد مدرسة الفقه السياسي الإسلامي، فإن مسألة الدولة وتداول السلطة عرفت اختلافا كبيرا وذلك ناتج عن اختلاف الفرق الإسلامية ووجهة نظرها لهذه المسألة السياسية الحساسة، ولقد عبر الشهرستاني على كون الحكم في الإسلام من أكثر المسائل التي استلت فيها السيوف وأريقَت فيها الدماء، والتاريخ الإسلامي خير شاهد على ذلك التناحر الحاصل منذ ذلك الوقت، فمنذ وفاة النبي ﷺ وإلى يومنا هذا اختلفت المدارس الفكرية الكلامية حول نظام الحكم في الإسلام.

لكن رغم كثرة آراء الطوائف الكلامية في هذا المجال، فإن الأمر انحصر في مدرستين، وذلك بعد انقراض مدرسة الخوارج والتي اتخذت من شعار الحاكمية لله أساسا لنظريتها، وجعلت الخروج على الحاكم الجائر إحدى الطرق للوصول إلى هذا المطلب. لكن الشعار الذي رفعه الخوارج يبقى في مضمونه شعار فضفاض لا يحتوي على قاعدة أساسية وأصول تشريعية تضمن له الاستمرار. إذ يبقى السؤال الجوهرية هو إذا كانت الحاكمية لله فبأي طريقة تتم هذه الحاكمية؟ إذا غابت الآليات التي تجعل منه حقيقة واقعية. لأن الأرضية العملية مفقودة إذا لم نقل منعدمة لأنه لا بد من شخص قادر على أن يستوعب طبائع البشر وخصائصهم وحاجاتهم ومتطلباتهم حتى يتمكن من تحقيق هذه الحاكمية الإلهية المطلقة.

فكان مآل مدرسة الخوارج كمدرسة سياسية، الانقراض باستثناء بعض البقع الصغيرة التي لا زالت في العالم وخصوصا في سلطنة عمان والتي تحاول فكرياً أن تندمج مع العالم السني، بتخليها عن مجموعة من المقومات الفكرية التي قام عليها الخوارج، وخصوصا فكرة الخروج على الإمام الجائر.

كان هذا هو الموقف الأول لكن التاريخ غير من موقفهم السياسي، فأصبحوا وجهة ثانية للمدرسة السنية حيث يقول يحيي معمر: إن الإباضية يرون أنه لا بد للأمة المسلمة من اقامة دولة ونصب حاكم يتولى تصريف شؤونها، فإذا ابتليت الأمة بأن كان حاكمها ظالم، فإن الإباضية لا يرون وجوب الخروج عليه لا سيما إذا خيف أن يؤدي ذلك إلى فتنة وفساد.

وقد علق العلامة جعفر السبحاني على هذا الرأي بقوله: وأظن أن ما كتبه يحيي معمر في هذا الكتاب وفي كتاب (الإباضية في موكب التاريخ) هو دعايات وشعارات من أجل التقريب بين الإباضية وسائر الفرق ولا سيما أهل السنة، وهكذا أثر التاريخ على نظرية الخوارج التي كما قلنا سابقا تفتقر إلى رؤية واضحة للإطار السياسي الذي تتحرك فيه، مما جعلها سريعة الانحلال وبالتالي الاضمحلال.

لكن المدرستين واللذان بقيتا قائمتين إلى يومنا هذا هما مدرسة الخلفاء، والتي تعتمد في بنائها النظري للنظام السياسي على مبدأ الشورى ومدرسة أهل البيت والتي جعلت من الإمامة هي القاعدة الأساسية لنظام

السياسي.^(١)

أ: العمل الإسلامي ونظم الأمر

إن أهم دقائق ولحظات في حياة أي إنسان هي لحظاته الأخيرة. لأنها تكون غالبية جدا بالنسبة له. ففي اللحظات الأخيرة من حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، جمع إليه الحسن والحسين وبقية أولاده وأهله عليهم السلام، وقال لهم في ما قال في الوصية: (أوصيكمما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي، أوصيكمما بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإنني سمعت جدكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام).^(٢)

إذا فموضوع نظم الأمر كان أمرا مفصليا ووجوهريا إلى حد أن تقدم وصية علي عليه السلام للحسنين عليهما السلام وأهل بيته وولده وجميع من بلغه كتابه، وقد بلغنا كتابه، فهو يوصينا نحن أيضا. ومعنى تقوى الله اجتناب معصية الله، اجتناب الحرام، والقيام بالواجبات، ومعنى نظم الأمر أن تكون أمورنا كلها منظمة مرتبة، أما صلاح ذات البين فهو أن لا نتنازع أو نتخاصم وأن نتعاون وأن نتماسك، أن نكون سويا كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففي معركة بدر كان يقف وينظم الصفوف، كذلك في صلاة الجماعة. فقد ورد في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقف بالمسجد في المدينة وينظم الصفوف، حتى في بعض الروايات أنه كان يرتب الناس

(١) محمد تقي المؤمن، القيادة الواعية، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٣٥.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج ٣، ص ٧٦.

حتى يكون الكتف.

وقبل ألف وأربعمائة وثلاثين سنة تقريبا نظم الإسلام الناس حين وقوفهم لصلاة الجماعة، حتى لو اجتمع مليون شخص نظمهم بحيث يقفوا بانتظام ولا يحتاجون إلى من يتعب نفسه بإدارتهم. كذلك في موسم الحج حيث الطواف حول الكعبة، وإن كان الموضوع يأخذ شكل الدائرة، ولكنهم مع تواجد مئات الآلاف تراهم لو حدهم يقفون وينتظمون ويصطفون في منظر مدهش من التنظيم والهندسة والجمال، هذا كله من عمل الإسلام.

ب: الأسس الإسلامية في العمل السياسي

يبين المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) أهم الأسس في العمل الإسلامي وهي:

١- قيمومة المرجعية في العمل الإسلامي

(إن العمل السياسي بالشكل المتقدم - أعني تشكيل الأحزاب والمنظمات ونحوها - لا يعني التخلي عن الخيار المرجعي في قيادة الأمة لأنه النظام الأكمل والأقدر على تصحيح مسار الأمة وفق المنهج الإلهي، وقد خطط له أئمة أهل البيت عليهم السلام ووضعوا له أسسه وقواعده).^(١)

٢- التحلي بالأخلاق

من خلال (ضبط أخلاق المهنة، فلتعليم أخلاق وللطب أخلاق وللتجارة أخلاق، فللعمل السياسي أخلاق هي صمام أمان له من الزيغ

(١) نحو سياسة نظيفة، الشيخ محمد اليعقوبي، ص ١٤.

والانحراف عن أهدافه السامية، فلا بد من دراستها ومراقبة النفس باستمرار خلال التطبيق).^(١)

٣- التواصل مع الشعب

فإن وظيفة هذه التشكيلات السياسية ليس الدوران في أروقة السياسة والاحتجاب عن الأمة، بل إن وظيفتها جماهيرية، فمكانها ليس المكاتب الفارحة الخاوية من المعاني الروحية، وإنما مكانها قلوب الناس وعقولهم، وأماكن تجمعاتهم، من خلال عطائها للجماهير، فهي تعيش في وعي الأمة وفكرها وهمومها ومشاكلها ومشاريعها الخيرية).^(٢)

وفي توضيح للواجب الحقيقي لرجال السياسة، فليس واجبهم الاحتجاب في أروقة السياسة عن الشعب، ولا تكوين طبقة لا يلتقون إلا بها، إنما واجبهم هو التواصل من أجل خدمة الشعب، فالقياس لكفاءتهم ولبقائهم هو خدمتهم للشعب فقط، وإلا فلا مكان لهم في دكة السياسة مطلقة.

٤- علي الأمة أن تمتلك الوعي

فإن وجوب العمل السياسي على الأمة لا يعني أن تترك أعمالها وتعمل بالسياسة، فلكل إنسان ما يناسبه، وحاجات المجتمع متنوعة، وكلها ضرورية لحياته، وإنما يتحقق امتثال هذا الوجوب بتصدي النخبة المؤهلة لأداء هذا العمل، نعم، على الأمة أن تمتلك وعياً سياسياً، ويكون لها حضور فاعل في

(١) نحو سياسة نظيفة، الشيخ محمد العقبوي، ص ١٥.

(٢) محمد تقي المؤمن، القيادة الواعية، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٤١.

قضايها المصيرية ولا تبقى متفرجة إزاء الأحداث، فساحة العمل ليست كساحة كرة القدم يلعب بها اثنان وعشرون ويبقى الآلاف متفرجين، بل الكل يشترك بحسب دوره المناسب).^(١)

٥- تجنب الأنانية

إن على العاملين في الأحزاب والحركات وسائر التنظيمات أن يتجنبوا الأنانية الحزبية، فمن أهم علامات المؤمن الرسالي انه يعيش هم الأمة والرسالة الإلهية العظيمة، ويدوب نفسه وحزبه وعشيرته وكل شيء في الله تبارك وتعالى، فهو يقدم الأكفاء وينتخبه ولو كان متميا لجهة أخرى، وهذه الأنانية هي التي أوجبت نفور شرائح اجتماعية واسعة من العمل التنظيمي، وفي خسارة كبيرة للأمة.

٦- تطوير القابليات

ف(من الضروري للقائمين على العمل السياسي والفاعلين فيه إنشاء المعاهد لتطوير المهارات والخبرات السياسية، والإشعار بأهمية ومسؤولية الأمة على القيام بوظيفتها حتى يكون الدافع ذاتي وتدرس فيها أخلاق المهنة ولا يتوقف على أمر الأمر).^(٢)

٧- استماع الموعظة وقراءة القرآن الكريم

إن (اهتمام العاملين في هذا المجال باستماع الموعظة وقراءة القرآن وحضور الشعائر الدينية، وعمل كل ما يحيي القلب؛ لأن هذا العمل مهما

(١) نحو سياسية نظيفة، ص ١٦.

(٢) بنقل: محمد تقي المؤمن، القيادة الواعية، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٤٤.

كانت نيته مخلصه لله تعالى فإنه يبقى من أمور الدنيا التي تقسي القلب كالكسب وغيره، وهذه المساواة إذا استمرت بلا جلاء وتنقية فإنها تؤدي إلى الطبع على القلوب فلا تسمع صوت الحق والهدى والعياذ بالله ويذهب نور الإيمان).^(١)

فلسياسة في الاسلام نظيفة في أهدافها، لأنها تبتغي رضا الله تبارك و تعالي، ونظيفة في وسائلها فإنها تحافظ علي المبادئ والقيم السامية التي تؤمن بها؛ ولا تخالفها من أجل متاع زائل بعكس سياسه أهل الدنيا التي تبرر لهم كل وسيلة؛ وهذه الفروق نابعة من الإيدلوجية التي يستند إليها كل من الطرفين، فالعمل السياسي الذي جعلناه من الواجبات هو ما كان في إطار الاسلام تشريعاً وتطبيقاً.

ج: الأسس العامة للمشروع الرسالي

يبين سماحة المرجع الشيخ محمد اليقوبي (دام ظله) الأسس العامة للمشروع الرسالي إذ يقول: (وهذه الأسس لا يمكن تحصيلها وانتزاعها بالاستقراء والمقارنة وضم الأفكار في بعضها إلى بعض).^(٢)

ثم يذكر سماحته هذه الأسس ضمن نقاط مهمة هي:

١- الإخلاص لله تبارك وتعالى، وان يكون رضا الله سبحانه وتعالى هو

الهدف من كل حركة أو سكتة.

٢- التأسّي برسول الله (ﷺ) والأئمة المعصومين من ذريته (عليه السلام)،

(١) نحو سياسة نظيفة، ص ١٧.

(٢) قواعد في بناء الشباب، ص ١٥٧ - ١٥٨.

واعتماد القرآن والسنة الشريفة مصدرا للتشريع والسلوك ومنهجة لقيادة الحياة.

٣- تكريم الإنسان وجعله القيمة العليا، وتوظيف كل شيء من أجل إسعاده وحفظ كرامته وازدهار حياته.

٤- الوحدة والتآلف والتنوع في أداء الأدوار والتسامي عن التقاطع والتشاحن والتزاحم المؤدي إلى الفرقة والتشتت.

٥- الدقة في اختيار قيادة الأمة وفق المعايير الدقيقة لأن إمامة الأمة وقيادتها هو المحور الذي تنتظم حوله الأمة.

٦- تهذيب النفس بالأخلاق الفاضلة وتطهير القلب حتى يأتي الله بقلب سليم.

٧- تخلص الأمة من الجهل والتخلف وسوء الظن، وخلق حالة الوعي والتدين والورع.

٨- تعريف الإسلام الحقيقي، وإبراز عناصر القوة والعظمة فيه، وإقناع الناس بالالتزام به، واتباعه والفتات النظر إلى عيوب الحضارة المادية، وضعفها وقصور النظريات والنظم المادية عن توفير السعادة والكمال للإنسان.

٩- التنظيم والدقة في العمل المؤسساتي بحيث ينصهر الجميع في خلية عمل متكاملة.

١٠- مقاومة الفساد والانحراف والظلم والأنانية والاستئثار والتسلط بغير

حق وإنصاف المظلومين بكل الآليات المتاحة. (١)

د: التأسي بالقدوة الحسنة ونجاح العمل الإسلامي

القدوة هي التأثير بشخصية معينة ومتابعتها وتقليدها والتأسي بها، وقد تكون هذه القدوة حسنة أو سيئة، ويحتاج الجميع في حياتهم إلى وجود شخصية إيجابية وناجحة لمحاولة الاستفادة من تجربتها في الحياة، بهدف تطوير النفس والقدرات وتحديد الرغبات والاتجاهات منذ بداية الطريق. دور القدوة مهم جدا، لهذا وصف لنا الله في كتابه سلوك من يجب ان نفتدي بهم في أسلوب التربية والوعظ والارشاد.

يقول سماحة الشيخ العقبوي: (إننا اليوم أحوج ما نكون إلى عرض صورة الأسوة الحسنة في حياتنا، فنحن مسؤولون أكثر من أي وقت مضى عن دراسة حياة رسول الله (ﷺ) وسيرته دراسة تحليلية، لكي نتمثلها في حياتنا وتكون نبراسا لنا، ليس فقط في حياته الشخصية الخاصة لكونه أكمل المخلوقات وأشرفها وأحقها بالافتداء في حياته العامة، بل لكونه أعظم مصلح اجتماعي عرفته البشرية، ولكونه مؤسس خير أمة أخرجت للناس من العدم، ولكون قيادته المباركة وفرت للبشرية أسعد عصر من عصورها، هذه الأبعاد المتعددة في شخصيته (ﷺ) جعلته أولى الناس بالتأسي والافتداء لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وأراد السعادة لنفسه ولأمته). (٢)

نعم، يمثل رسول الله (ﷺ) النموذج الإنساني الأسمى والأكمل، والذي اجتمعت في شخصيته كل الصفات الحسنة والخصائص الإنسانية

(١) محمد تقي المؤمن، القيادة الواعية، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٤٢.

(٢) نحن والغرب، الشيخ محمد العقبوي، ج ١، ص ٦١.

الفريدة، فهو العالم والفاضل والعاقل والكامل والحكيم والشجاع والحازم والمعصوم، فهو (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أكمل الخلق وأفضلهم وأعظمهم أخلاقاً لا يرى في أعماله أي خلل أو ضعف، ولا في تصرفاته وسلوكه أي تشتت أو تناقض.^(١)

فلقد كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حسن الخلق، بلغ سن أخلاقه حداً أصبح مفخرة لقريش في ذلك، وصار يضرب المثل بحسن خلقه وتواضعه، حتى ورد ذلك في القرآن الكريم في أكثر من موضع، إنك لعلي خلق عظيم وعن التأسي في الصبر والكفاح والنضال، والذي كان النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رائدة فيه يقول سماحة الشيخ اليقوي: (فما أحوجنا إلى أن نستلهم من سيرته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كيفية مواجهة هذه الجاهلية بحيث استطاع أن ينقلهم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في مدة ضئيلة من عمر الزمن هي ثلاثة وعشرون عاماً، من حضيض الجاهلية إلى قمة الإسلام السامقة).^(٢)

المطلب الثالث: قواعد النظام السياسي الإسلامي المعاصر

ومن ضرورات المرحلة تنظيم الأمور واستجماع القوي ليكون للمؤهلين دور فاعل في إدارة شؤون البلد ورسم حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لا حياً في الدنيا ولا طمعاً في المناصب، ولكن كما قال الإمام (عَلَيْهِ السَّلَام) لأننا نأسى أن يغلب على هذه الأمة سفهاؤها فيتخذون عباد الله خولاً ومال الله دولاً) أي يتداولون ثروات الشعب بينهم،

(١) محمد تقي المؤمن، القيادة الواعية، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٨٨.

(٢) نحن والغرب، ج ١، ص ٦٣.

وقد ذقتم الأمرين من تسلط الناس غير النظيفين مما جعل أكثر الشعب يعيش حالة الحرمان والاضطهاد والكبت وحرموا من أبسط حقوقهم المشروعة.^(١)

السلطة والدولة تعد من أهم المفاهيم السياسية الشائعة في علم السياسة، لما لها من تأثير مباشر في تنظيم، وترتيب حياة الناس، ولاسيما علاقتها الوثيقة بتحديد طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، من حيث كون السلطة دكتاتورية أم ديمقراطية، أو من حيث كون الدولة ديمقراطية. وللتعرف على أهم الأطروحات السياسية لابد من تقسيم الفصل إلى مبحثين، يخصص المبحث الأول لمتابعة السلطة في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، والموقف الفكري للشيخ محمد يعقوبي منها، في حين يتناول المبحث الثاني الدولة في الفكر السياسي الاسلامي المعاصر، والموقف الفكري للشيخ محمد يعقوبي.

أولاً: مفهوم السلطة في الفكر السياسي المعاصر

السلطة لغة إما المملكة أو القدرة والقهر، تقول سلطه الله فتسلط عليهم، وتأتي السلطة بمعنى الحجة، وسمى السلطان سلطاناً لأنه حجة الله في أرضه، وقيل إنه من السليط وهو الزيت لأن السلطان يضيء في دفع الظلم عن العباد وإعطائهم حقوقهم. ونشا هذا المصطلح في الفقه السياسي كان في القرن الرابع الهجري أي الحادي عشر الميلادي، وجاء اختيار هذا المصطلح لكثرة الملوك والأمراء فيختار منهم واحد يكون حاكماً عليهم،

(١) خطاب المرحلة ج ٣ ص ١٠١.

ويعني صاحب السلطة العليا.^(١)

تعد السلطة (Authority) من الظواهر السياسية الطبيعية، والتي ترافق الإنسان في منذ طفولته، ولا يمكن لأي دراسة تختص بالعلوم السياسية أن لم تتجاوز دراسة ظاهرة السلطة، وما يتعلق بها؛ إن مفهوم السلطة من المفاهيم المعقدة، وإن أول ما يعترى الباحث عند محاولة تعريفها، ورفع اللبس عن مفهومها هو مدى صعوبة تعريفها؛ إذ يشير صادق الأسود إلى إنها واقعة اجتماعية سياسية يصعب وضع تعريف لها؛ بسبب صفاتها المتعددة، وهي من المفاهيم التي نالت عناية المفكرين، وكذلك الفلاسفة منذ القدم إلى الوقت الحاضر، وعلى الرغم من ذلك فلا نجد تعريف يتفق عليه الجميع؛ بسبب اختلاف المنطلقات النظرية والأيولوجية من باحث إلى آخر، فضلا عن إن مفهوم السلطة من المفاهيم التي تتطور باستمرار، وتأخذ أشكالاً مختلفة.^(٢)

ويتفق مع صادق الأسود - أيضا - منذر الشاوي بقوله: "من الصعب في الواقع إعطاء تعريف للسلطة أو تحديد مكوناتها بالضبط، هل هي إرغام مادية أم إن قوة الارغام المادية هي عنصر (مهم دون شك) من عناصر

(١) سامي محمد الصلاحيات، معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، سنة الطبع ١٣٨٥، ص ١١٢.

(٢) صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي: أسسه وأبعاده، د، ط، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد ١٩٩٠م، ص ١٢٥. بنقل: نائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي اليقوبي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ١٩٠.

السلطة بحيث يمكن القول بأن لا وجود للسلطة بدون قوة الارغام هذه".^(١)
 ويضيف الشاوي إن ظاهرة السلطة توجد في جميع الفئات الاجتماعية؛
 إذ من الممكن الإقرار دائما بوجود علاقة قوة، أو أمر بين اعضائها وإن
 السلطة لا يمكن إن تدرك بذاتها، وإنما بأثرها عند ممارستها من قبل
 القابضين عليها، وإن كل شيء يوحي بوجود السلطة، ولكن لا شيء يساعد
 على الجزم بماهية السلطة؛ لذا يمكن القول إن السلطة: هي تصور عند
 الإنسان لتفسير أو تبرير أو ادراك الأوامر والنواهي التي تصدر عن بعض
 الأشخاص في المجتمع، فالحكم هو ممارسة السلطة باصدار الأوامر
 والنواهي".^(٢)

إن مفهوم السلطة من المفاهيم التي شغلت تفكير البشر ولاسيما علاقة
 الفرد بالسلطة الحاكمة أو القائمة؛ فمنذ أن ظهرت السلطة في الجماعات
 أصبحت هذه الجماعات مجتمعات سياسية والإنسان يسعى بصورة كبيرة
 إلى معرفة هذه الظاهرة (السلطة)، وأخذت هذه الظاهرة تتصدر المعارف
 الاجتماعية.^(٣)

فظاهرة السلطة ظاهرة طبيعية في الاجتماع الإنساني؛ فهي ترافق الإنسان

(١) منذر الشاوي، فلسفة الدولة، ط ١، دار الأردنية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢م، ص ٢٩.
 بنقل: تائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي اليعقوبي،
 نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ١٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٢٩ - ٣٠.

(٣) طه بدوي، اصول علوم السياسة، دط، المكتب العربي للطبع والنشر، الاسكندرية،
 ١٩٥٠م، ص ص ٤-٥.

منذ طفولته، وإن تصور عيش الإنسان من دون وجود سلطة من الخيال، فوجود السلطة قديم، وهو سابق لوجود الدولة فالسلطة موجودة بوجود الأسرة فأب الأسرة هو الحاكم لجميع افراد أسرته، وهو المدافع عنهم، إذن السلطة هي علاقة خضوع و تبعية.^(١)

و لأهمية السلطة فيصفها الغزالي فيقول: «إن السلطان ضروري في نظام الدنيا و نظام الدنيا ضروري في نظام الدين، و نظام الدين ضروري في الفوز بسعادة الآخرة»، و عبر الآمدي عن ذلك بقوله: «و لذلك نجد من لا سلطان لهم كالذئاب الشاردة و الأسود الضارية لا يبقى بعضهم على بعض و لا يحافظون على سنة و لا فرض»^(٢) و يقال إنه لا يوجد مجتمع بدون سلطة فالسلطة تبدأ بالبروز مع بداية تكون المجتمع، إلا إن السلطة تختلف ما بين المجتمعات، ففي المجتمعات البدائية البسيطة توجد سلطة، غير ان شكلها يختلف عن شكل السلطة في المجتمعات المتطورة.^(٣)

نستنتج مما سبق أن السلطة ضرورية في المجتمعات الإنسانية و حتى البدائية منها؛ لأن مصالح وأهواء أفراد المجتمع ليست واحدة، أو متطابقة مع بعضها دائماً، وإنما هناك اختلاف بحيث تصل إلى حد الصراع؛ وذلك لا

(١) طارق عبد الحافظ، تداول السلطة في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، ط ١، دار

الفرايدي للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٤م، ص ٢٠.

(٢) سامي محمد الصلاحات، معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، مكتبة الشروق

الدولية، القاهرة، سنة الطبع ١٣٨٥، ص ١٣٥.

(٣) روبرت ماكيفر، تكوين الدولة، ت حسن صعب، ط ٢، دار العلم، بيروت، ١٩٨٦م، ص

بد من وجود ما ينظم هذه المصالح، وبما ينسجم مع المصلحة المشتركة لأفراد المجتمع ومن ينظم هذه الأمور هي السلطة، ولذا فلا بد من الوقوف على معنى مفهوم السلطة.

يذكر صادق الأسود ان كلمة السلطة مترجمة من اللغة الإنكليزية، وهي ترجمة لكلمة (Power)، التي تشمل معنيين، الأول: هو القوة كما يقال القوة العسكرية، المعنى الثاني لترجمتها يحتوي على دلالة سياسية أو قانونية محددة، مثل السلطة السياسية، وربما تستخدم لغير هذين المعنيين.^(١) ويؤكد صادق الاسود إن كلمة (Power) الإنكليزية مأخوذة من الكلمة الفرنسية (Pouvoir) المنحدرة عن اصل لاتيني، وتعني لغوية: القدرة أو الممكنة، أو الاستطاعة، وفي اللغة الألمانية إن كلمة (Macht) المقابلة للتعبيرين الإنكليزي والفرنسي تنحدر عن كلمة (mogon)، التي تعني أيضا - القدرة.^(٢)

إن لفظ السلطة لم يرد بصورة واضحة في اللغة العربية، فعند مراجعة معاجم اللغة نجد أن الفعل الثلاثي لكلمة سلطة يدل على عدة معان؛ ومن هنا لا بد من الوقوف على الجذر اللغوي لمفهوم السلطة وهل لفظ السلطة موجود في اللغة العربية أو إنه تسرب إليها من اللغات الأخرى لذلك سنقوم بذكر ما دونته معاجم اللغة حول هذه اللفظة؛ إذ أشار الفراهيدي في العين إلى أن السلطان في المعنى: الحجة قال تعالى: (هلك عني سلطانية)^(٣) أي

(١) صادق الاسود، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ذات الصفحة.

(٣) سورة الحاقة الآية ٢٩.

حجته، والسلطان قدرة الملك، وقدر من جعل ذلك له، وإن لم يكن ملكا والنون في السلطان زائدة وأصله من التسليط، والسلطة.^(١) وقد لا تعني التسلط والسيطرة والتحكم؛ فسلطه اطلق له السلطة والقدرة عليه، مكنه منه، وحكمه فيه، وتسلط عليه تحكم وتمكن؛ فسلطه.^(٢)

ومما تقدم يبدو أن أصل التعبيرين في اللغة العربية، وفي باقي في اللغات الأجنبية الأخرى مختلف؛ ففي العربية استخدم (سلطان)، وليس سلطة، لأن القوة، والقهر تمارسان بمشيئة إلهية وهي مصدرها، وشرعيتها؛ ولذلك فإن السلطان حجة، وهو المعنى نفسه لـ (Authority) في الإنكليزية و (Autorite) بالفرنسية، و (Autoritat) بالألمانية، الذي يربط ما بين السلطة، وبين مصدرها، وشرعيتها على الرغم من الاختلاف في السلطة، ومصدرها، وشرعيتها في العربية، وغيرها.^(٣)

١- المفاهيم المقاربة للسلطة

وفي سبيل إدراك أوضح لمفهوم السلطة ينبغي علينا أن نميز بينها وبين عدة مفاهيم شائعة، التي تكون مقاربة لمفهوم السلطة، وحتى نستطيع أن نضع تعريف جامع مانع لها لا بد من الوقوف على معاني ودلالات بعض المفاهيم المقاربة للسلطة، ومنها السلطان، والسيطرة، والقوة، والنفوذ،

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، د ط، دم، ص ص ٢١٣-٢١٤.

(٢) ابراهيم مصطفى واخرون، المعجم الوسيط، دل، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، دت، ص ص ٤٤٣.

(٣) صادق الاسود، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٧.

والهيمنة... إلخ

يقول ناصيف نصار إن السلطان هو القدرة العقلية على التأثير في النفوس، من دون التزام معين^(١)، ويقول نصار كذلك إنه لا يوجد تعارض بين السلطة والسلطان فإما أن تكون السلطة مقترنة بسلطان أو لا، ففي الحالة الأولى يتضاعف فعل صاحب السلطة وفي الثانية يضعف صاحب السلطة أمام صاحب السلطان أو يضعف الإنقياد له.^(٢)

أما القدرة فإنها تعرف: الكفاءة على إثبات عمل ما، والسلطة توصف بالقدرة على فرض الإرادة على الآخرين، ويحاول بعضهم أن يشابه بين القدرة والسلطة، ويميز بينهما، فإنهما تشتركان بالقيام على أساس النفوذ، والتميز بينهما، فالقدرة نفوذ الوحدة السياسية في قبال الوحدات الأخرى، في حين أن السلطة هي النفوذ داخل الوحدة السياسية.^(٣)

ومن المفاهيم الأخرى الهيئة اذ تعرف بأنها ظاهرة اجتماعية بسيكولوجية تكون في معظم الأحيان غامضة، ومعقدة، ومن الصعب تحليلها، إلا أنه يمكن ملاحظتها، وهي من الصفات الحسنة، ويتعاضد دورها في المجتمعات الصغيرة، أما في المجتمعات الكبيرة، والمتطورة، فيتضاءل

(١) ناصيف نصار، منطق السلطة : مدخل إلى فلسفة الامر، ط ٢، امواج للنشر، بيروت،

٢٠٠٩م، ص ٨

(٢) المصدر نفسه، ص ٩.

(٣) عبد الرضا الطعان، صادق الاسود، المدخل إلى علم السياسة، د ط، العاتك الصناعة

الكتب، القاهرة، دت، ص ص ٦١-٦٢.

دورها. (١)

أما فيما يخص التمييز بين السلطة، والتسلط، والسيطرة، فقد أشار نصار إلى أن السيطرة: هي اخضاع مفروض بالقوة، وهي علاقة أمر، وطاعة بين طرفين، أحدهما يسعى لفرض ارادته على الآخر؛ لذا فعلاقة السيطرة تتحدد بالإرغام، والاكراه، والقوة في السيطرة، ويقصد بها جميع أشكال القوة، وإن الغاية فيها هي مصلحة الأمر وحده، والشكل الاقصى - كما يقول نصار - لعلاقة السيطرة بين البشر هو الاستعباد.

أما التسلط فهو إنتحال للحق في الأمر من دون اي مسوغ مقبول، أو بتعبير آخر هو تجاوز حدود الحق في الأمر، والملاحظ أنه من العسير عمليا الحفاظ على السلطة خالصة من اشكال التسلط: لأنه ينطوي على معاني التحكم والأمرة على الاخرين، وهذا يحدث جراء الدوافع النفسية للأفراد. (٢)

ففيما سبق تم توضيح المدلول اللغوي للسلطة، والمفاهيم المقاربة لها، وسيجري متابعة المدلول الاصطلاحي للسلطة، وكيف نظر لها المفكرون، اذ وضع (فيليب برو) (٣) ثلاثة استعمالات بتعريفها:

- المنظور الأول: هي بالإجمال مرادفة للحكام، وتأتي بحسب

(١) صادق الاسود، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) بنقل: نائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي العقوبي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ١٩٠.

(٣) فيليب برو، علم الاجتماع السياسي، ت محمد عرب صاصيلا، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م، صص ٢٣-٢٤.

استعمال التعبير، فتكون مثلاً إعادة السلطة للمواطنين، ويفهم منها الدولة المجردة وقد تستعمل لجمع السلطات العامة، مرادفاً لأجهزة الدولة.

- المنظور الثاني: تعد السلطة نوعاً من جوهر أو بتعبير آخر رأسمال بالمعنى الاقتصادي، مثل: امتلاك السلطة، والذي يتضمن وجود مالك أو حائز، وهذا المالك يتصرف بها كيف يشاء.

- المنظور الثالث: هي علاقة بين شخصين أو عدة أشخاص، وهي لا تقوم إلا حين تقوم علاقة فعلية وإن كانت إلى مستوى في التمثلات الذهنية للخاضع فقط، وهذا المنظور التفاعلي يسمح بتعميق معنى مفهوم السلطة بشكل كبير.

إن السلطة بالمعنى العام - كما أشار إلى ذلك ناصيف نصار^(١) هي: "الحق في الأمر فهي تستلزم أمراً و مأموراً وأمراً، أمراً له الحق في إصدار أمر إلى المأمور، ومأموراً عليه واجب الطاعة للأمر وتنفيذ الأمر وتنفيذ الموجه إليه إذا علاقة بين طرفين متراضين" ويصف عبدالوهاب الكيالي^(٢) في موسوعته السلطة بأنها:

"المرجع الأعلى المسلم له بالنفوذ، أو الهيئة الاجتماعية القادرة على فرض إرادتها على الإرادات الأخرى بحيث تعترف الهيئات الأخرى لها بالقيادة، والفصل وبقدرتها وبحقها على المحاكمة وإنزال العقوبات وبكل

(١) بنقل: نائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسى العقوي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ١٩٠.

(٢) عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٣، دط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دت، ص ٢١٥.

ما يضيف عليها الشرعية ويوجب الاحترام الاعتباراتها والالتزام بقراراتها" ويضيف "بالإمكان تعريف السياسة على أنها علم السلطة".^(١)

ثانياً: السلطة في الفكر الديني المعاصر

بعد ما تبين لنا أن للسلطة السياسية اهمية كبيرة في حياتنا المعاصرة؛ فقد اتفق الجميع (إلا بعض الاستثناءات) على إلزامية وجود السلطة السياسية، وضرورة إقامتها، قد يسأل البعض هل يوجد نظام حكم في الإسلام؟ الجواب: نعم؛ لأن من خصائص الشريعة الإسلامية الشمول، فمن المعقول وجود قواعد وأحكام تكون نظاماً خاصاً للحكم، ودليل ذلك: وجود العديد من الآيات التي تحدّثت عن نظام الحكم، كآيات التي ورد فيها وجوب طاعة الإمام، ومثالها: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(٢)، تدل هذه الآية على وجوب طاعة ولي الأمر، أي الإمام، وطاعة الإمام يسبقها نظام حكم يستند على العديد من الأسس والقواعد، وإن حصل في الفكر الإسلامي الاختلاف في كيفية ممارستها، وضرورتها، فكان هناك ثلاثة اتجاهات واضحة في طرائق تداولها وهي الشورى أو التعيين أو الانتخاب .

الاتجاه الاول: الشوري

وفي هذا المقال سيتمّ التعرف على معنى الشورى، وأدلة وجوبها،

(١) نائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسى اليعقوبي، نشر

دار القارئ، ٢٠١٧، ص ١٨٠٠.

(٢) سورة النساء الآية ٥٩.

وصفات أهلها، إضافة أهميّة الشورى في حياة الفرد والمجتمع.

قبل الحديث عن أهميّة الشورى وأدلة وجوبها لا بدّ من تعريفها، حيث يأتي معنى الشورى في اللغة: التّشاور، أمّا في الاصطلاح معناها: «استطلاع الرأي من ذوى الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق»^(١) اي استخراج الرّأي وتقليبه، أي طلب الرّأي من أهل الاختصاص، وإجالة النّظر فيه للوصول إلى الرّأي الصّائب، عن طريق تبادل الآراء في أمر من الأمور؛ لمعرفة الصّالح منها، والتّأكّد من أنّ هذا الرّأي يُناسب حال الأُمَّة وعرفها بناءً على القواعد الفقهيّة الكلية^(٢)، و تقابل التسلط بالرّأي، الذي ندد به القرآن الكريم في اكثر من موضع، كما في قوله تعالى على لسان فرعون: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)^(٣)، وفي ذلك يقول محمد فتح الله كولن إن الشوري:

”سمة حيوية وقاعدة أساسية لربانيي اليوم و كما كانت للورثة الأولين كذلك فهي في القرآن ابرز علامات والمجتمع المؤمن واهم خصوصيات الجماعة التي تهب قلبها للإسلام وتوضع الشورى في القرآن صفا واحدا مع الصلاة والإنفاق، فينبه المولي تعالي إلى أن الشوري تعامل يترادف مع العبادة والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شوري بينهم ومما رزقناهم ينفقون وبينها في الامر الالهي بالاستجابة لله تعالي وذكر

(١) سامي محمد الصلاحيات، معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، سنة الطبع ١٣٨٥، ص ١٤٩.

(٢) حسين بن محمد المهدي، الشورى في الشريعة الإسلاميّة، لبنان: ٢٠٠٦م، صفحة ٢٤.

(٣) سورة غافر الآية ٢٩.

ضرورات الاستجابة ونتيجتها الصلاة والشورى والإنفاق. فهذا الاعتبار، لا يُعدّ المجتمع الذي يهمل الشورى مجتمعًا متكامل الإيمان، كما لا تُعدّ الجماعة التي لا تعمل بها جماعة مسلمة بالمعنى الكامل. فالشورى في دين الإسلام أساس حياتي لأبد للرؤساء وللمرؤوسين من إجرائه. فالرؤساء مكلفون بالاستشارة في السياسة والإدارة والتشريع وأمور كثيرة تتعلق بالمجتمع، والمرؤوسون مكلفون ببيان رأيهم وفكرهم فيها للرؤساء^(١).

أركان الشورى

المستشير: يستفيد رأيا جديدا، أو دعما و تأييدا.
المستشار: و صفته أن يكون مؤتمنا و صاحب علم، و أن يبين رأيه بإخلاص.

المستشار فيه: و هو الأمر الذى له خطره الفردي و الجماعي.
الرأي: و هو الرأي الذي يكون أقرب إلى روح الشريعة و أبعد عن النقد.

وحكمتها تطيب القلوب مع اجتماع الرأي في تحصيل المصلحة و تهذيب رأي صاحب الأمر مع الامتثال لأمر الرب سبحانه و تعالى، و كذلك من حكمها احترام الدولة لرأي أهل الحل و العقد الذين يمثلون جماهير الأمة الإسلامية.^(٢)

(١) محمد فتح الله كولن، نحن نقيم صرح الروح، ت عمر عوني لطفي أوغلو ط ٧، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٤٥.

(٢) سامي محمد الصلاحات، معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، سنة الطبع ١٣٨٥، ص ١٥٠.

ب: أدلة الشورى

أما فيما يخص أدلة الشورى في القرآن الكريم، فذكرت في آيتين، الأولى في سورة آل عمران قول الله تعالى مخاطبًا -النبي ﷺ-: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١).

وردت صيغة الأمر في كلمة "وشاورهم" لتكون دلالة على وجوب الشورى للرسول الكريم. والثانية في سورة الشورى ذكر الله -سبحانه وتعالى- الشورى كصفة من صفات المسلم، حيث جعلها بين ركنين رئيسيين وهما: الصلاة، والزكاة، لذلك هي واجبة الأداء، كالصلاة والصيام، وهذا يدل دلالة عظيمة على أهمية الشورى في حياة الفرد والمجتمع، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٢) فضلا عن ادلة من السنة النبوية الشريفة فدعا الرسول -صلى الله عليه وآله- إلى الشورى في كل أمر ليس فيه وحي من الله، ولم يعمل به الرسول الكريم، مما يدل على وجوب الشورى وأهميتها، والالتزام بها، وذلك واضح في قول النبي -صلى الله عليه وآله-: "إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه"، وقوله: "المستشار مؤتمن" وقوله: "لا ندم من استشار ولا خاب من استخار".

وفي خصوص الالتزام بالشورى، فقد اختلف المفكرون، والفقهاء؛

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٢) سورة الشورى الآية ٣٨.

فقال بعضهم بالوجوب، إذ يقول حسن بسيوني وسندنا في ذلك (الوجوب) دلالة الأدلة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية إذ هي دلالات قاطعة في وجوبها^(١) ويضيف محمد يوسف إلى الوجوب "وجود سورة في كتاب الله تسمى باسم هذا المبدأ، وجعل الشوري من صفات المؤمنين ثم الأمر بها صراحة في سورة أخرى دليل احتفال الاسلام بالشوري، وجعلها من الأسس التي يقوم عليها الحكم، وتدير شؤون الأمة".^(٢)

ومن المفكرين الذين يقولون بوجوب والزامية الشوري سيد قطب^(٣) فضلا عن المفكر الشيعي محمد مهدي شمس الدين، إذ قال إن الشورى في عصر غيبة الإمام (عج) عند الشيعة الإمامية ومنذ وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) عند غيرهم من المسلمين، واجبة على الأمة والحاكم وملزمة لهما، فيجب على الأمة أن تدير أمورها العامة عن طريق الشورى، ويجب على الحاكم أن يحكم عن طريق الشورى، وهو ملزم شرعا باتباع ما تنتهي إليه عملية الشورى.^(٤)

وهناك من يرى عدم الزامية الشورى، وإنها مندوبة لعدة في أسباب

(١) نقلا عن حسن السيد بسيوني، الدولة ونظام الحكم في الاسلام، ط ١، عالم الكتب،

القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٧٥-٧٨.

(٢) محمد يوسف، نظام الحكم في الاسلام، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص ١٤٢.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، مجلد ٢، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١١٩.

(٤) محمد مهدي شمس الدين، في الاجتماع السياسي الإسلامي، ط ١، المؤسسة الجامعية

للدراستات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٠٧-١٠٨.

ونقاط، لخصها غانم محمد صالح^(١) بالآتي:

- ١- إن الزامية الشورى تؤدي إلى مخالفة طاعة الخليفة أو الحاكم.
- ٢- إن مبدأ الأكثرية مبدأ غير إسلامي.
- ٣- إن الخليفة مجتهد؛ فله الحق في الاستنباط.
- ٤- كذلك الخليفة هو المسؤول عن أعماله، فكيف يلزم بتنفيذ أمر غيره.

٥- إن الآية تقول: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)^(٢) وهذا معناه أن النبي هو الذي يتخذ القرار بالتوكل على الله.

ويضع فاضل الصفار^(٣) صيغاً لمشاركة الأمة في الشورى، وإنه بحسب الاستقراء الخارجي يمكن أن تكون هناك ثلاث صيغ، وهي:

الصيغة الأولى: مشاركة الناس في الشورى بنحو مباشر خصوصاً فيما يتعلق بشؤون الحكم، وقرارات السلطة.

الصيغة الثانية: اختيار الناس لجماعة الخبراء، وأهل الحل والعقد ويرجع إليهم الحاكم في شؤون الحكم والسلطة.

الصيغة الثالثة: إرجاع المشورة إلى مجلس الشورى، الذي تنتخبه الأمة

(١) غانم محمد صالح، الشورى والديمقراطية، د ط، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، ٢٠٠٨م، ص ٥٠٤-٥٥.

(٢) سورة ال عمران الآية ١٥٩.

(٣) فاضل الصفار، فقه الدولة، ج ٢، ط ١، دار الانصار، قم المقدسة، ٢٠٠٥م، ص ١٩٧-١٩٨.

لتأطير القوانين في السلطة التشريعية.^(١)

ج: الشوري عند الفقهاء

و اتجه الفقهاء إلى اتجاهين في تحديد معنى الشورى، نظرا لاختلافهم في دلالة قوله سبحانه: (وشاورهم في الأمر)^(٢).

الفريق الأول: ذلك فيما لم يأت فيه وحي، و روى عن الحسن البصري قوله: «ما أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل»، و من أتباع هذا الفريق الزمخشري و ابن تيمية القائل: فيما لم ينزل فيه وحي من أمور الحرب و الأمور الجزئية و غير ذلك.

الفريق الثاني: ذلك في مكائد الحرب و عند لقاء العدو، و كانت هذه الشورى من الرسول تطيبا لنفوس الصحابة، و إن كان الله تعالى قد أغناه عن رأيهم بوحيه، و لهذا قال الإمام الشافعي: «هو كقوله و البكر تستأمر: تطيبا لقلبها، لا أنه واجب». و من أتباع هذا الرأي الطبري و ابن العربي القائلين: لا تكون الشورى إلا في أمور الحرب.

و حكمها الوجوب كما قال ابن عطية: «الشورى من قواعد الشريعة و عزائم الأحكام، من لا يستشر أهل العلم و الدين فعزله واجب»، و ذهب

(١) تائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسى يعقوبي، نشر

دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٢٣٨.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

البعض إلى الندب.^(١)

د: صفات أهل الشورى

فعن صفات أهل الشورى والرأي، فقد جاء في سورة الشورى آيات تحدّثت عنها حيث يجب أن يكونوا من أصحاب التقوى والإيمان، وهذا كلّه يدلّ على أهميّة الشورى في حياة الفرد والمجتمع، وبلوغ والرشد وحسن السلوك؛ وأن يكون بعيداً عن الكبائر. أن يكون من أهل الإيمان والتقوى، وأن يكون أساسه التوكّل على الله - سبحانه وتعالى و أن يكون صاحب أمانة، وأن يمتلك أسلوب النصيحة والخبرة في الأمر المُستشار فيه. أن يكون صاحب شجاعة للتمييز بين الحقّ والباطل، وأن يكون من أهل الصدق والحلم. و أن يكون مُتأنيّاً؛ لأنّ عدم التّأني يجعله يُقدّم بالرأي بعيداً عن العلم والخبرة وتقدير المسؤوليّة. هذا كله حول مبدأ الاختيار القائم على مبدأ الشوري.

الاتجاه الثاني: تعيين الإمام

أما المبدأ الآخر، وهو التعيين، وهو ما ذهبت إليه مدرسة أهل البيت عليهم السلام مستندين فيه إلى القرآن والسنة، فالإمامة عند الشيعة، هي أصل من أصول الدين لما لها من الأهمية الكبرى والخطورة العظمى وهي قيادة خير أمة أخرجت للناس وما تقوم عليه القيادة من فضائل عديدة وخصائص فريدة أذكر منها، العلم والشجاعة والحلم والنزاهة والعفة والزهد والتقوى

(١) سامي محمد الصلاحيات، معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، مكتبة الشروق

الدولية، القاهرة، سنة الطبع ١٣٨٥، ص ١٥٠.

والصلاح الخ. فالشيعة يعتقدون بأن الإمامة منصب إلهي يعهد به الله سبحانه إلى من يصطفيه من عباده الصالحين ليقوم بذلك الدور الخطير ألا وهو قيادة العالم بعد النبي ﷺ.

إن التعيين عند الشيعة يكون على طريقين، فإما أن يكون تعيين في الإمام بصورة شخصية، وهذا معناه أن يأتي نص إلهي يعين الإمام بشخصه، أو يكون التعيين بحسب الصفات، أي: التعيين النوعي، وفيما يخص النوع الأول، فالإمامة هي إمرة إلهية واستمرار الوظائف النبوة كلها، سوى تحمل الوحي، وهذا يؤدي إلى اتصاف الإمام بالشروط المشتركة في النبي باستثناء كونه طرفاً للوحي؛ ولذا ينحصر طريق ثبوت الإمامة بتنصيب من الله تعالى، وتنصيب من النبي (ﷺ) أو الإمام السابق.^(١)

فيقال: "والأمام عند الإمامية رضوان الله عليهم هو الوارث لعلم النبي ورياسته بعده المتخلق بأخلاقه، والمتحلي بأوصافه الجميلة، والخالي من جميع الأخلاق الرذيلة، السالك في الأمة سلوكه والثابت له كلما ثبت له عدا ربة النبوة من السياسة والرياسة ووجوب الإطاعة، والعالم بالأحكام جملة حتى أرش الخدش علماً حضورياً، لا يعزب عنه شيء منها، وإن كان إرادياً في غير الأحكام مما كان ويكون حسب ما تقرر ذلك في كيفية علم الإمام (عليه السلام) ويلزم إن يكون معيناً ومنصوباً من قبل النبي (ﷺ) ولا يكفي نصب الأمة له"^(٢)

(١) جعفر السبحاني، محاضرات في الالهيات، تلخيص علي الرباني الكلبيكاني ط ٦، مؤسسة

الامام الصادق، قم المقدسة، ١٤٢٣ هـ ص ٣٥٧.

(٢) الشيخ عباس كاشف الغطاء، رسالة في الإمامة، ص ٥.

هذا كله في زمن حضور النبي او الامام واما في زمن غيبته فيمكن تلخيص ذلك بامور:

الف: الامامة أو القيادة في زمن غيبة المعصوم

الإمامة بالكسر في اللغة هي: مصدر أمَّ يؤمّ وأصل معناها: القصد، و تأتي بمعنى التقدم يقال: أممّ وأمّمهم: إذا تقدمهم. وهي كما عرفها الجويني عند أهل السنة والجماعة: (رياسة تامة و زعامة عامة تتعلق بالخاصة و العامة في مهمات الدين و سياسة الدنيا). أما عند الإمامية فالإمامة عندهم: رياسة في الدين و الدنيا و منصب إلهي يختاره الله بسابق علمه و يأمر النبي بأن يدل الأمة عليه و يأمر باتباعه. و تنقسم عند الفقهاء إلى:

*الإمامة الكبرى و يراد منها الرياسة العامة (الخلافة).

*الإمامة الصغرى و يراد منها الصلاة المفروضة.

وشروط الإمامة: الإسلام و التكليف و الذكورة و الكفاية و الحرية و سلامة الحواس و يشترط لدوام الإمامة دوام شروطها و تزول بزوالها إلا العدالة فقد اختلف فيها.^(١)

ب: الامامة والقيادة في زمن الغيبة

بما أن الإمامة مهمة جدا، وهي لا تقل عن ضرورة النبوة، بل إنهما متلازمتان لا تنفك احدهما عن الأخرى فتكون الإمامة من اصول الدين والاعتقاد بها من اركان العقائد الاسلامية، ويجب إن يتصف الإمام

(١) سامي محمد الصلاحات، معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، مكتبة الشروق

بالعصمة، وصفات اخرى،^(١) ولذلك إن الإمام على وفق رؤية مدرسة الإمامية منصوص عليه بنص الهي، وتنصيب النبي له، أما في زمان عصر غيبة الإمام (عليه السلام) الكبرى التي مازالت مستمرة إلى يومنا هذا فيقول هل توكل مهام الإمام المعصوم (عليه السلام) إلى شخص أو عدة اشخاص؟

هذا ما سنقوم بتبينه في موضوع التعيين النوعي، فيقول عبدالله الصادقي إن علماء الشيعة (بالنظر إلى نظرية النظام السياسي في الاسلام واستلهاهم تعاليم الأئمة المعصومين (عليهم السلام) يذهبون إلى أن علماء الدين (الفقهاء) مكلفون في عصرهم من قبل الإمام المعصوم (عليه السلام) وخليفة الله تعالى؛ ليقوموا ببيان احكام الدين ولهذا قال الفقهاء بضرورة القول بأصل ولاية الفقيه^(٢)، و من الفقهاء المعاصرين الذين يقولون بالولاية العامة للفقيه الجامعة للشرائط السيد الخميني (قدس سره)؛ اذ يقول لا يوجد نص يبين الشخص الذي ينوب عن الإمام المعصوم (عليه السلام) حال غيبته، لكن خصائص الحاكم الشرعي للجامع للشرائط تعد مؤهلة له؛ ليحكم في الناس، وهذه الخصائص هي العلم بالقانون، والعدالة، وهي موجودة في الفقهاء؛ فاذا اجمعوا أمرهم، كان من الممكن تكوين حكومة اسلامية عالمية، فإذا اقام بهذا الأمر فقيه، عادل وعالم، فإنه يلي من أمور المجتمع ما كان يليه النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) منهم، ووجب على الناس أن يسمعوا له، ويطيعوه^(٣).

(١) حسن مكّي العاملي الهاشمي، بداية المعرفة، ط ١، مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الاسلامية، ١٩٩٢م، دم، ص ١٤٣.

(٢) عبد الله حاجي الصادقي، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٣) روح الله الخميني، كتاب البيع، ج ٢، ص ٤٦٧.

ومن صلاحياته أنه يملك ما كان يملكه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَام) من امر الرعاية والادارة، والسياسة، إن رؤية السيد الخميني (قَدَسَ سِرُّهُ) للولاية العامة للفقهاء هي أن نواب الإمام المهدي (عج) في زمن الغيبة هم الفقهاء الجامعون لشرائط الفتوى، والقضاء، وهم يقومون مقامه (عج) في اجراء السياسات، وسائر ما للإمام (عَلَيْهِ السَّلَام) إلا موضوع الجهاد الابتدائي^(١). وفي موضع آخر يقول:

”للفقيه العادل جميع ما للرسول والأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَام) مما يرجع الى الحكومة والسياسة، ولا يعقل الفرق، لأنّ الوالى - أى شخص كان - هو مجري أحكام الشريعة، والمقيم للحدود الإلهية، والأخذ للخراج وسائر الماليات، والتصرف فيها بما هو صلاح المسلمين“^(٢).

ويرى أغلب علماء الإسلام أن الفقيه يتمتع بثلاث ولايات، وهي الولاية بالفتوى، وفي التنفيذ والادارة، وفي القضاء، وطبقا للمادة المتعلقة بالسلطات، فإن الولايتين الأخيرتين تشبهان القدرتين التنفيذية والقضائية للسلطتين التنفيذية والقضائية، أما الولاية في الفتوى، فهي تناظر القدرة على

(١) روح الله الخميني، تحرير الوسيلة : مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج ١، مسألة ٢، ص ٤٤٢، نقلا عن كاظم قاضي زاده، نظرية الولاية المطلقة للفقهاء ودراسة في النشأة والاصول، مجموعة باحثين حاكمية الفقه بين السلطة والولاية، طا، بيروت، ٢٠١٠م، ص ٢٣.

(٢) روح الله الخميني، كتاب البيع، ج ٢، ص ٤٦٨.

سن القوانين في السلطة التشريعية.^(١)

ويعرف ولاية الفقيه محمد ال بحر العلوم: بأنها "السلطة الشرعية أو العقلية على نفس الغير أو ماله أو كليهما سواء كانت في هذه السلطة أصلية أم عرضية وهذه السلطة على الغير التي يلزم باتباعها دون الحاجة إلى موافقة".^(٢)

إن السيد الخميني (قده) يقسم الولاية إلى قسمين:^(٣)

القسم الاول- الولاية الاعتبارية: اذ يعرفها بقوله: "والولاية من الامور الوضعية الاعتبارية العقلانية"^(٤) وايضا يقول: "هي حكومة الناس وادارة الدولة، وتنفيذ أحكام الشرع ... بمعنى آخر الولاية تعني الحكومة والادارة وسياسة البلاد".

القسم الثاني- الولاية التكوينية: وهي تعني ثبوت الولاية للأئمة (عليهم السلام) فضلا عن منزلتهم (عليهم السلام) السامية، والمقام المحمود، وخلافتهم التكوينية التي تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات الكون، وإن منزلة النبي والأئمة (عليهم السلام) لا يبلغها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، وهي من ضروريات المذهب الشيعي.

(١) اسماعيلي نعمت الالهي، الدائرة الموضوعية لحكم الولي الفقيه من وجهة نظر الإمام

الخميني، مجموعة باحثين، حاكمية الفقه بين السلطة والولاية، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٢.

(٢) محمد ال بحر العلوم، بلغة الفقيه، ج ٣، ط، مكتبة الصادق (عليه السلام)، طهران، ١٣٩٢ش، ص ٢١٠.

(٣) روح الله الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩-٥٣.

(٤) روح الله الخميني، مكاسب محرمة، ج ٢، ص ١٠٦، (ج ٢، ص ١٦٠).

ويرى السيد الخميني أن للفقهاء جميع ما للإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلا إذا أقام الدليل على أن الثابت له (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ليس من جهة ولايته، وسلطته، بل لجهات شخصية تشريفاً له، وأن نيابة الفقيه للإمام هي ولائية سلطوية تتعلق بالوظائف دون أن تمتد إلى الرتبة أو القيمة، إلا أن ذلك لا ينزع عن هذه الحكومة طابعها المتعالي، ويعطي التفسير المنطقي لذلك السمو، والشمولية اللذين أضافهما السيد الخميني (قَالَ سَيِّدُ) على مفهوم السلطة.^(١)

وهناك من الفقهاء المعاصرين من يذهب إلى ما ذهب إليه السيد الخميني (قَالَ سَيِّدُ) في الولاية المطلقة للفقهاء، ومنهم جوادى الآملي ومحمود الهاشمي والسيد الشهيد محمد صادق الصدر إذ يرى الشهيد الصدر الثاني أن الاستدلال على ولاية الفقيه ضمن حقلين نذكرهما إجمالاً:^(٢)

الحقل الأول: القواعد العامة المؤسسة في المصادر الشرعية، ويكون

بأسلوبين:

الأسلوب الأول: العقلي وهو ما ذهب إليه المحقق النائيني^(٣) وصيغته أن البشر أما أن يبقوا في حالة تسيب بدون قانون، أو أن تنظم حياتهم،

(١) نقلاً عن علي فياض، نظريات السلطة في الفكر السياسي الشيعي المعاصر، ط ٢، مركز

الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، ٢٠١٠م، ص ١٧٥.

(٢) محمد صادق الصدر، فيما يخص ولاية الفقيه، مؤسسة المنتظر لاهياء تراث ال

صدر، ط ١، مدين للطباعة والنشر، ٢٠١٣م، ص ٥٧-٦٦.

(٣) للاستزادة ينظر محمد حسين النائيني، تنبيه الأمة وتنزيه الملة، النسخة العربية، د له، د ت،

وشؤونهم بالقانون، ولا شك أن الإسلام يرجح الثاني، وهذا أما إن يكون من صنع البشر، أو مستقي من الله سبحانه والثاني هو الصحيح، وهذا أما إن يبقى حبرا على ورق، أو يكون حيز التطبيق، والثاني هو الصحيح إسلامياً، وهذا أما يطبق من دون حكومة مركزية أو بواسطتها، والثاني هو الصحيح، وهذا إما إن يوكل إلى شخص كافر منحرف، أو خص عادل عالم، ولا شك أن الثاني هو المتعين في الإسلام، فنصل إلى نتيجة مفادها إن الصحيح في الإسلام هو وجود شخص عادل عالم، يطبق نظام الإسلام.

الأسلوب الثاني: البرهان العقلي الإسلامي الذي يجمع بين المقدمات العقلية، والمقدمات الإسلامية التعبدية وهو ما ذهب إليه السيد الخميني^(١).

الحقل الثاني: الاستدلال على ولاية الفقيه من النصوص التشريعية، وهي الروايات والكلمات التي وردت عن الأئمة (عليهم السلام) وفي هذه الروايات نقطة ضعف وقوة وفيما تقدم تبين لنا أن السيد محمد محمد صادق الصدر (قدس سره) اثبت الولاية العامة للفقيه، وبذلك الحكم حول صدور ولاية الفقيه في كتابه (ما وراء الفقه) بصورة مفصلة، منها تحصل لدينا أنه يشترط في الولي الفقيه العلمية؛ فهو يؤمن بتعدد الولايات ولاسيما إذا كان الفقيه ليس اعلم فإن ولايته تكون ضمن حدود ولايته الجغرافية، ولا تتعداها، أما الولي الفقيه الأعلم، فله الولاية المطلقة على عموم المسلمين، حتى وإن لم يكن ميسوط اليد عليهم، بل ويكفي عنده السيطرة الوجدانية لإدارة أمور

(١) ينظر روح الله الخميني، الحكومة الإسلامية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣، وما بعدها فقد تقدم الكلام في بعضها.

الاتجاه الثالث: انتخاب الإمام

وبعد التعرف على طريقتي الشورى والتعيين، يتحتم علينا الحديث عن الاتجاه الثالث، ألا وهو الانتخاب، والذي أصبح اليوم امر ضروري لا يمكن الاستغناء عنه؛ لأن الأمة مصدر السلطات، ومن ابرز القائلين به هو محمد مهدي شمس الدين، اذ يقول إن دليل شرعيتها هو الآيات القرآنية، والروايات الشريفة ومصدر شرعيتها هو الله سبحانه و تعالي؛ اذ جعل الله سبحانه للأمة الولاية على نفسها في حال عدم حضور الإمام المعصوم (عليه السلام) هذا مع الالتزام باستمرار مرجعية الأئمة (عليهم السلام) على مستوى الترشيح من خلال عملية الاجتهاد التي يمارسها الفقيه.^(٣)

ومن الفقهاء الذين اتخذوا رأياً وسطاً هو السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره)، إذ كانت له ثلاثة آراء عبر مسيرة حياته إلا إنه استقر في نهاية السبعينيات على رأيه الاخير وهو الجمع بين ولاية الفقيه والشورى، أو ما يطلق عليه ولاية الفقيه المقيدة، وهي تقوم على المبادئ التشريعية في الفقه الاسلامي الآتية:

(١) محمد محمد صادق الصدر، ما وراء الفقه، ج ٩، ط ٢، محبين، قم المقدسة، ٢٠٠٥م، ص ٦٧-٩٠.

(٢) نائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي اليعقوبي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٢٦٦.

(٣) محمد شمس الدين، نظام الحكم والادارة في الاسلام، ط ٢، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩١م، ص ٤١٠.

١- لا ولاية بالأصل إلا لله سبحانه و تعالي.
٢- النيابة العامة للمجتهد المطلق العادل الكفوء عن الإمام وفقا لحديث (الحوادث الواقعة).

٣- الخلافة العامة للأمة على أساس قاعدة الشوري.
٤- فكرة أهل الحل والعقد المطبقة في الاسلام، والتي تؤدي مع تطويرها إلى افتراض مجلس يمثل الأمة، وينبثق عنها بالانتخابات.^(١)
وهنا يبين السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قده) مسؤولية المرجع الذي هو امتداد للإمامة، ويضعها على ثلاثة أقسام:^(٢)
١- المحافظة على الشريعة الاسلامية والرسالة، ورد كيد الكائدين.
٢- أن يكون المرجع مجتهداً، واجتهاده هو المقياس الموضوعي للأمة.

٣- أن يكون مشرفاً، ورقبياً على الأمة.
وبعد التعرف على مفهوم السلطة في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر بشكل عام لابد من التعرف عليها بشكل خاص عند الشيخ محمد اليقوي وكيف ينظر الى الولاية العامة للفقيه.

(١) علي فياض، نظريات السلطة في الفكر السياسي الشيعي المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧١ وما بعدها.

(٢) جاسم الزيني، الدولة في فكر محمد باقر الصدر، ط ١، المؤسسة البديل للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ٢٠٩، ص ٣٤٦ وما بعدها؛ محمد باقر الصدر، الاسلام يقود الحياة، ط ٢، وزارة الارشاد الاسلامي، طهران، ١٤٠٣هـ، ص ١٦.

المطلب الرابع: ولاية الفقيه في فكر الشيخ محمد اليعقوبي

إن الشارع المقدس قسم الاعمال الواجب أدائها إلى قسمين في الواجبات الفردية، وهي التي يتعين على الفرد القيام بها كالصلاة والصيام، وواجبات أخرى وهي الاجتماعية، وهي التي يجب على مجموع الأمة القيام بها، وإن تصدى لها واحد، أو أكثر سقطت من الآخرين، وإلا فالجميع آثم مثل مهنة الطب، وهذا ما يسمى بالواجب الكفائي، وأن الشريعة اهتمت بهذه الواجبات اهتماما كبيرا من تفضيل العالم على العابد وأن اصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، ولأن أحكام الله تعالى تصل إلينا عن طريق الأنبياء والرسول (ﷺ) فقد امرنا بطاعتهم كونهم مبلغين عنه سبحانه وهم ولاة أمور الأمة بتفويض منه تعالى، وتجب طاعتهم باذنه سبحانه، ثم أمر النبي (ﷺ) باتباع الأئمة (عليهم السلام) (اهل بيته من بعده) قال تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)^(١) وفي زمن الغيبة فوض الأئمة (عليهم السلام) الصلاحيات الممكنة إلى نوابهم المجتهدين الجامعين للشرائط ومن تلك الصلاحيات ولاية أمر الناس.^(٢)

ولعل من أهم الواجبات الاجتماعية إدارة شؤون الأمة وحفظ مصالحها، واقامة العدل في البلاد، ونفهم هذه الأهمية من واقعة الغدير، حيث قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

(١) سورة المائدة، الآية ٥٥.

(٢) الشيخ محمد اليعقوبي، فقه المشاركة في السلطة، ص ١١.

الْكَافِرِينَ^(١) (إذ أمر الله تعالى نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) أن ينصب عليا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أمير المؤمنين قائدا للامة من بعده (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، واماما لها وجعل هذا العمل في كفة وتبليغ الأحكام في كفة أخرى.^(٢)

وتمثل نظرية ولاية الفقيه إحدى نظريات الفقه السياسي الشيعي المعاصر، وهي نوعان:

النوع الأول ولاية الفقيه المطلقة (العامة) وهي ولاية التصرف في الدماء، والأموال، وإدارة الوضع العام للسلطة، وتعد من صلاحيات المعصوم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أو المأذون من قبله، فهذه المواصفات تمنح الفقيه ولاية كاملة على الدولة التي يقيمها، وتكون خاضعة تماما لسلطانه.

النوع الثاني فهي ولاية الفقيه الجزئية الخاصة بزمن الغيبة، وهي ولاية الحاكم الشرعي، وهو الفقيه الجامع لشرائط الفتوى، مهماته العامة فض الخصومات، وإجراء الحدود والتعزيرات اذا اتاحت الظروف له، وأدراة شؤون الأمة والافتاء في قضاياها، وتعيين الولي على القاصر، بمعنى ولاية الفقيه على من لا ولاية له، وهي ليست بمعنى الحاكمية السياسية.^(٣)

ويرى الشيخ محمد اليعقوبي أن تنظيم أمر الأمة في التشكيلات المؤسساتية التي تعتمد على العمل الجماعي لا الفردي ضرورة اجتماعية، فلا بد من انضمام الجهود بعضها إلى البعض في خلية واحدة؛ ليتكامل

(١) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٢) الشيخ محمد اليعقوبي، خطاب المرحلة، ج ٣، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٠.

(٣) غانم جواد، الشيعة والانتقال الديمقراطي، ط ١، دار الحصاد، دمشق، ٢٠١١ م ص ١٠٢.

العطاء، وقد أكد القرآن الكريم العمل المنتظم والجماعي، قال تعالى: (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١) وأوصى الإمام علي (عليه السلام) بكلماته بتقوى الله ونظم الأمر. (٢)

أولاً: الفقيه الجامع للشرائط هو قمة الهرم في اصدار القرار إن نظام الحكم في الاسلام يبني على ولاية الفقيه الجامع للشرائط من الاجتهاد، والعدالة، والكفاءة فهو قمة الهرم في اصدار القرار، ويجب أن ترجع اليه السلطات، وله عدة مستشارين يرجع اليهم في معرفة حقيقة القضايا المعروضة، واستنباط الأحكام الشرعية التي تنطبق عليها، ويستمد مشروعيته من نيابته من الإمام المهدي (عج) التي لا يستحقها الا بعد تمتعه بملكات وصفات وفضلا عن شهادة أهل الخبرة باجتماع الشروط فيه، ومتى ما ابتعد عن هذه الشروط، تنزع نيابة المعصوم (عليه السلام) عنه وهذا ما اشار اليه الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: (اذا رأيتم العالم محبا لديناه فاتهموه على دينكم). (٣)

إن الفقيه هو العقل الذي تجتمع عنده افكار الأمة ورؤاها، فيصوغها بما آتاه الله من مؤهلات في افضل مشروع، ففيه تستقيم حياة الأمة، وهذه العلاقة بين الفقيه والامة هي التي ترسم ادوارا كل منها، فالفقيه ليس رئيس

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤.

(٢) خطاب المرحلة، ج ٣، ص ٢٩٠.

(٣) الشيخ محمد العنقوبي، نحو سياسة نظيفة، ص ص ٣٣-٣٤.

الحكومة، ولا رئيس الدائرة، وإنما هو الأب والراعي لكل هؤلاء الذين يحققون الخير لأنفسهم، ولا متهم بمقدار اخذهم بتوجيهات المرجعية التي لا تكره احدا على طاعتها، وإنما تعمل على اقناع الناس بمنهجها ومشروعها. هذا هو موقع الفقيه باختصار، وبقي على الأمة أن تتعرف على قياداتها الحقيقية وتفي بالتزاماتها.^(١)

ويتضح لنا مما سبق أن للفقيه دورا كبيرا في إدارة امور الأمة عند الشيخ اليقوبي، فيجب على الأمة معرفة القيادة الحقيقية لها، واطاعتها، وإنها النائبة عن الإمام المهدي (عليه السلام) في عصر الغيبة، ويضع وظائف المرجع في ثلاثة عناوين:^(٢)

١- الافتاء، واستخراج أحكام مختلف الحالات، والوقائع من اصول التشريع.

٢- القضاء بين الناس، والنظر في الخصومات.

٣- ولاية امر الامة وهذا العنوان يضم وظائف كثيرة منها:

- رعاية شؤون الأمة، وحل مشاكلها وقضاء حوائجها.

- الدفاع عن حقوق الأمة في جميع النواحي الدينية، والاقتصادية،

والسياسية، والاخلاقية.

- المحافظة على وحدتها، وتماسكها، وصيانة عزها وكرامتها.

- الوقوف بوجه الظلم، والفساد، والانحراف.

- حفظ النظام العام الاجتماعي.

(١) الشيخ محمد اليقوبي، حوارات في الفكر الديني والسياسي، ص ٧٧.

(٢) الشيخ محمد اليقوبي، سبل السلام، العبادات، ص ٢٩-٣٠.

- التصدي للوظائف الاجتماعية، مثل: صلاة الجمعة، وتنظيم العمل المسلح إلى آخره.

- معالجة الشبهات الموضوعية مثل اثبات أوائل الشهور إلى آخره. وعلى الرغم من أنه يرى أن نظام الحكم الأصلح هو نظام ولاية الفقيه الجامع للشرائط من العدالة، والاجتهاد، والكفاءة على إدارة البلد، ويكون بجانبه تعيين مستشارين متخصصين يعينونه في اداء مهمته، الا أنه يؤكد مسالة الرضا، والقبول حيث يقول: "لا يفرض الفقيه ولايته على الأمة بالاكراه وإنما يشترط تحقق ارادتها وقناعتها بولايته".^(١)

ويرى أن وجود قيادة للأمة ضرورة عقلائية، يقتضيها النظام الاجتماعي الإنساني وهذا ما كان يفعله الرسول الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إذا خرج إلى غزوة، فإنه يخلف على المدينة احد اصحابه، ولا شك أن القيادة لابد أن تكون صالحة ولها شروط معينة.^(٢) ويضيف أن الدليل على نيابة الفقيه عن المعصوم (عَلَيْهِ السَّلَام) بالنيابة العامة هو نفس الدليل على وجوب وجود الإمام نفسه، وهو حكم العقل بوجوب نصب إمام ومرجع يحفظ البلاد والعباد، وقد عبر أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَام) عن هذا الوجوب بقوله (عَلَيْهِ السَّلَام): "لابد للناس من امير بر أو فاجر يعمل في امرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ فيه الله الأجل، ويجمع به الفيء، ويقا تل به العدو، وتأم ن به السبل، ويؤخذ به

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٢) الشيخ محمد يعقوبي، حوارات في الفكر الديني والسياسي، مصدر سبق ذكره، ص ص

للضعيف من القوي، حتى يستريح به بر ويستراح من فاجر^(١)، فلا بد أن يكون الفقيه عارفاً بالقانون الالهي، وقادر على استنتاج مصادر التشريع، وأن يكون بدرجة عالية من النزاهة، وعدم الاستباق وراء اهواء النفس، والترفع عن الدنيا، وأن يكون ذائباً في الله تعالى بحيث يعيش معه بكل وجدانه^(٢)، ويؤكد هذا الحكم العقلي وما ورد عن ابن شاذان عن الإمام الرضا (عليه السلام) في حديث طويل نقل مقطعا منه، قال (عليه السلام) "إنا لانجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل عاشوا ونعموا الا بقيم ورئيس لما لا بد لهم من امر الدين والدنيا فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم أنه لا بد لهم ولا قوام لهم الا به فيقتلون به عدوهم ويقسمون به فيئهم ويقيم لهم جمعتهم وجماعتهم ويمنع ظالمهم من مظلومهم"^(٣).

لقد ميز الشيخ اليعقوبي بين السلطان العادل والسلطان الجائر؛ إذ جعل الانتماء الشرعي للخط المتصل بالله تعالى من الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) إلى الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) إلى العلماء الجامعين لشرائط ولاية أمر الأمة في هذا الزمان، الذين فوض اليهم الأئمة الطاهرون (عليهم السلام) هذا المنصب، وهناك مواصفات نظرية وعملية أكثر من شروط مرجعية الافتاء؛ إذ قال الإمام الصادق (عليه السلام) في من ينطبق عليهم عنوان السلطان العادل:

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابراهيم، المجلد الأول، ج ٢، ط ١، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٧م، ص ٤١٧.

(٢) الشيخ محمد اليعقوبي، سبل السلام، العبادات، مصدر سبق ذكره، ص ٣١. للمزيد ينظر محمد اليعقوبي، الأسوة الحسنة للقادة والمصلحين، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢ - ١٥٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢ - ٣٣.

ولاية ولاة العدل الذين امر الله بولايتهم على الناس^(١) والشرط الآخر هو العمل بمقتضى الأحكام الشرعية، وتحرير القوانين على طبقها، والسعي لتنفيذها على أرض الواقع^(٢)، واستشهد الشيخ اليقوي على ذلك بقول الإمام الصادق (عليه السلام): (فوجه الحلال من الولاية ولاية الوالي العادل وولاية ولايته بجهة ما أمر به الوالي العادل بلا زيادة ولا نقصان).^(٣)

ويعرف السلطان العادل بقوله: هو المعصوم (عليه السلام) في زمانه، أما في زمان الغيبة فهم الفقهاء الجامعون لشرائط ولاية أمر الأمة وقيادتها ولهم اهلية السلطة على الناس بالاذن العام للنيابة عن المعصوم (عليه السلام)، ولا يكفي فيه شرائط الافتاء، والسلطان العادل هو الذي يأمر باقامة الجمعة والجهاد ونصب القضاة واجراء العقوبات ومنح الشرعية للحكام المؤهلين بعد اخذ التعهدات عليهم بالعمل ضمن الحدود المرسومة لهم ونحوها من الصلاحيات.^(٤)

إن الولاية للسلطان تعني العمل ضمن اجهزة السلطة، وأن في حكم الولاية للسلطان العادل هو الجواز بالمعنى الأعم، قال الإمام الصادق (عليه السلام): "فوجه الحلال من الولاية ولاية الوالي العادل، وولاية ولايته بجهة ما أمر الله

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج ١٧، كتاب التجارة، أبواب ما يكتسب به، مؤسسة آل البيت ع لاحياء التراث، ط ٢، مهر، قم المقدسة، ١٤١٤ هـ ب ٢، ح ١، ص ٨٣.
 (٢) الشيخ محمد اليقوي، فقه الخلاف، ج ١، مصدر سبق ذكره، ص ٩٧.
 (٣) محمد بن الحسن الحر العاملي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤.
 (٤) الشيخ محمد اليقوي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

به الوالي العادل بلا زيادة ولا نقصان، فالولاية معه ومعونته وتقويته حلال محلل^(١). بل إن هذه الولاية راجحة، لما فيها من المعاونة على البر والتقوى، قال تعالى:

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^(٢) والانضمام إلى المشروع الالهي الذي يقوده ولي الامر المطاع بامر الله تعالى، والاستجابة له^(٣)؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)^(٤).

ويرى الشيخ أنه قد تجب الولاية للسلطان العادل عينا كما اذا عينه الإمام المعصوم (عليه السلام)، الذي قرن الله طاعته بطاعته مع فرض الإنحصار في شخص مخصوص، فإنه يجب عليه قبولها، بل طلبها، والسعي في مقدمات تحصيلها؛ كل ذلك لاطلاق ما دل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتجب مقدماته، كما أنه يجب السعي فيها؛ قال الإمام الصادق (عليه السلام): "الإمام المنصوب من قبل الله عزوجل ومن اقامة الإمام من ولاة العدل يجب على من استعانه عونه والعمل له اذا استعمله والعمل معه وله بما امره به، ومعونته في ولايته طاعة من طاعات الله، والكسب منه من وجهه حلال

(١) نقلا عن محمد بن الحسن الحر العاملي، مصدر سبق ذكره، ج ١٧، ص ٨٤

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) الشيخ محمد اليعقوبي، فقه الخلاف، ج ٩، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٢٤.

محلل والعمل لأئمة الجور ومن اقاموه والكسب معهم حرام محرّم ومعصية الله تعالى" (١) وإن اطلاق الأمر بالمعروف يقتضي وجوب سائر المقدمات. (٢)

إن العمل السياسي قد يكون واجبا على ثلّة من المؤمنين؛ اذ يرى الشيخ اليقوي "وجوب الدخول في العمل السياسي على المؤهلين له لأنه مقدمة اكدية لاقامة فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الصعيد الاجتماعي، وقد اعلنها منذ أوائل تغيير النظام المقبور عام ٢٠٠٣م (٣) ويضيف الشيخ أن العمل السياسي من أوضح آليات الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأوسع القنوات للقيام بهذه الفريضة المباركة، فالفرد العامل يستطيع من خلال وظيفته، أو موقعه الاداري اصلاح كثير من الإنحراف والفساد، فضلا عن قضاء حوائج المؤمنين، وإقامة العدل في الرعية، وهذه الأعمال وغيرها هي من أوضح المصاديق لهذه الفريضة الإلهية، ولا تتحقق إلا من خلال التصدي لإدارة شؤون الأمة" (٤)، وقد أشار الأئمة (عليهم السلام) إلى هذه الأهمية؛ إذ قال الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الموضوع نفسه بقوله: (إن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأئمة على

- (١) اسماعيل المعزي الملايري، جامع احاديث الشيعة في أحكام الشريعة، ج ٢٢، د ط، الكوثر، قم المقدسة، ١٤٢٣ هـ ٣٢٢٦٨١، ص ٣٤٤.
- (٢) الشيخ محمد اليقوي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥.
- (٣) الشيخ محمد اليقوي، فقه الخلاف، ج ٩، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨.
- (٤) خطاب المرحلة، ج ٣، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧١.

حلاله وحرامه).^(١)

إن العمل السياسي الذي أشرنا إليه في أعلاه، وتشكيل المؤسسات والأحزاب لا يعني التخلي عن الخيار المرجعي في قيادة الأمة؛ لأنه الخيار الأكمل والأقدر على تصحيح مسار الأمة، وهذا ما أكد عليه أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فقد روي عن الإمام العسكري (عليه السلام): (فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه، مخالفا لهواه، مطيعا لأمر مولاه؛ فاللعوام أن يقلدوه)^(٢) فضلا عن أن وجوب العمل السياسي على الأمة لا يعني أنها كلها تترك أعمالها، وتعمل بالسياسة، فلكل فرد ما يناسبه من العمل، وحاجات المجتمع متنوعة، وكلها ضرورية لحياته، فيجب أن تتصدى النخبة لهذا العمل، ويجب على الأمة أن تمتلك وعيا سياسيا، ويكون لها دور فاعل في قضاياها المصيرية"^(٣).

هذا تمام الكلام في السلطان العادل أما السلطان الجائر فقد عرفه الشيخ اليعقوبي بقوله:

"هو الذي لا يملك مستندا شرعيا للحكم وممارسة السلطة، وأن لم يكن جائرا بالمعنى العرفي، أي ليس ظالما مستبدا، مع الاعتراف بأن جماعة في حكومة السلطان الشرعي غير المعصوم (عليه السلام) قد ترتكب أخطاء ومظالم خلاف كغير الشرعي، لكن الفرق بينهما من جهة أن من طلب الحق

128

(١) حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل، ج ١٧، ت مؤسسة إلى

البيت (عليهم السلام) لاحياء التراث، ط ٣، بيروت، ١٩٩١م، ب ١١، ح ٢١٤٥٤، ص ٣١٦.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٧، مؤسسة آل البيت، قم المقدسة ١٤١٤هـ ص ١٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٧٣-٣٧٥.

فاخطأه ليس كمن طلب الباطل فادرکه" (١).

إن الولاية للسلطان الجائر حرام في الجملة إجماعاً، أما القدر المتيقن منها، فينقل الشيخ اليعقوبي رأي الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر: "فلا ريب في أنها تحرم مع الاختيار إذا كانت على محرم كالولاية على ما ابتدعه الظالمون من القمرك الكمارك ونحوه، بلا خلاف بل هو من الضروريات المستغنية عن ذكر ما يدل عليها من الكتاب والسنة والإجماعات" (٢).

ونقلنا الإجماع المحكي عن الفقهاء في الولاية للسلطان الجائر، وهو إجماع في الجملة، كما أشار الشيخ محمد اليعقوبي إلى وجود الخلاف في بعض التفاصيل، ومن أهم هذه الخلافات هو: هل حرمة ولاية السلطان الجائر ذاتية، وإن لم يعمَل محرم في ولايته، أو أنها حرمة عرضية؛ لاحتمال وقوعه في المحرمات، فلو اطمأن بعدم وجود محرمات جازت، إذن إما حرمة ذاتية أو عرضية، وأن الشيخ اليعقوبي يصحح رأي الحرمة الذاتية، فيقول على مقتضى الأصل بالحرمة الذاتية "أنه مقتضى الأصل؛ لأن ولاية الجائر، ومن ولي شيئاً له هو تعد على حق المستحق الشرعي وظلم له وتصرف في حق الغير بغير إذنه، بغض النظر عن حصول محرمات في هذه الولاية أو عدم حصولها، ولو وقعت فإنها حرام آخر" (٣).

ويذكر الشيخ وجهاً آخر للحرمة الذاتية، وهو النصوص الدالة على

(١) الشيخ محمد اليعقوبي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

(٢) نقلاً عن الشيخ محمد اليعقوبي، فقه الخلاف، ج ٩، مصدر سبق ذكره، ص ١١١.

(٣) الشيخ محمد اليعقوبي، فقه المشاركة بالسلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.

حرمة الولاية للجائر مطلقا، فهي و تعني الحرمة في ذاتها دون التقييد بالمعصية، فمن هذه النصوص قوله تعالى (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ)^(١)، فإن الركون هو الميل مع سكون، واطمئنان إلى من ركن إليه؛ إذ قال الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في تفسيرها: (هو الرجل يأتي السلطان فيحب بقاؤه إلى أن يدخل يده في كيسه فيعطيه)، ويقول (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (من ولي جائرا على جور كان قرين هامان في جهنم)^(٢)، ومن النصوص الأخرى الروايات الشريفة، فهي كثيرة فهناك ما دلت على حرمة الولاية للجائر مطلقا، فالاصل فيها الحرمة بصرف النظر عن الاستثناءات، ويضيف الأولوية فالميل القليل إلى الذين ظلموا موجب لمس النار فمعاونتهم بالطريق الأولى موجبة لمس النار.^(٣)

ومن الوجوه التي أستند إليها الشيخ اليعقوبي للإستدلال على الحرمة الذاتية، هو ما دل على حرمة معونة الظالمين مطلقا، والولاية لسلطان الجور معونة لهم قطعاً؛ فهذا الوجه متكون من مقدمتين، الأولى: أن ولاية الجائر معونة له، والثانية: معونة الظالمين (المنطبق على الجائر) حرام مطلقا، وينقل

(١) سورة هود، الآية ١١٣.

(٢) محمد بن حسن الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج ١٧، كتاب التجارة، ابواب ما يكتسب به، مصدر سبق ذكره، ب ٤٣، ح ١، ص ١٨٦. للمزيد ينظر المصدر نفسه، باب ٦٢ إلى باب ٥١، ص ٢١٨.

(٣) الشيخ محمد اليعقوبي، فقه الخلاف، ج ٩، مصدر سبق ذكره، ص ص ١١٩-١٢٢. للمزيد ينظر الشيخ مرتضى الأنصاري، المكاسب، ج ٢، دل، دم، ص ٦٩ وما بعدها.

رأي الشيخ الأنصاري حول إعانة الجائر: (لأن الوالي من أعظم الاعوان) وقال السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض: (ويدخل في إعانتهم المحرمة اختيار التولية عنهم بلا خلاف)، بل إن الإمام الصادق (عليه السلام) كما في صحيحة يونس بن يعقوب، قال لي ابو عبدالله (عليه السلام): لا تعنهم على بناء مسجد؛ لأن الظالمين يتخذون المساجد غطاء لأعمالهم الشيطانية كمسجد ضرار، الذي احرقه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).^(١)

وهناك وجه آخر للاستدلال على الحرمة الذاتية لولاية الجائر و أشار اليه الشيخ يعقوبي، وهو أصالة الحرمة، أو في قاعدة الحرمة بتقريب: أن الولاية للجائر لا تنفك عن الظلم والمعصية، كما هو الظاهر من بعض الروايات، ومنها صحيحة داوود بن زربي^(٢) الصريحة في إستحالة الإنفكاك؛ إذ أشار الإمام المعصوم (عليه السلام) إلى أن تناول النجوم أيسر من تجنب المعصية في ولاية الجائر، بل في روايات أخرى تجعل الولاية منافية لسلامة الدين، وعلى هذه الروايات بني الشيخ مرتضى الأنصاري اعترافه بعدم الأنفكاك، فيكون الأصل في هذه المسألة الحرمة، وأن الوظيفة العملية

(١) الشيخ محمد يعقوبي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢ - ٦٣.

(٢) عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ إِبْنِ أَبِي عَمِيرٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ زُرْبِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي مَوْلى لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كُنْتُ بِالْكُوفَةِ فَقَدِمَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحِيرَةَ فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ لَوْ كَلَّمْتَ دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ، أَوْ بَعْضَ هَؤُلَاءِ فَأَدْخَلَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْوَلَايَاتِ فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ إِلَى أَنْ قَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ طَنَنْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا كَرِهْتَ ذَلِكَ مَخَافَةَ أَنْ أَجُورَ أَوْ أَظْلِمَ وَإِنَّ كُلَّ أَمْرٍ لِي طَالِقٌ وَكُلُّ مَمْلُوكٍ لِي حُرٌّ وَعَلِيٌّ وَعَلِيٌّ إِنْ ظَلَمْتُ أَحَدًا أَوْ جُرْتُ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ أَغْدِلْ قَالَ كَيْفَ قُلْتُ فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ الْأَيْمَانَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ تَنَاوَلُ السَّمَاءَ أَيْسَرَ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ. نقلًا عن المصدر نفسه، ص ١٨٨.

هي الاجتناب".^(١)

أشير فيما سبق إلى أن هناك عدة استثناءات من الحرمة الذاتية للسلطان الجائر بعد أن أوردنا أدلة الشيخ اليعقوبي بثبوت الحرمة الذاتية للجائر، ونذكر عدة موارد بصورة موجزة:

المورد الأول: القيام بمصالح العباد؛ واستدل عليه بعد الإجماع المتردد، والسنة الصحيحة، قوله تعالى في قصة النبي يوسف (عليه السلام): (قال اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)^(٢) طلب ذلك اليه ليحفظ المال عن لا يستحقه، ويوصله إلى مستحقه.^(٣)

المورد الثاني: ما لو توقف الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر عليها، وينقل الشيخ اليعقوبي قول الفقهاء، وأنهم اختلفوا هل هو الوجوب أو الاستحباب وأضاف أن بعض الفقهاء توقف فقط في المحرمات، أما ما اتخذه الشيخ اليعقوبي هو التفكيك بين وجوب الأمر بالمعروف ووجوب النهي عن المنكر - كما ناقشها في البحوث التمهيدية.^(٤)

المورد الثالث: الإكراه، والتقية، والإضطرار ففي حالة إكراه الجائر للفرد على الولاية، وتوعده، وخاف وقوع الضرر على نفسه، أو ماله، أو عرضه، جاز قبول الولاية التي كان يحرم قبولها، وقد حدد صاحب المسالك

(١) الشيخ محمد اليعقوبي، فقه الخلاف، ج ٩، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٩.

(٢) سورة يوسف، الآية ٥٠.

(٣) الشيخ محمد اليعقوبي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٩٧. للمزيد

ينظر محمد اليعقوبي، فقه الخلاف، ج ٨، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠ وما بعدها.

(٤) الشيخ محمد اليعقوبي، فقه الخلاف، ج ٩، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٤-٢٠١.

الإكراه بالخوف على النفس، أو المال، أو العرض عليه، أو على المؤمنين على وجه لا يمكن تحمله عادة.^(١)

وفيما سبق تم التطرق لولاية الفقيه، وكيف نظر الشيخ اليقوبي لها، وما هو السلطان العادل، والسلطان الجائر، ويبقى هنا التساؤل هل يجب على الأمة تمكين الفقيه من إقامة الأمر بالمعروف، وإزالة المنكر؟ فقد أشار الشيخ إلى عدم تحرر هذه المسألة تحت هذا العنوان في كتب العلماء، وإنما ذكرت موارد متعددة، ترتبط بصلاحيات الفقيه في عصر الغيبة، مثل: إقامة الحدود، والجمعة، وغيرها، وإن القول بعدم تعرض الفقهاء لمباحث ولاية الفقيه، وإنها من تحرير المتأخرين ليس دقيقاً، لكن النقص في عدم تجميع المتفرقات، وتحرير نظريات متكاملة في قضايا المجتمع، والدولة، والإنسان،^(٢) وقد أشار الشيخ المفيد في المقنعة، والشيخ الطوسي في النهاية إلى جواز إقامة الحدود في حال غيبة الإمام (عليه السلام)؛ فقال الشيخ الطوسي (قدس سرّه): "من استخلفه سلطان ظالم على قوم، وجعل إليه إقامة الحدود، جاز أن يقيمها عليهم على الكمال، ويعتقد أنه إنما يفعل ذلك باذن سلطان الحق، لا إذن سلطان الجور، ويجب على المؤمنين معونته وتمكينه من ذلك ما لم يتعد الحق في ذلك وما هو مشروع في شريعة الاسلام، فإن تعدى فيما جعل إليه الحق لم يجز القيام به، ولا لأحد معونته على ذلك، اللهم إلا أن يخاف في ذلك على نفسه، فإنه يجوز له حينئذ أن يفعل في حال التقية ما لم يبلغ

(١) الشيخ محمد اليقوبي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩.

(٢) الشيخ محمد اليقوبي، فقه الخلاف، ج ٩، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٤.

قتل النفوس".^(١)

وقد علق الشيخ يعقوبي على تفسير بعض الفقهاء لإقامة الحدود هنا بالوجوب؛ إذ يقول حول هذا الوجوب: وهو صحيح لوجوب إقامة الدين، قال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)^(٢) وإنما منع منه توهم اختصاص الوظيفة بالإمام (عليه السلام) فاذا وردت الرخصة في اقامتها للفقهاء ارتفع المانع، وثبت الوجوب وهذا ما يعبر عنه بموارد ما لو جاز لوجب^(٣)، ونقل الشيخ يعقوبي رأي جماعة من الفقهاء في هذا الوجوب، وهو وجوب على الأمة في كل مورد تصدي الفقيه الجامع للشرائط لتطبيق الشريعة الاسلامية سواء في الأمر بالمعروف، أو النهي عن المنكر حين يتطلب الأمر الجرح، والقتل المشروط باذن الإمام (عليه السلام)، أو لإقامة الحدود، أو الحكم بين الناس، وقد توقف بعض الفقهاء في جواز التصدي لهذه الوظائف في عصر غيبة الإمام (عليه السلام)^(٤)؛ قال الشهيد

(١) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، النهاية، دط، انتشارات قدس محمدي، قم

المقدسة، دت، ص ٣٠١.

(٢) سورة الشورى الآية ١٣.

(٣) سورة الشورى، الآية ١٣. الشيخ محمد يعقوبي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق

ذكره، ص ١٨٩.

(٤) الشيخ محمد يعقوبي، فقه الخلاف، ج ٩، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٠. هما الشيخ

المفيد والشيخ الطوسي للمزيد ينظر الشيخ الطوسي، النهاية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠١-

الثاني: "هذا القول هو مذهب الشيخين وجماعة من الأصحاب. ولكن رواية عمر بن حنظلة^(١) مؤيدة لذلك فإن إقامة الحدود ضرب من الحكم، وفيه مصلحة كلية، ولطف في ترك المحارم، وحسم لانتشار المفاسد وهو قوي، ولا يخفى ذلك مع الأمن من الضرر عليه، وعلى غيره من المؤمنين"^(٢) وقال صاحب الجواهر بعد أن أتم الاستدلال وعلى عموم ولاية الفقيه في زمن غيبة الإمام المعصوم (عليه السلام):

"وحيئنذ فلا اشكال عما لا خلاف في وجوب مساعدة الناس لهم الفقهاء على ذلك (اقامة الحدود) نحو مساعدتهم للأمام (عليه السلام)، في ضرورة كونه من السياسات الدينية التي لا يقوم الواحد بها، ومن في البر والتقوى للذين امرنا بالتعاون عليها، وحيئنذ لا يبعد وجوب الاقامة عليه مع امن ضرر

(١) مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَنْظَلَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِنَا بَيْنَهُمَا مُنَازَعَةٌ فِي دَيْنٍ أَوْ مِيرَاثٍ فَتَحَاكَمَا إِلَى السُّلْطَانِ وَإِلَى الْقَضَاةِ أَيْحُلُّ ذَلِكَ قَالَ مَنْ تَحَاكَمَ إِلَيْهِمْ فِي حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ فَإِنَّمَا تَحَاكَمَ إِلَى الطَّاعُوتِ وَمَا يُحْكَمُ لَهُ فَإِنَّمَا يَأْخُذُ سُحْتًا وَإِنْ كَانَ حَقًّا تَابِتًا لَهُ لِأَنَّهُ أَخَذَهُ بِحُكْمِ الطَّاعُوتِ وَمَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُكْفَرَ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاعُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يُكْفَرُوا بِهِ، قُلْتُ فَكَيْفَ يَصْنَعَانِ قَالَ يَنْظُرَانِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مِمَّنْ قَدْ رَوَى حَدِيثَنَا وَنَظَرَ فِي حَلَالِنَا وَحَرَامِنَا وَعَرَفَ أَحْكَامَنَا فَلْيَرْضَوْا بِهِ حَكَمًا فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ حَاكِمًا فَإِذَا حَكَمَ بِحُكْمِنَا فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ فَإِنَّمَا اسْتُخِفَّ بِحُكْمِ اللَّهِ وَعَلَيْنَا رُدُّهُ وَالرَّادُّ عَلَيْنَا الرَّادُّ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى حَدِّ الشِّرْكِ بِاللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَامِلِيِّ، تَفْصِيلُ وَسَائِلِ الشِّيْعَةِ إِلَى تَحْصِيلِ مَسَائِلِ الشَّرِيعَةِ، ج ٢٧، كِتَابُ الْقَضَاءِ، أَبْوَابُ صِفَاتِ الْقَاضِي، بَابُ ١١، ص ١٣٦.

(٢) زين الدين بن علي العاملي، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الاسلام، ج ٣، تحقيق مؤسسة المعارف الاسلامية، ط ٣، دار عترة، قم المقدسة، ١٤٢٠هـ، ص ١٠٨.

السلطان عليه أو على غيره" (١).

ويعلق الشيخ محمد اليقوي حول خلاف الفقهاء بخصوص إقامة الحدود الشرعية في زمن الغيبة للإمام المعصوم (عليه السلام) في أن هذا الخلاف في مشروعية إقامة الحد، وليس في الوجوب؛ اذ يقول: "هذا الخلاف في مشروعية إقامة الحد في زمن الغيبة فهو ليس في الوجوب الذي نتحدث عنه، وقد تقدم قول ابن ادريس (قده) حيث قال: (وحينئذ لا يبعد وجوب إقامة الحدود، والجمعة، والحكم بين الناس عليه مع أمن ضرر السلطان عليه، أو على غيره من الشيعة، ولو بقبول الولاية من قبله، واظهارها عنه)". (٢).

ثانياً: ادلة وجوب تمكين ومساعدة الفقيه علي ادارة شؤون الأمة

لم تحرر هذه المسألة في كتب الفقهاء بهذا العنوان، لكن يمكن اقتناصها من كلماتهم وآرائهم والمناقشات الفقهية المطروحة فيها، فكتب الشيخ اليقوي: "لم تحرر المسألة بهذا العنوان في كتب الاصحاب، وانما يقتنص من استقرار موارد متعددة ترتبط بصلاحيات الفقيه في عصر الغيبة وامتداد ولايته لممارسة وظائف الامام كإقامة الحدود والجمعة والحكم بين الناس والإذن بالخروج والقتل إذا توقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليهما، وجباية المستحقات المالية للإمام (عليه السلام) ونحو ذلك" (٣) فمما سبق تم توضيح أدلة ولاية الفقيه، وقد استدلت بأدلة أربعة على وجوب

(١) محمد حسن النجفي، جواهر الكلام في شرائع الاسلام، ج ٢١، ت الشيخ عباس

القوجاني، ط ٧، دار احياء التراث العربي، لبنان - بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٩٩.

(٢) الشيخ محمد موسى اليقوي، فقه الخلاف، ج ٩، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٠.

(٣) الشيخ محمد اليقوي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٨.

مساعدة الأمة للفقهاء الجامع لشروط ولاية أمور المسلمين على تطبيق الشريعة في حياة الأمة، فالادلة هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والعقل، والإجماع، ونستعرض هذه الادلة بالتتابع والتفصيل:

الدليل الاول: الآيات القرآنية

إن الآيات القرآنية المباركة التي من الممكن الاستدلال بها:

- قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدْوَانِ)^(١).

(فتدل على المساعدة في اقامة الأحكام الشرعية من المعاونة على البر والتقوى وقد استدلل بها عدد من الفقهاء على الوجوب.^(٢) فالآية تدل على الوجوب.)

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(٣).

قال الشيخ المنتظري (قدس سره): "إن المقصود بالأمر في الآية الكريمة هو الولاية والحكومة، سميت به لقوامها بالأمر من طرف والطاعة من طرف آخر، وبهذا الملاك تسمى حكما وحكومة، فالمراد بأولي الأمر الحكام الذين لهم حق الأمر والنهي في سياسة البلاد، وفصل الخصومات"، ويضيف

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

(٢) من الفقهاء الذين استدلوا بهذه الآية المحقق الأردبيلي والشيخ النجفي صاحب الجواهر.

الشيخ محمد اليقوي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

أن "تعليق وجوب الطاعة على كونه صاحب الأمر كأنه من قبيل تعليق الحكم على الوصف المشعر بالعلية، فالملاك في وجوب الإطاعة كونه صاحب أمر بحيث يحق له الأمر والنهي معصوماً كان أو غير معصوم" (١) والفقهاء يبلغون بفتواه ما ثبت بالدليل الشرعي أنه حكم الله سبحانه وتعالى ورسوله (ﷺ)، وأولي الأمر، فوجوب طاعته من وجوب طاعتهم. (٢)

- قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (٣).
وهذه الآية صريحة في ضرورة الرجوع إلى حكم الله سبحانه وتعالى، والعمل به في كل ما يختلف فيه الناس من شؤون حياتهم، وهذا ما يريده الفقيه بدعوته إلى تطبيق الشريعة الإسلامية والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فعلى الناس التسليم والإنقياد. (٤)

- قال تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (٥).

(١) محمد حسين المنتظري، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ج ٢، ط ١، دار

الفكر، قم المقدسة، ١٤١١

ص ٧٧٠.

(٢) الشيخ محمد اليعقوبي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٦.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٤) الشيخ محمد اليعقوبي، فقه الخلاف، ج ٩، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢١-٣٢٢.

(٥) سورة التوبة، الآية ١٢٢.

اذ بتقريب الاستدلال من أن وجوب التفقه في الدين، ووجوب الانذار، وافتاء الناس، ودعوتهم إلى تطبيق الشريعة يلزم منه وجوب الاخذ منهم، اذ لا معنى لوجوب في الانذار، والافتاء ان لم يقترن بوجوب العمل بمقتضاه. (١)

- قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا). (٢)

جاء تفسيرها في رواية معلي بن خنيس، عن أبي عبدالله الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: قلت له قول الله تعالى عن تأدية الأمانات قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "على الإمام أن يدفع ما عنده إلى الإمام الذي بعده وامرت الائمة بالعدل، وأمر الناس أن يتبعوهم". (٣)

- قوله تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (٤).

(١) الشيخ محمد اليقوي، فقه المشاركة في السلطة، صادر سبق ذكره، ص ٢٩٨.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٣) ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، ج ٦، ت حسن الموسوي الخرساني، دط، دار الكتب الإسلامية طهران، ١٣٩٥ هـ ح ٥٣٣، ص ٢٢٥.

(٤) سورة الشورى، الآية ١٣.

- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)^(١).

وقد وصف الإمام الباقر (عليه السلام) فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله: (أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمين المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم وتعمر الأرض ويتنصف من الأعداء، ويستقيم الامر).^(٢) ونقل صاحب البحار قول امير المؤمنين (عليه السلام) في تفسير الآية الاخيرة (إذ اخبر الله سبحانه وتعالى أن العباد لا يحيون الا بالأمر والنهي وفي هذا أوضح دليل على أنه لا بد من إمام يقوم بامرهم فيأمرهم وينهاهم، ويقوم فيهم الحدود ويجاهد العدو، فإذا كان الأمر والنهي أحد اسباب بقاء الخلق، والا سقطت الرغبة والرغبة، ولم يرتدع المخطئ، ولفسد التدبير وكان ذلك سببا لهلاك العباد).^(٣)

ومن الآيات الأخرى.

- قوله تعالى: (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

(١) سورة الأنفال، الآية ٢٤.

(٢) محمد بن حسن الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج ١٦، كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابواب الأمر والنهي، ب ١، ح ٦، مصدر سبق ذكره، ص ١١٩. (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) سورة الأنفال الآية ٢٤.

(٣) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٣، دط، مؤسسة البقاء، دم، دت، ص ٤١.

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(١).

- قوله تعالى: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ

وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)^(٢).

- قوله تعالى: (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنِ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ

وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)^(٣).

الدليل الثاني: السنة

الأحاديث النبوية الشريفة والتي قسمها الشيخ محمد اليعقوبي إلى عدة طوائف، منها روايات دالة على وجوب اخذ الأحكام عنهم، واتباع ما ينقلون منها، وحرمة الرد عليهم، ففي رواية عمر بن حنظلة عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال سألت أبا عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن رجلين من اصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاء، ايحل ذلك؟ قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من تحاكم اليهم في حق أو باطل، فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما ياخذ سحتا، وأن كان حقا ثابتا له؛ لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وما أمر الله إلا أن يكفر به، قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّحَكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ

(١) سورة ال عمران، الآية ١٠٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٦٥.

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٣.

يُضِلُّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا^(١)) قلت فكيف يصنعان؟ قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ينظران من كان منكم ممن روى حديثنا و نظر في حلالنا و حرامنا، و عرف أحكامنا فليرضوا به حكما، فإنني قد جعلته عليكم حاكما، فاذا حكم بحكمننا فلم يقبل منه، فإنما استخف بحكم الله، و عليه رد، و الراد علينا راد على الله، و هو علي حد الشرك بالله سبحانه تعالى).^(٢)

أما في رواية أبي خديجة؛ عن محمد بن علي بن الحسين باسناده عن احمد بن عائد، عن أبي خديجة سالم بن مكرم الجمال قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "اياكم أن يحاكم بعضكم بعضا إلى أهل الجور ولكن أنظروا إلى رجل منكم يصلح شيئا من قضايانا فاجعلوه بينكم فإنني قد جعلته قاضيا فتحاكموا إليه".^(٣)

- ومنها روايات كثيرة دالة على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر و لازمه وجوب العمل بمقتضاهما، والاستجابة لمن يدعو اليهما ويسعى لتطبيق الشريعة".^(٤)

(١) سورة النساء، الآية ٦٠.

(٢) محمد بن الحسن الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج ٢٧، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣ - ١٤، رواه الكليني عن الحسين بن محمد عن معلي بن محمد، عن الحسن بن علي، عن ابي خديجة مثله الا أنه قال شيئا من قضائنا، رواه الشيخ العوامي باسناده عن الحسن بن محمد مثله، الكليني، الكافي، ج ٧، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٢، الطوسي، التهذيب، ج ٦، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٩.

(٤) الشيخ محمد العقوبي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٠.

الدليل الثالث: العقل

يقول الشيخ محمد اليعقوبي في سعي الفقهاء لتطبيق الشريعة الاسلامية بأنه لطف الهي يساعد الناس على الطاعة والاستجابة للشريعة، والأوامر والنواهي، ويبيدهم عن المعصية، إذ يقول: "إن سعي الفقيه لتطبيق الشريعة يقرب الناس من الطاعة ويبيدهم عن المعصية وهو واجب، بل يمكن أن يقال أن نفس جعل الفقهاء الجامعين للشرائط نواباً للائمة (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في زمن الغيبة لطف واجب، فمساعدته عليه واجبة تبعاً لذلك من باب المقدمة أو الملازمة"^(١).

إن سماحة الشيخ ضم مقدمتين لاتمام الاستدلال على وجوب مساعدة الأمة للفقيه بعد أن نقل استدلال بعض الفقهاء بدليل العقل على وجوب قيام الفقيه بتنفيذ الحدود؛ إذ قال الشهيد الثاني (قَلْبِي) في المسالك فيه مصلحة كلية ولطف في ترك المحارم وحسم انتشار المفاسد.^(٢)

المقدمة الأولى: عدم اختصاص التعليل بإقامة الحدود فكل الأحكام الشرعية فيها مصلحة للعباد، وفي تركها مفسدة.

المقدمة الثانية: إن كل الواجبات الاجتماعية لا يستطيع الفقيه اجرائها وحده إلا بمساعدة الأمة.

الدليل الرابع: الاجماع

وهو من الأدلة التي اعتمدها الشيخ محمد اليعقوبي على وجوب

(١) الشيخ محمد اليعقوبي، فقه الخلاف، ج ٩، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٤.

(٢) الشيخ محمد اليعقوبي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٠-٣٠١.

مساعدة الأمة للفقهاء؛ إذ نقل أقوال الأساطين من العلماء حول هذا الأمر؛ إذ قال المحقق الأردبيلي (قَدَسَ سِرُّهُ) في هذا الوجوب (لعله لا خلاف فيه) وقال صاحب الجواهر: (لا اشكال كما لا خلاف في وجوب مساعدة الناس لهم على ذلك على نحو مساعدتهم للإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ضرورة كونه من السياسات الدينية التي لا يقوم الواحد بها، ومن البر والتقوى اللذين أمر بالتعاون عليهما، وحينئذ لا يبعد وجوب الإقامة عليه مع أمن ضرر السلطان عليه أو على غيره من الشيعة ولو بقبول الولاية من قبله وإظهارها عنه).^(١) ونضيف علي ما ذكره الشيخ من الأقوال قول النراقي في عوائده: (وصرحوا بوجوب مساعدة الناس لهم وهو كذلك لظاهر الاجماع المركب)^(٢).

ويعلق الشيخ محمد اليعقوبي على هذه الأقوال بقوله: "ونفي الخلاف هنا يعني الاجماع لتعرض الاصحاب للمسألة"، ويضيف أكثر من شاهد على هذا التعميم -وهو مساعدة الأمة للفقهاء في الاحوال جميعها- إذ يقول هناك أكثر من شاهد على التعميم:^(٣)

١- تجريد المورد عن الخصوصية لعموم التعليل، الذي تمسكوا به، وهي المعاونة على البر، والتقوى؛ وكونه لطفًا، ونحو ذلك.

٢- تصريح بعضهم بأن وظيفة الفقيه التي يجب عليه القيام بها عند

(١) الشيخ محمد حسن، النجفي الجواهري، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ال ٧، ١٣٦٢ ش، ج ٢١ ص ٣٩٩.

(٢) احمد النراقي، عوائد الأيام، منشورات مكتبة بصيرتي قم، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ، ج ١ ص ١٩٧.

(٣) الشيخ محمد اليعقوبي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠١-٣٠٢.

اتاحة الفرصة أوسع من قضية اقامة الحدود كما في قول سالار^(١) "فأما القتل والجراح في الإنكار إلى السلطان ومن يأمره، فإن تعذر الأمر لمناخ فقد فوضوا (عليه السلام) إلى الفقهاء إقامة الحدود والأحكام بين الناس بعد أن لا يتعدوا واجبا، ولا يتجاوزوا حدا، وأمر عامة الشيعة بمعاونة الفقهاء على ذلك ما استقاموا على الطريقة"^(٢)، بل إن الفقهاء ذهبوا إلى قبول ولاية الجائر اذا توقف القيام بهذه الوظائف عليها، إذ يقول الشيخ الطوسي (قدس سره) "وأما سلطان الجور، فمتى علم الانسان أو غلب على ظنه: أنه متى تولى الامر من قبله، أمكنه التوصل إلى إقامة الحدود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقسم الاخماس والصدقات في أربابها وصلة الاخوان، ولا يكون في جميع ذلك مخلا بواجب ولا فاعلا لقبیح، فإنه يستحب له أن يتعرض لتولي الامر من قبلهم"^(٣) ويعلق الشيخ اليقوبي على ذلك بقوله "هذه كلها واجبات اجتماعية من وظائف الفقيه ولا يستطيع القيام بها الا بمساعدة الناس"^(٤).

ومن ينظر الي كلمات الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في نهج

(١) هو ابو يعلي حمزة بن عبد العزيز الديلمي من أعظم فقهاء الشيعة المعروف بسالار وهو من اجل تلاميذ الشيخ المفيد والسيد المرتضي، من مؤلفاته (المراسم العلوية، المقنع في المذهب، التقريب في اصول الفقه وغيرها توفي في سنة ٥٤٤٨هـ، محسن الحسيني الاميني، مقدمة كتاب المراسم العلوية في الأحكام النبوية، د ط، قم المقدسة، ١٤١٤ هـ ص ١١-١٧.
 (٢) حمزة بن عبد العزيز، المراسم العلوية في الأحكام النبوية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٤.
 (٣) الشيخ الطوسي، النهاية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٦.
 (٤) الشيخ محمد اليقوبي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٨.

البلاغة في مجال الحقوق المتبادلة بين الراعي والرعية تكون عنده نظرة واسعة في هذا المجال؛ إذ يقول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في إحدى كلماته: "أيها الناس، إن لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقي عليكم، فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والاجابة حيث ادعوكم، والطاعة حيث أمركم".^(١) ومفاد الحديث واضح؛ ونهج البلاغة مليء من هذا القبيل من الكلمات المتعرضة لتكاليف الحاكم ولا سيما كتابه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لمالك الأشتر، فراجع.

ويضيف الشيخ محمد اليعقوبي إلى الأدلة المتقدمة لوجوب ولاية الفقيه، ووجوب مساعدة الأمة للولي الفقيه دليلين آخرين، احدهما الاجماع، والذي نقله المحقق الكركي (قَدَسَ سِرُّهُ)، والاخر الضرورة، حيث نقل قول المحقق الكركي بأن الضرورة قاضية بذلك في قبض الحقوق العامة والولايات ونحوها.^(٢)

ثالثاً: شروط الولاية العامة للفقيه عند الشيخ اليعقوبي

إن الولاية العامة للفقيه، التي قال بها الشيخ محمد اليعقوبي مشروطة بعدة شروط، ولما كان الفقيه غير معصوم، ولا يتلقى علمه اللدني من الله تعالي كالمعصوم، وأن الفقيه ليس مطلعاً على الملاكات الواقعية للمصالح والمفاسد هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الولاية قد تتسع حتى تصل

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، المجلد الأول، ج ٢، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٨.

(٢) الشيخ محمد اليعقوبي، فقه الخلاف، ج ٩، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٩-٣٣٠.

إلى السلطة والحكم، وهناك فرق كبير بين ولاية الفقيه، وولاية المعصوم (عليه السلام) المطلقة؛ ولهذا فهناك شروط لولاية الفقيه يذكرها الشيخ في كلماته، وهي: ما يعود إلى ذات الفقيه، وهي شروط مرجع التقليد وزيادة عليها؛ لأنه يتصدى لقيادة الأمة فيجب أن يتوفر فيه شروط وهي:

- أن يكون ذا فطنة؛ حتى لا يخدع أو يستغفل.
- أن يكون شجاعاً، قوي القلب.
- أن يكون ذا خبرة بشؤون الأمة، قال الصادق (عليه السلام): العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس.

- تتوفر فيه الصفات التي ذكرتها الآيات، والروايات كقوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ).^(١)

- أن يكون على درجة عالية من الورع، والتقوى، وإنصاف الناس^(٢)، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)^(٣)، ومن الشروط الأخرى التي تعود إلى غير الفقيه، وهو ما أشار إليها في رسالته العملية؛ إذ قال "ولا يفرض الفقيه ولايته على الأمة بالإكراه أو الإدعاء كما ينقل عن البعض أن الفقيه اذا بسط ولايته وجبت طاعته، وإنما يشترط

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٢) الشيخ محمد اليقوي، فقه المشاركة في السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية : ٢٩.

تحقق في إرادة الأمة واقتناعها بولايتها".^(١)

المراد من الأمة ودور إرادتها؟

وأن مراد الشيخ يعقوبي من الأمة ليست جميع الأمة وإنما أراد منها أهل الخبرة والاختصاص، إذ يقول "لا نقصد بالأمة كل الأمة ولا يتم اختيار الولي الفقيه بالانتخابات العامة لكل الناس وإنما نقصد بالأمة أهل الخبرة والاختصاص منها في هذا المجال وهم العلماء، وكبار واساتذة الحوزة العلمية الشريفة المتصفون بالورع والنزاهة، والإنصاف، والمعرفة بمتطلبات العمل الاجتماعي، وتطبيق المشروع الاسلامي المبارك".^(٢)

إن ولاية الفقيه التي قال بها مشروطة بإرادة الأمة لذلك لا يرى مجالا الآن لتطبيق ولاية الفقيه في العراق فلا يستطيع الفقيه فرض ولايته على الأمة حتى ولو كان مستحقا لها ثبوتا، وواقعا، ويدل عليه السيرة العملية للرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، والائمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، فإن الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لم يقيم في دولته المباركة في مكة، وإنما في المدينة بعد أن بايعه اهلهما، ويضيف الشيخ بهذه الالتفاتة الدقيقة تحل جملة من الاشكالات حول ولاية الفقيه كمسألة تعددهم في مجتمع واحد، أو بسط ولاية فقيه مقيم في بلد على بلد آخر، أو ما يحلو للبعض أن يقول أنه اذا ادعاها فقيه وجب على الآخرين طاعته، والإنقياد له؛ لأن هذه الامور ستحسم بقرارات من هيئة اهل الخبرة.^(٣)

(١) الشيخ محمد يعقوبي، سبل السلام، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣.

(٢) الشيخ محمد يعقوبي، فقه المشاركة السلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٤.

(٣) خطاب المرحلة، ج، ص ٤٤٩.

ويرى الشيخ اليقوبي أن نظام ولاية الفقيه لا يعني فرض رأي الشخص على الأمة، أو الشعب ولا مصادرة إرادتها، أو الانقلاب على الديمقراطية كما يظهر من بعض الكلمات، وإنما الفقيه هو راعي إرادة الأمة وصمام الأمان لحفظ وحدتها؛ لأنه يمثل القانون والشريعة الحقّة، وسلطته لا تعني سلطة في القانون وإذا حولها إلى سلطة شخص فسيكون فاقدا للعدالة التي هي من الشروط الأساسية للفقيه.^(١)

إن البيعة في زمان المعصوم (عليه السلام) أخذ العهد على الناس بأن يطيعوه، وينصروه، أما البيعة في زمان الغيبة، والنيابة عن المعصوم (عليه السلام)، فهي ضرورية لأمر:^(٢)

١- لاكتشاف الفقيه الجامع لشروط ولاية أمر الأمة؛ بوصفه غير معين بالنص الخاص

٢- ولتقديمه إلى الأمة بهذا العنوان، الذي يثبت وجوب طاعة المتصف به؛ لتتحمل مسؤوليتها في طاعته ونصرته.

٣- ولقطع الطريق أمام من يدعي هذا الموقع الشريف الخطير.

٤- وليمكن من تطبيق الشريعة باختيار الناس، وإرادتهم دون قهر.

رابعاً: حدود ولاية الفقيه والاطر العامة عند الشيخ اليقوبي

إن الشيخ محمد اليقوبي يضع حدوداً لولاية الفقيه واطر عامة لها،

(١) المكتب الاعلامي للمرجع الديني الشيخ محمد اليقوبي، صحيفة الصادقين، عدد ٣٨،

٢٣/ شباط ٢٠٠٦م، ص ١.

(٢) الشيخ محمد اليقوبي، فقه الخلاف، ج ٩، ص ٣٣٦.

وهي: (١)

١- كل ما فوضه المعصومون (عليه السلام) إلى نوابهم، وتقتضيه وظيفتهم الفقهية كالافتاء، والقضاء.

٢- كل ما كان من وظائف ولي الأمر؛ بوصفه راعياً للامة، وساساً لأمر الناس من دون خصوصية على الإمام المعصوم (عليه السلام) في ممارستها، التي يتعذر على الإمام الغائب (عليه السلام) القيام بها مباشرة؛ لمنافاتها لمقتضى المصلحة الالهية.

٣- ما يرجع إلى تدبير شؤون الناس دينا ودنيا، بحيث لا يرضى الشارع المقدس، والعقلاء باهمالها وتعطيلها. ويضع الشيخ محمد اليقوي عدة موارد لأعمال ولاية الفقيه والتي سوف تذكر في النقطة التالية.

خامساً: شروط أعمال الولاية

يذكر الشيخ اليقوي عدة موارد لأعمال الولاية من قبل الفقيه مع ملاحظة باقي الشروط و الموارد التي ذكرت و ستذكر وهي: (٢)

١- موارد الولاية الخاصة (الأمر الحسية)، وهي متفق عليها بين الفقهاء.

٢- الواجبات الاجتماعية كالجمعة، والحدود، وتنصيب القضاة للقضاء.

٣- مواجهة الشبهات الموضوعية، وأي مسألة تتعلق بدين الناس، ودنياهم مثل تحديد أوائل الشهور.

(١) الشيخ محمد اليقوي، فقه المشاركة بالسلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٧.

(٢) الشيخ محمد اليقوي، فقه الخلاف، ج ٩، ص ٣٤٢.

- ٤- ولاية الأمور ذات النفع العام كالأوقاف العامة، ومؤسسات الدولة.
- ٥- حفظ النظام الاجتماعي العام، وتيسير أمور الناس، مثل: القوانين التي تنظم حياة الناس.
- ٦- دفع الضرر عن الناس في الحاضر، والمستقبل.
- ٧- مراعاة الأولويات، ودرء المفسد، وحفظ المصالح العليا كوحدة الشعب، وحرية.
- ٨- التدخل لضمان تفسير، وتطبيق القوانين بشكل عادل.
- ٩- إسقاط الحقوق، والأحكام العامة إن وجد المسوغ لذلك.
- ١٠- استخدام الوسائل المتاحة لتطبيق الشريعة الإسلامية في كل شؤون الحياة.

سادساً: موانع أعمال الولاية

أن الشيخ محمد اليعقوبي يرى أن نظام الحكم في الإسلام يبنى على ولاية الفقيه الجامع للشرائط وفيما سبق ذكرنا ادلته في هذا الباب ويمكن مراجعة الموانع التي ذكرها سماحته بشكل إجمالي

١- ديموغرافية^(١) الشعب العراقي وتكونه من قوميات، واديان،

(١) الديموغرافيا (بالإنجليزية: Demography) المعروفة بعلم السكان؛ هي عبارة عن دراسة لمجموعة من خصائص السكان، وهي الخصائص الكميّة، ومنها الكثافة السكانيّة، والتوزيع، والنمو، والحجم، وهيكلية السكان، بالإضافة إلى الخصائص النوعيّة، ومنها العوامل الاجتماعيّة، مثل: التّمية، والتّعليم، والتّغذية، والثروة. وتُعرّف الديموغرافيا بأنّها الإحصاءات التي تشمل الدّخل، والمواليد، والوفيات، وغيرها ممّا يُساهم في توضيح التغيّرات البشريّة،

وطوائف بعيدة عن هذا النظام وترفضه.

٢- شهرة القول بعدم ولاية الفقيه في أروقة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وعند مرجعياتها، وسعة قواعد هذه المرجعيات.

٣- تشتت مراكز القرار، وعدم وجود قيادة موحدة دينية يلتف حولها الأكثر، وغيرها من الأسباب الأخرى.^(١)

ويرى الشيخ محمد اليقوبي أن الخيار الأقرب للشرعية هو أن يقوم الشعب بقيادة نفسه بنفسه على وفق الآليات الديمقراطية التي من أهمها الانتخابات لاختيار ثلثة تقوم بإدارة البلاد، على أن يرجعوا في أمورهم إلى توجيهات القيادة الدينية الواعية، فحينما سئل في إحدى حواراته السياسية: ما هو أفضل نظام للحكم في العراق الراهن ينبغي تبنيه يضمن احترام الدين والحريات معاً؟ فيصرح: "نظام الحكم المناسب في العراق هو النظام البرلماني المعمول به حالياً وقد ثقّفنا عليه قبل كتابة الدستور، ثم افرزت الحاجة لأجراء عدة تعديلات ذكرناها في عدة خطابات بمناسبة عديدة"^(٢) ومستند هذه الشرعية تفويض الناخبين لهذه المجموعة؛ لأن الأصل عدم ولاية أحد على أحد إلا إذا فوضه بذلك؛ قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا

ومن التعريفات الأخرى لها هي علم إحصائي اجتماعي وحيوي، يعتمد على دراسة مجموعة من الإحصاءات حول الأفراد.

(١) الشيخ محمد اليقوبي، نحو سياسة نظيفة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

(٢) خطاب المرحلة: (٤٣٤) حوارات سياسية: شيعة العراق وبناء الدولة والأمة.

مَمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^(١)، وأن المطالبة بالانتخابات ليست هي القاعدة في حكم الامة المسلمة وإنما هي الاستثناء الذي يلجأ اليه بالعنوان الثانوي عند وجود المانع من إجراء القاعدة (ولاية الفقيه) و يصرح: "فإن الأصل في العمل السياسي هو إطاعة المرجعية، وليس قرار الحزب".^(٢)

مما سبق يتضح أن السلطة كظاهرة لا يمكن الاستغناء عنها؛ فما قيل من عدم تعرّض الفقهاء لمباحث ولاية الفقيه وأنها من تحرير المتأخرين وأن الفقهاء السابقين ليس لهم فقه حركي واجتماعي ليس دقيقاً، لكن النقص في عدم تجميع المتفرقات وتحرير نظريات متكاملة في قضايا المجتمع والدولة والانسان^(٣)، لأن الفطرة الإنسانية السليمة تقرها، وتجعلها حاجة ملحة، فلا تهملها الشريعة، أما موقف الفكر الاسلامي منها فهو يذهب إلى عد وجودها ضرورة اجتماعية، فوجود السلطة تقام مصالح الأمة وتضان حقوقهم، ويتحقق أمنهم، لأن من أهم الأمور الضرورية للبشر وجود النظام الاجتماعي والحكومة العادلة الحافظة لحقوق المجتمع، فإن الإنسان مدني بالطبع، لا يحصل على حاجاته وطلباته إلا في ظل الاجتماع والتعاون، وكثيراً ما تعرض له قضايا عامة تمس مصالح المجتمع ويطلب فيها قرار ورأي واحد، ولا يحصل ذلك الا تحت لواء حكومة قوية ولأجل ذلك ترى أنه لم تخل حياة الإنسان في جميع مراحلها وأدوارها حتى في العصور الحجرية وفي الغابات من حكومة ودويلة.

(١) سورة النساء، آية ٦٥.

(٢) الشيخ محمد يعقوبي، نحو سياسة نظيفة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

(٣) الشيخ محمد يعقوبي، فقه المشاركة بالسلطة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٨.

أما الموقف الفكري عند الشيخ محمد اليقوي، فهو ينظر للسياسة بشكل عام بأنها ثابتة على عكس ما يقال في عدم وجود صداقات دائمة، أو عداوات ثابتة؛ فيقول: "ونحن نقول توجد مبادئ ثابتة والمصالح الحقيقية ليست هي التي نقرّها نحن وإنما التي تنسجم مع هذه المبادئ، وفي الحقيقة فإن الابتعاد عن هذه المبادئ هو الذي أدي بعلمائنا الي الابتعاد عن العمل السياسي"^(١) إذ يعتقد بأن المبادئ يجب أن تكون ثابتة؛ ولذلك فالمصالح ايضاً يجب أن تكون ثابتة؛ لأن المصالح ليست تلك التي يقرّها السياسي، بل اقرارها يعتمد على مدى اقترابها، أو ابتعادها عن المبادئ الاسلامية الثابتة.

ويؤمن الشيخ محمد اليقوي بأن الأصل في السلطة الولاية المطلقة هي لله تعالى، وقد فوض الله تعالى الإنسان مهمة الاستخلاف في الأرض (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)^(٢)، وأرسل الأنبياء والرسل، فالسلطة الدنيوية - مهما كانت - هي سلطة بالنيابة وليست بالأصالة، وهو مبدأ إسلامي شبه متفق عليه.

(١) الشيخ محمد اليقوي، نحو سياسة نظيفة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩.

(٢) سورة البقرة الآية ٣٠.

الفصل الثالث

الديمقراطية في منظور المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي

تعتبر كلمة الديمقراطية (بالإنجليزية: Democracy) كلمة يونانية تتكوّن من مقطعين؛ المقطع الأول (Demos) يعني الناس أو الشعب، والمقطع الثاني (kratein) ويعني الحُكم، وبذلك يشير مفهوم الديمقراطية لغةً إلى حُكم الشعب أو حُكم الأغلبية. فهذا المصطلح غربي النشأة والممارسة، فالديمقراطية هي ظاهرة غربية تفاوتت وجهات نظر الفقهاء والمفكرين الاسلاميين نحوها بعد ما أشار الغرب الي النواقص الموجودة فيها رغم قدم هذه الظاهرة التي تعود الي عصر اليونان ومعايشتها لأدوار وأجيال عديدة.

وقد أشار الي هذا المعنى الشيخ محمد اليعقوبي في حوار سياسي لرده على سؤال حول تعريف الديمقراطية؛ إذ قال: "يوكل تعريف الديمقراطية الي الذين وضعوا المصطلح، ونحن مسؤولون عن مفاهيمنا، وشرح مصطلحاتنا، إلا أنه بسبب تجارب الشعوب والأمم تتلاقح التجارب والحضارات، وتتكامل، ويمكن لأي أمة أن تستفيد من تجارب ومعطيات الأمم الأخرى؛ فتعامل مع هذا المصطلح من هذه الجهة".^(١)

و يذكر هناك معنيين و مساحتين للعمل وفق هذا المصطلح، واحدة مرفوضة وأخرى مقبولة. اما المعنى المرفوض، فبينه بقوله: "فتارة يراد بالديمقراطية حاكمية الشعب و كما يعبرون (الشعب مصدر السلطات) وأن

(١) خطاب المرحلة، ج ٤، ص ٤٧.

الأغلبية إذا شرعت شيئاً كزواج المثليين، أو جواز الموت الرحيم أو إباحة العلاقات الاجنبية للمرأة خارج إطار الزوجية أو مساواة الرجل والمرأة في الميراث، فيسري العمل بهذا القانون ويكون نافذاً^(١)، والشيخ اليعقوبي يرفض هذا المعنى من الديمقراطية؛ لأن الحاكمية لله تعالى و يتمسك بقوله تعالى: (أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)^(٢) وكذلك قوله تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)^(٣)، وقوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)^(٤) وفي آية أخرى الفاسقون، وثالثة الكافرون،^(٥) فلا يحق لأي أحد أن يقوم بسن أي تشريع مخالف لشريعة الله سبحانه وتعالى، وأنه في ضوء هذا المبدأ على السلطات الثلاث - التشريعية والقضائية والتنفيذية - أن تفهم صلاحياتها، والحدود التي تقف عندها، ولا يحق لها أن تتجاوز هذه الصلاحيات^(٦).

أما المعنى الذي يقبله الشيخ اليعقوبي من الديمقراطية، فهو الآلية أو

(١) المصدر نفسه، ص ٤٨.

(٢) سورة المائدة الآية ٥٠.

(٣) سورة النساء الآية: ٦٥.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٥.

(٥) سورة المائدة الايتين ٤٤ - ٤٧.

(٦) تائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي اليعقوبي، نشر

دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٣٤٠

الأساليب التي تتبع في الديمقراطية لاختيار ممثلي الشعب؛ إذ يقول: "وتارة يراد بالديمقراطية الآلية التي يختار بها الشعب قاداته، وحاكميه، ومدبري شؤونه، وهذا لا بأس به؛ فإن الله تبارك وتعالى أوكل تصريف شؤون العباد إليهم أنفسهم، فينظمون الآلية التي يتوافقون عليها"^(١)، وهنا يتفق الشيخ اليعقوبي مع الشيخ شمس الدين، والميرزا النائيني، والسيد محمد باقر الصدر وغيرهم من الفقهاء والمفكرين، ويذهب الشيخ إلى أن الله سبحانه استخلف الإنسان ليتولى الخلافة في الأرض؛ مستدلاً بقوله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)^(٢)؛ ويرى أن الضمير (هم) الوارد في قوله تعالى: (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)^(٣)؛ يدل على أن الأمور العائدة للمسلمين في تدبير الشؤون الحياتية لهم، وكذلك يرى أن تولية بعض المؤمنين لبعض من خلال انتخاب سلطة - مثلاً - فإن الأصل لا ولاية لأحد على أحد إلا إذا فوضه ذلك الأمر عبر الانتخابات، والتمثيل؛ قال تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(٤)؛ كما نستنتج أنه من حق الأمة أن تختار، وتنتخب من يمثلها، وتفوضهم النظر والتصرف في شؤونها، وتوكلهم تدبير أمورها.^(٥)

(١) خطاب المرحلة، ج ٤، ص ٣٩.

(٢) سورة البقرة الآية: ٣٠.

(٣) سورة الشورى الآية: ٣٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٥) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، ٧-١-٢٠١٨.

ويضيف الشيخ محمد اليقوي أن المشاورة، وعدم الاستكبار عن سماع رأي الآخرين، وعدم الإستبداد بالرأي قوة إضافية للشخص، فكأنما يفكر بمجموع عقولهم، وهو كمال ونضج للرأي؛ فقد أوصى النبي (ﷺ) علي (عليه السلام): (لا مظاهره أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير)^(١)، وعن الإمام علي (عليه السلام): (من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركهم عقولهم)^(٢) وقال الامام الصادق (عليه السلام) في الموضوع نفسه: (ما يمنع أحدكم و إذا ورد عليه ما لا قبل له به أن يستشير رجلا عاقلا له دين وورع، ثم قال (عليه السلام) (أما أنه إذا فعل ذلك لم يخذله الله بل يرفعه الله، ورماه بخير الأمور، وأقربها لله)^(٣)، ويقول الشيخ محمد اليقوي بأن النبي (ﷺ)، والأئمة المعصومين (عليهم السلام) يعطوننا الدروس العملية في ضرورة المشاورة، وهم أكمل الخلق، والمتصلون بالتسديدات الالهية التزاما.^(٤)

إن الدين الإسلامي - بحسب رأي الشيخ محمد اليقوي - أول من وضع أصول إحترام إرادة الشعب، والرجوع إليه في تقرير مصيره، ووضع أصوله، وسار عليه قادة الإسلام بمنتهى الشفافية، والصراحة ويستشهد بحادثة خروج النبي محمد (ﷺ) والمسلمين لاعتراض قافلة قريش من غير استعداد للقتال، ولما أفلتت القافلة، وأصبح المسلمون في مواجهة

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٨، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طع، الحيدري طهران، ١٣٦٢ش، ص ٢٠.

(٢) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٢، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٢.

(٤) خطاب المرحلة، ج ٤، ص ١٢١.

قريش، وجيشها استشارهم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في القتال، أو الرجوع، وهي معركة بدر الكبرى، وقد حدث الأمر نفسه في حين استشارهم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في معركة أحد، وكذلك في معركة الأحزاب حين أشار الصحابي سلمان الفارسي بحفر الخندق^(١)، ويضيف الشيخ أن النبي الخاتم محمدا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لم يؤسس دولته المباركة في المدينة المنورة (يثرب) ويمارس صلاحياته بوصفه قائدا للأمة حتى طالبه أهل المدينة بذلك، والهجرة لهم، وأنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إشرط عليهم النصر، والدفاع عنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وهذا ما فعله أمير المؤمنين علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)؛ إذ لم يمارس قيادته للأمة إلا بعد أن انهالت عليه الأمة تبايعه، وهو يردهم حتى أجمعوا أمرهم على إمامته، وخلافته، وقيادته؛ لذلك قال الامام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، لألقيت حبلها على غاربها)^(٢)؛ ولما تقدم نستطيع القول إن ولاية شؤون الأمة كافة لا تكون بالإدعاء، أو الغلبة، أو القهر، وإنما تكون بإرادتها، وبالآليات التي تضعها وتقبلها، وهذا ما أشرنا إليه في مبحث السلطة وولاية الفقيه، وهو رأي الشيخ العنقوبي حول وجوب مساعدة الأمة للولي الفقيه، ويرد على الذين يدعون عدم وجود ديمقراطية في الإسلام مستدلين بالآيات القرآنية كقوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا)^(٣) بأن نظرهم هذه مبتورة للنظام الإسلامي، والشريعة الإلهية، وأنهم يأخذون

(١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٠.

(٢) خطاب المرحلة، ج ٤، ص ٤٠.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

من القرآن ما يناسب آراءهم، ويتركون الباقي؛ قال تعالى: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)^(١)، ففي القرآن تبيان لكل شيء كما في آية الشورى، قال تعالى: (وَأْمُرْهُمْ شَوْرَىٰ بَيْنَهُمْ)^(٢)، وكذلك قوله تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)^(٣) فالحرية للأفراد و آراؤهم محترمة، ومقدرة في الإسلام، لكن ضمن الأطر العامة التي وضعتها الشريعة، وهذا الإطار أو الدستور حالة عقلائية، وأمر متفق عليه بين جميع البشر؛ إذ إن هذا الدستور يضم المبادئ العامة، التي تتفق وتتوافق عليها الأمة، ويكون المرجع لجميع القوانين الأخرى؛ حتى لا تحكم الأمة شريعة الغابة والقوة.^(٤)

مع انه يذكر مساوى الديمقراطية في وقتها ويقول: "إن مساوى الديمقراطية التي يصدرها الينا الغرب هو تحكيم رأي الأكثرية، وهم غالباً يمكن تضليلهم وتوجيههم بوسائل التأثير المتعددة كالمال والإعلام، لذا تجد أن الناس تعرف عن الفنانين والرياضيين ونحوهم أكثر مما تعرف عن المفكرين وأساتذة الجامعات وقادة الفكر، وبالنتيجة فستفرز الانتخابات صعود ناس غير مؤهلين لقيادة الأمة"^(٥).

و بعد ذلك يشير الي نقطة مهمة للغاية وهي: "إن رأي الشعب محترم

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٥

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩

(٤) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، ٧-١-٢٠١٨

(٥) خطاب المرحلة، ج ٤، ص ٤١٨.

في الشريعة ولكن توجد مساحات ليس من شأن عامة الناس التدخل فيها،
وعلينا أن نعمل كل ما بوسعنا لإقناع الأمة بالمشروع الاسلامي لكي تنتجه
وتتوجه اليه فإذا اختارت الأمة غيرنا فهذا من تقصيرنا وفشلنا وإفلاسنا"^(١).

ويفرق الشيخ بين النظام الإسلامي، والنظم الوضعية؛ بقوله: "إن
الدستور الإسلامي مأخوذ من الشريعة التي أنزلها الله سبحانه خالق البشر
العدل المطلق الكامل الرحيم بعباده البصير لإسعاد البشر، وضمان فلاحهم
وفوزهم، أما النظم الوضعية، فهي من صنع البشر القاصر المحكوم لأهوائه
ونزعاته، الذي يجهل حقيقة نفسه فضلا عن حقيقة الكون، الذي يحيط
به."^(٢)

الشيخ محمد العقبوي كما ذكرنا يرى أن نظام الحكم الأصح هو نظام
ولاية الفقيه الجامع للشرائط، ويكون بجانبه مستشارون متخصصون يعينونه
في أداء مهمته؛ لأن هذا النظام هو الذي قامت الحجة الشرعية عليه عنده
ونتيجة لوجود عدة موانع ذكرناها هناك لتطبيقها علي ارض الواقع في بعض
البلاد ومنها العراق على سبيل المثال في الوقت الراهن على الاقل؛ فإن
الشيخ يلجأ إلى الخيار الاضطراري، أو الاستثنائي في الحكم بعنوانه
الثانوي، ويراه الخيار الأقرب للشريعة، وهو أن يقوم الشعب بقيادة نفسه
على وفق آليات الديمقراطية، منها الإنتخابات، التي تقوم على اختيار ثلثة
تقوم بإدارة البلاد، ويجب عليهم أن يرجعوا إلى توجيهات القيادة الدينية
الواعية، ويقول: "إن الفقيه الجامع للشرائط قيم على مخرجات الآليات

(١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٢.

المسماة بالديمقراطية، وله حق نقض القوانين التي تخالف المبادئ الإنسانية العليا بالأمر، والطلب، والتوجيه والإرشاد؛ لأنه الصائن والحافظ الأول لمصالح العباد والبلاد، فلو قرر البرلمان - مثلاً - قراراً يرى الفقيه فيه تجاوز على الحقوق العامة، فإنه ينقضه، ولا يحق العمل به؛ متذرعين برأي الأغلبية ونحو ذلك".^(١)

هناك من يوجه الديمقراطية وفق نظرية التي سماها بعض الفقهاء بمنطقة الفراغ أي أن الأمور العائدة اليهم في تدابير شؤونهم الحياتية فهذا موكول لهم وترك تفاصيلها اليهم، لكن الشيخ لا يقبل هذه ويقول: "وهي ليست فراغاً في الحقيقة وإنما بمعنى أن المشرع وضع لها حدوداً وأطرها العامة وترك التفاصيل الي الامة لتختار الاسلوب المناسب"^(٢).

المطلب الأول: مقومات الديمقراطية

وإن كانت الديمقراطية شكل من أشكال الحكم يشارك فيها جميع المواطنين المؤهلين على قدم المساواة - إما مباشرة أو من خلال ممثلين عنهم منتخبين - في اقتراح، وتطوير، واستحداث القوانين. وهي تشمل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تمكن المواطنين من الممارسة الحرة والمتساوية لتقرير المصير السياسي. ومن أهم مقومات ومستلزمات الديمقراطية كالاتخابات، والبرلمان والدستور، والتعددية

(١) المكتب الاعلامي للمرجع الديني الشيخ محمد اليقوبي، نشرة الصادقين، ع ٢٣، ١٧٢/٥/٢٠١٧ ص ٤.

(٢) خطاب المرحلة، ج ٤، ص ٤٨.

الحزبية، وسنقوم بذكر الموقف الفكري للشيخ محمد اليعقوبي من هذه المستلزمات.

المقوم الاول..الانتخابات

ولعل أبرز مقوم للديمقراطية الانتخابات، فالمتتبع في الخطابات وكلمات وتوجيهات الشيخ يري انه يركز، ويوجه، وينادي بالانتخابات؛ إذ يقول:

"إنها وظيفة اجتماعية، وهي أهم من الأعمال الفردية"، بل إنها "أعظم وسيلة لتطبيق فريضة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأعظم آلياتها؛ فالنصح، والإرشاد، والموعظة قد تهدي واحدة أو مئة، لكن وصول الرجل الصالح إلى موقع القيادة يغير حال الملايين فوجوب المشاركة من وجوب هذه الفريضة"^(١).

ويرى أن من الواجبات التي خوطبت بها الأمة هو العمل السياسي لإيصال الثلة الصالحة^(٢) إلى قيادة البلاد، وإدارة شؤون الناس، وهو من أهم الواجبات الشرعية - كما اشارت اليه الآية الشريفة - إلى أن منصب القيادة الصالحة لإدارة البلاد تعدل كل أعمال الشريعة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)^(٣)، ويرى انه من واجب الحوزة والعلماء أن يقوموا بتعبئة الشعب و تثقيفهم للدخول

(١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٦٣.

(٢) الشيخ محمد اليعقوبي، نحو سياسة نظيفة، ص ٦٢.

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٧.

والمشاركة في العملية السياسية فيقول: "كان لزاماً علي علماء الاسلام ايدهم الله تعالي توعية الأمة وإرشادها الي ما يجب أن تتخذه من مواقف بإزاء القضايا التي تعترضها ومن تلك القضايا تسلّم العراقيين بأنفسهم إدارة شؤون بلدهم وبناء مؤسساته التي تحفظ كيانه وتوفر للشعب حقوقه كافة"^(١).

ويري الشيخ اليقوي أن يقوم بإصدار فتوي بحجم أهمية الانتخابات ودورها في مصير الأمة والشعب قائلاً: "كانت فتوانا أقوى الفتاوي حيث جعلنا وجوب المشاركة في الإنتخابات أهم من وجوب الصلاة والصوم؛ لأن وجود الحكومة الصالحة هو الذي يحفظ الصلاة والصوم، وإذا كان على رأس السلطة أشرار منحرفون فاسدون فإنهم سيحاربون الصلاة والصوم، كما رأينا من بطش النظام الدكتاتوري المقبور"^(٢)، إلا أن هذه المطالبة، والافتاء بالوجوب لم تكن الأولى، وأنه تحمل عبئا كبيرا، وجازف بمستقبله وسمعته؛ إذ أفتي بوجوب المشاركة بالإنتخابات، فالإنتخابات "الوسيلة المتيسرة لتعيين القيادات الصالحة للأمة وأنها تعادل الرسالة كلها كما في الآية المتقدمة، فبوصول الثلة الصالحة حفظ الصلاة والصيام وسائر الشعائر المقدسة واحكام الدين بالمقدار المتيسر وبوصول غيرهم تهدم هذه المعالم وحفظها واجب"^(٣).

أ: وجوب الانتخابات علي ضوء مباني الفقه الاجتماعي

إن وجوب المشاركة في الإنتخابات لم يكن إعلاميا أو دعائيا، وإنما

(١) الشيخ محمد اليقوي، نحو سياسة نظيفة، ص ١٩٩.

(٢) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد اليقوي، ٧-١-٢٠١٨.

(٣) المصدر نفسه.

كان مبنية على أسس شرعية علي ضوء مباني الفقه الاجتماعي الذي بين أسسه ومعالمه، في كتاب (الأسس العامة للفقه الاجتماعي)، وقال فيه: "إن نتيجة التفكير الاجتماعي في استنباط الأحكام الفقهية تكوين نظريات اجتماعية للمجتمع"^(١) ويضيف: "إن الاستفادة من ذوق الشريعة اهتمامها بالواجبات الاجتماعية أكثر من الفردية فورد عن الأئمة (عليهم السلام) (إصلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة والصيام، لما فيه من حفظ الأمة وقوتها ومنعها من التفكك)."^(٢) ويدعي ان الشريعة الاسلامية قادرة علي تقديم حلولاً لكل ما يواجهه الانسان في حياته، ويقول:

"لذا فقد أودعت فيها ديناميكية وحركية لمواكبة تطورات الحياة البشرية في ميادينها المختلفة، وقد أثبتت الشريعة الإسلامية قدرتها على تقديم الحلول وحل المشكلات ومواجهة التحديات طيلة القرون الماضية، وأثرت الحضارة الإنسانية بمختلف العلوم والمعارف والفنون، ولم يعجز الفقهاء عن العثور على الحكم والموقف والاجراء مع الدليل عليه في كل تلك المساحات"^(٣).

ويقسّم الاحكام الي قسمين الاحكام الفردية والاجتماعية، وهذا

(١) الشيخ محمد اليقوي، الأسس العامة للفقه الاجتماعي، ص ٢٨

(٢) الشيخ محمد اليقوي، نحو سياسة نظيفة، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

(٣) الاجتهاد في مجال النظريات والنظم المجتمعية، كلمة القاها سماحة المرجع الشيخ محمد اليقوي (دام ظلّه) يوم الجمعة ١٢ شعبان ١٤٤٢ الموافق ٢٦/٣/٢٠٢١ لعرضها تلفزيونياً في مؤتمر تقرر عقده في بغداد بحضور علماء وأساتذة جامعات من العراق وعدد من الدول العربية والإسلامية.

التقسيم قائم علي تتبعه في النصوص الشرعية كتاباً و سنة علي أن للأمة كياناً وماهيةً وحقيقة ووجوداً لا مجرد كونها تجمع افراد، ووجود هذا الكائن يقتضي وجود احكام له في الشريعة، و يقول:

”وإن الأحكام قسمان، فبعضها تخاطب الفرد كوجوب الصلاة يومياً والصوم في شهر رمضان والحج للمستطيع، وبعضها اجتماعية عامة تخاطب الأمة ككيان من خلال مؤسسات الدولة أو النقابات، أو منظمات المجتمع المدني وسائر التشكيلات المجتمعية، فكل من هذه الكيانات النظامية والنخبوية مصداقٌ للأمة في الآية الكريمة (وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)^(١) وهذه الأحكام الاجتماعية العامة هي القسم الأهم من أحكام الشريعة، وتشكل بعض الأحكام العامة مبادئ عليا وتكون أطراً ومحددات لسائر التشريعات التفصيلية، بحيث لو وقع تعارض بينها وبين الأحكام الأخرى فإنها تُقدّم عليها ولا يصح منها الا ما وقع ضمن تلك المحددات، وتكون العلاقة بينها وبين سائر احكام الشريعة كالعلاقة بين الدستور والقوانين التي شرّعها السلطة فيشترط فيها ان لا تخالف الدستور. وقد تكفل القرآن الكريم ببيان هذه المبادئ العليا والقوانين العامة فهو كالدستور بالنسبة للتشريعات التفصيلية”^(٢).

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤.

(٢) الاجتهاد في مجال النظريات والنظم المجتمعية.

ب: اغراض تأسيس النظرية الاجتماعية للفقهاء

ان الشيخ في فقهه الاجتماعي يتطرق الي اغراض تأسيس النظرية

الاجتماعية وهي:

الغرض الاول: اهتمام الشريعة بالمصلحة العامة اكثر من المصلحة

الشخصية.

الغرض الثاني: مواجهة نظريات الغرب بنظريات إسلامية.

الغرض الثالث: المسائل الفردية تعجز عن حل بعض المشكلات بينما

النظرية الاجتماعية تعطي حلاً متكاملًا.

الغرض الرابع: النظرية الاجتماعية فيها قابلية الاستمرار والخلود

واستيعاب كل الوقائع^(١).

و هذا كله بسبب عجز الفقه الفردي للقيام بمواكبة الزمن والتطور

الهائل بحيث اذا لم تجب الشريعة الاسلامية لمتطلبات الحياة الحديثة، ففيه

دلالة علي عدم كمالها وشمولها وعالميتها، ويقول الشيخ: "لذا نحن

مطالبون بأن نكون على مستوى المسؤولية لإيراز الشريعة الإسلامية كنظام

قادر على إدارة شؤون المجتمعات المدنية المتحضرة وحل مشكلات

البشرية مهما كانت معقدة، فنؤسس الفقه الاجتماعي ونؤصل له، لأن أصول

الفقه وقواعده المتداولة لا تسدُّ حاجة هذا المشروع، فللفقه الاجتماعي

أصوله كما ان للفقه الفردي أصوله وقد يلتقيان في بعضها دون بعض، فمن

أصول الفقه الاجتماعي قاعدة وجوب حفظ النظام الاجتماعي العام وتقديم

(١) الشيخ محمد يعقوبي، الأسس العامة للفقهاء الاجتماعيين، ص ١٠.

الأهم على المهم وطاعة ولي الأمر، وقد تصح وفق هذه النظرة قواعد لم تكن مقبولة على صعيد الفقه الفردي كالمصالح العامة ودفع المفسد وسدّ الذرائع بعد إقامة الدليل عليها. وسنحتاج الى تثبيت الأسس الأخلاقية والمبادئ العليا لهذا الفقه"^(١).

فعلي ضوء الفقه الاجتماعي الذي يقول به الشيخ أن المشاركة في الانتخابات سواء العامة أو المحلية هو استحقاق إنساني ووطني، وواجب على أفراد الشعب، فالإستحقاق في ضمن جهتين:

١- الأنسانية: فإن أئمن ما وهب الله تعالى للإنسان هو حق الحرية بكل مواردها، ومنها حرية اختيار من يقوم لإدارة شؤوننا، وولاية أمورنا، وحفظ النظام الإجتماعي العام ونحو ذلك، وهذا الحق ثبته الله تعالى في القرآن الكريم قال تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ التَّجْدِينَ)^(٢)، وقوله تعالى: (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ)^(٣).

٢- المواطنة: فإن كل مواطن يحمل جنسية البلد يبلغ السن القانونية يكون من حقه المشاركة في الانتخابات، ففي هذه المشاركة إثبات للمواطنة، وإعلان للإنتماء، والهوية الوطنية.

إن استيفاء الحق، والأخذ به يستحسنه العقلاء، وأن إهماله، والتفريط به ما يستقبحه العقلاء، وتحصيل حق حرية اختيار من يدير شؤون البلاد من

(١) الاجتهاد في مجال النظريات والنظم المجتمعية.

(٢) سورة البلد الآية ١٠.

(٣) سورة الانفال الآية ٤٢.

أهم ما تسعى إليه الشعوب في العالم، وتقوم بالثورات، وأنها تقدم الآلاف، بل الملايين من الضحايا على مدى التاريخ من أجل إنتزاع هذا الحق الذي يسلبه المستبدون والطواغيت، من أجل التفرد بالسلطة، والحكم، فالعقلاء لا يرضون بتفويت هذا الحق^(١).

د: وجوه وجوب الانتخابات

ولعل من أهم الواجبات الاجتماعية إدارة شؤون الأمة علي جميع المستويات وحفظ مصالحها وإقامة الحق والعدل في البلاد، ولا يتحصل هذا الا من خلال الانتخابات الواعية التي تقوم بها الشعوب ومن هذا المنطلق، عبر عنها بالواجبات الاجتماعية في كثير من كلماته و توجيهاته^(٢)، فعلي هذا الأساس إن لوجوب المشاركة في الإنتخابات عدة وجوه من منظور الشيخ محمد العقوبي، وهي:

١- قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)^(٣) فمن خصائص هذه الأمة وتكاليها أن تكون شاهدة، فتشير إلى هذا الفعل بأنه حسن يجب القيام به، وتشهد على هذا الشخص بأنه صالح مؤهل لوضعه في الموقع المناسب، وأداء هذه الشهادة واجب على الأمة قال تعالى: (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا

(١) تائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي العقوبي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٣٦٦.

(٢) الشيخ محمد العقوبي، نحو سياسة نظيفة، ص ١٠.

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٣.

تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ^(١) وهي ليست كأبي شهادة واجبة؛ لأنها تتعلق بحقوق الأمة، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (افضع الخيانة خيانة الأمة)^(٢)؛ فإذا تقاعست الأمة ولم تدلي بشهادتها للمؤهلين لقيادة البلاد، فإنها تفسح المجال للمفسدين أن يعودوا إلى أماكنهم، والخيانة الأسوأ أن يجدد إعطاء صوته، ويمنح الثقة للأشخاص أنفسهم الذين ظلموه وغصبوه حقوقه.

٢- الحديث النبوي الشريف المتفق عليه لدى الفريقين (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، ليس وراء ذلك شيء من الإيمان)^(٣). وقد شخص المواطن العراقي المفاسد والتقصيرات، التي ترتكب في العملية السياسية ويدفع ثمنها المواطن العراقي من أمنه، وصحته، ومستقبله، فلا بد من قيام الكل بواجبهم في التغيير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن التغيير باليد مستطاع اليوم من خلال الإدلاء بالصوت، ولا نحتاج تغيير بالقوة والعنف كما كان تكليف الأمة من قبل.

٣- ما ذهب إليه مشهور علماء الإمامية من وجوب نصره الأمة للفقهاء الجامع للشرائط القائم بالولاية؛ حتى يمكن له في الأرض، ويفعل ولايته، ويقيم شرع الله، قال تعالى: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٣.

(٢) نهج البلاغة، رسائل أمير المؤمنين عليه السلام ٢٦ - و من عهد له عليه السلام إلى بعض عماله و قد بعثه على الصدقة.

(٣) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج ٣٣ ص ٤٠٥.

وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ^(١)، ونصرته تكون بنصرة أتباعه الذين يعملون بتوجيهاته وينفذون مشاريعه على أرض الواقع.

٤- السيرة العقلانية البالغة حد الضرورة الاجتماعية - بحسب تعبير امير المؤمنين (عليه السلام): (لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في أمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله بها الآمال، ويجمع به الفياء، ويقا تل به العدو، وتؤمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي؛ حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر)^(٢)، فاختيار السلطة التي تتولى إدارة الحكم في البلاد ضرورة عقلانية، ولا بد من المشاركة فيها لضمان وصول الصالحين النزيهين الكفوئين، الذين يستحقون منح الثقة بهم في هذا المجال وتبرأ الذمة بانتخابهم.

فيري الشيخ العقوبي أن المشاركة في الانتخابات هي من جملة حقوق

المواطنين ويقول:

إنني أريد من كل شخص أن يحس أن الإدلاء بالصوت في صناديق الاقتراع هو حق له يعزز انتماءه للوطن، ويفعل دوره في بناء مستقبل الأمة، فيندفع بإصرار وحرص بل بفرح وسرور للتمتع بها ولا نريد أن يشعر أنه واجب مفروض عليه لا بد من ادائه رغما عنه، وفرق كبير في المشاعر بين ممارسة الحق، وأداء الواجب^(٣)، وهنا يتضح أن الشيخ يفرق بين ممارسة الحق، والشعور النفسي للمواطن بتأدية هذا الحق، وبين أداء الواجب، الذي

(١) سورة الحج الآية ٤١.

(٢) نهج البلاغة، رقم الخطبة ٤٠.

(٣) خطاب المرحلة، ج ٤، ص ١٦٥.

ربما يكون الشخص مجبر على أدائه، ويشير إلى أن المشاركة في الانتخابات حق لأفراد الشعب قبل أن تفرضه استحقاقات المرحلة وتوجهه؛ ولأنه حق، فلكل إنسان الحرية في طريقة الإستفادة منه، وممارسته بكل حرية ويضيف: "إننا نطمح أن يرتقي الوعي السياسي، والقدرة على الاختيار لدى الأمة إلى المستوى الذي يصبح فيه مؤهلاً لاختيار الكفاء الصالحين القادرين على إعادة الحق إلى أهله"، بل إنه يرى أن تتحمل الأمة المسؤولية الكاملة في اختيار قادتها، وممثليها من دون توسط المرجعية الدينية حتى يكون هؤلاء القادة مسؤولين أمام الأمة مباشرة، وبخصوص تصدي المرجعية لتحديد أسماء معينة.

ويرى الشيخ محمد اليعقوبي أن على الفائزين بالانتخابات الإلتزام بوعودهم، وبرامجهم؛ إذ يقول: "إن الشرعية المكتسبة من صناديق الاقتراع مشروطة بالوفاء بالبرامج السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي وعدوا بها الناخبين، فاذا لم يفوا بها، ويخدموا الشعب، ويوفروا له حقوق الحياة الحرة الكريمة، فعليهم التنحي طوعاً أو كرهاً، قال تعالى: (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)^(١).

المقوم الثاني القانون

172

ومن مقومات الديمقراطية وجود قانون^(٢) (law) مكتوب، نص علماء

(١) سورة محمد ص الآية ٣٨.

(٢) أن الفقهاء في العصور الأولى لم يستخدموا هذا المصطلح للدلالة على الحكم الشرعي أو على القاعدة الفقهية أو الأصولية، هذا وقد استخدمها المرادي الحضرمي (ت ٤٨٩ هـ) بعد

اللغة بأن هذا المصطلح دخيل على اللغة، قال ابن منظور: «القوانين الأصول، الواحد منها قانون و ليس بعربي»، و يرى البعض بأنها مأخوذة من اللغة السريانية و تعني: المسطرة، كما يقول أبو البقاء، ثم نقل معناها إلى القضية الكلية من حيث تستخرج بها أحكام جزئيات المحكوم عليها فيها. عرف الجرجاني القانون بأنه: «أمر كلي منطبق على جميع جزئياته التي يعرف أحكامها منه»^(١)

القانون يحدد شكل و عمل الحكومة، والدولة، وهو الدستور وهو القانون الأعلى الذي يحدد القواعد الأساسية لشكل الدولة (بسيطة أم مركبة) و نظام الحكم (ملكي أم جمهوري) و شكل الحكومة (رئاسية أم برلمانية) و ينظم السلطات العامة فيها من حيث التكوين و الاختصاص و العلاقات بين السلطات و حدود كل سلطة و الواجبات و الحقوق الأساسية للأفراد و الجماعات و يضع الضمانات لها تجاه السلطة؛ إذ يرى الشيخ محمد اليعقوبي أن للدستور أهمية عظيمة في حياة الدول و يضع له تعريفاً بقوله: "هو الإطار القانوني الأعلى الذي يتكفل بيان الحقوق و الواجبات، و يرسم

ذلك بقوله: «و يجب أن تكون السياسة على قوانين مألوفة و لا يكثر من تغييرها»، و توسع ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) عندما قسم القوانين بقوله: «فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء و أكابر الدولة و بصرائها كانت سياسة عقلية، و إذا كانت مفروضة من الله بشارع يقرها و يشرعها كانت سياسة دينية» و قد شاع استخدام هذا المصطلح في ظل الدولة العثمانية للدلالة على الأحكام الصادرة من الدولة. بنقل من: سامي محمد الصلاحيات، معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، سنة الطبع ١٣٨٥، ص ١٩٨

(١) سامي محمد الصلاحيات، معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، مكتبة الشروق

الدولية، القاهرة، سنة الطبع ١٣٨٥، ص ١٩٧

شكل الدولة، ويحدد منطلقاتها الدينية والفكرية، ويكون بمثابة المسطرة التي تقاس عليها شرعية وعدم شرعية القوانين، والتعليمات، واللوائح التي تصدرها الجهات التشريعية لتنظيم جميع مفاصل حياة المواطنين في البلاد، ونظرا للأهمية الكبيرة للدستور فإن كتابته خطوة خطيرة في حياة البلدان، ولذا يجب أن تتظافر الجهود حتى يكون ناطقة بتوجهيات، وطموحات أبناء البلد.

أ: شؤون الفقيه والتنظيمات التشريعية

وقد نظم الشيخ استبينانا ليعرف بعض القضايا السياسية والدستورية، ويرى أن نتائج اي انتخاب أو استفتاء لا تكون ملزمة شرعا إلا إذا أمضاها المجتهد الجامع للشرائط لأن السلطة والقضايا السياسية والاجتماعية هي من شؤون الفقيه الجامع للشرائط والذين يريدوا أن يقوموا بأعمال هي من شأنه لا بد أن تكون قابلة للنيابة ويمضيها او يجيزها؛ لأنه يمثل القانون الشرعي، وهو الأعم به، وليس في هذه الفكرة مصادرة لرأي الأمة التي اختارت، بل هو تقنين، وتكييف شرعي لاختيارها، وإرادتها، فإن الدستور له امضائين^(١):

الأول: شعبي إذا صوت عليه أغلب الشعب، وهو إمضاء تواضعي

إصطلاحيا؛ لأن الدستور يمثل وثيقة تنظم حياة الناس، وتحفظ الحقوق والواجبات للحاكم والمحكوم، ومن حق الناس أن يصطلحوا على الوثيقة

(١) تائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد اليعقوبي، نشر دار

التي تحظى بتأييد أكثريةهم، وحينئذ يكون العمل به ملزم للشعب.

الثاني: شرعي وهذا يتحقق بإمضاء الفقيه الجامع للشرائط له، وحينئذ

يكتسب صفة الالتزام الشرعي، ولا يكفي فيه موافقة الأغلبية.

إن الشيخ العقوي قبل كتابة الدستور وجه الاستبيان أو إستطلاع

الرأي، تضمن تعريف ببعض القضايا الدستورية، والسياسية، ومذيلة ب(١٩)

سؤالا كان لها هدفان:

الأول: تثقيف المجتمع بهذه القضايا، وتأهيله للدخول في الحياة

السياسية بنجاح؛ لانتزاع حقوقه، لذا فإن الإستبيان لم يكتف بتدوين

الأسئلة، وإنما قدم لكل سؤال شرح مبسط، فمثلا هل تريد نظام برلماني أو

رئاسي؟ عرف كلا النظامين وإيجابيات وسلبيات كل منهما.

الثاني: إستطلاع الرأي العام حول هذه القضايا؛ لتنتقل من مستند قوي،

وهي إرادة الشعب، واختياره عند التعبير عن المواقف الوطنية.

ب: القانون الوضعي

إن الدستور ينظم الحياة المدنية للشعب، ويوزع المسؤوليات، ويحدد

الواجبات، والحقوق للسلطة والشعب معا، ويقع ضمن منطقة الفراغ، التي

تركت الشريعة للأمة أن تقنن لنفسها ما يصلحها ومن ضمن هذه المساحة

المباحة الاطلاع على تجارب الشعوب الأخرى، فالإسلام مصدر للتشريع

في المساحة التي وضع المشرع لها أحكاما إلزامية، أما مساحة المباحات،

فإن الشارع المقدس ترك للأمة تنظيم امورها، وظروفها، وهذا لا يعني أن

الشريعة تركت هذه المساحة من دون حكم غير إلزامي، وفي هذه المنطقة

أو المساحة يوضع الدستور والقوانين التي تنظم حياة الأمة أو الشعب بشرط أن لا يخالف الشريعة الإسلامية.

المقوم الثالث الأحزاب

الحزب هو جماعة منظمة من المواطنين تجمعهم مواقف سياسية موحدة أو متقاربة، يعملون في إطار القانون ويسعون للوصول إلى الحكم من أجل تطبيق برنامجهم. وتضطلع الأحزاب السياسية بمهام رئيسية في المجتمع الديمقراطي، مثل:

- تجميع وصياغة الاحتياجات والتحديات التي يعبر عنها أعضاؤها ومناصروها

- القيام بنشاطات اجتماعية وتثقيف الناخبين والمواطنين بشكل عام حول النظام السياسي والانتخابي وتشكيل القيم السياسية العامة

- موازنة المتطلبات والتطلعات المتناقضة وتحويلها إلى سياسات عامة
- تحريك وتفعيل المواطنين للمشاركة في القرارات السياسية وتحويل آرائهم إلى خيارات سياسية واقعية

- إيجاد قنوات لنقل الرأي العام من المواطنين إلى الحكومة

- استقطاب وتأهيل المرشحين للمناصب التمثيلية

فمن المقومات للديمقراطية هي الأحزاب، والتعددية، إذ يري الشيخ محمد يعقوبي أن الأحزاب والمنظمات الأخرى هي بمنزلة القلب الذي ينبض بالحياة، والحركة في جسد الأمة، ويحركها، وإذا ما توقفت عن العمل، خمدت حركة الأمة وماتت، ويضيف الشيخ يعقوبي:

"إن تنظيم أمر الأمة في التشكيلات المؤسساتية التي تعتمد على العمل المجموعي لا الفردي ضرورة إجتماعية يملئها تشعب الحاجات الإنسانية وتنوعها، واحتياجها إلى التخصص من دون استثناء أحدها عن الآخر، فلا بد من إنضمام الجهود بعضها إلى البعض في خلية واحدة ليتكامل العطاء، وينضج، ويكون فاعلاً، ومؤثراً، ومثمراً".

واتمام للفائدة نتناول موضوع الاحزاب بشي من التفصيل اضافة الى ما ذكر:

أ: الاحزاب في المنظور الديني

أن القرآن الكريم حث على مثل هذه الاعمال المنظمة، ودعا إلى تشكيل الجماعات المنظمة؛ قال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)^(١) وقد أكد الأئمة المعصومون (عليهم السلام) على نظم أمر الأمة، وتأكدت هذه الضرورة في وقتنا الحاضر؛ لأن طبيعة العمل تقتضيها وأن العمل الذي يقع في ضمن الإطار الحزبي يكون إيجابية إذا كانت نظيفة في النظرية والتطبيق، فالحزب هو القناة أو الآلية للعمل البناء في سبيل الوصول إلى الأهداف المرسومة والصحيحة إلا أنه في بعض الأحيان يقترن بالخطأ في التطبيق، وقد يحصل إنحراف وهو ظهور الأنا الحزبية و التعصب للحزب، وأن هذه العصبية هي التي تؤدي إلى التقاطع والعداوات، بل حتى التناحر، والتشويه، والافتراء، وعلاج ذلك وهو العودة إلى الشريعة الحقّة؛ فإن الأحزاب مبتلاة بهذا المرض، وهي تكافح

(١) سورة ال عمران الآية ١٠٨.

من أجل أن تدفع بعناصرها للواجهة حتى وأن وجد عناصر أفضل وأقدر من خارج حزبها، وإذا أردنا أن نلتزم بقوله تعالى: (قاستقم كما أمرت ومن تاب معك)^(١)، فإن الإستقامة تقتضي التجرد عن التعصب والأناية مع الاحتفاظ بالقناعة، والأسلوب والنظرية التي يتم اللاطمى نان بسلامتها ونظافتها.

ونستنتج مما سبق أن للاحزاب دورا كبيرا، ومهما في العملية السياسية؛ لأنها إحدى أهم آليات النظام الديمقراطي، الذي جعله الشيخ محمد اليقوي نظاما بديلا ثانويا عن النظام في الإسلام، الذي هو الأساس في الحكم وهو نظام ولاية الفقيه العامة اذا لم تنهيا الظروف لتطبيقه اوليا .

ب: الخطوط العريضة لعمل الأحزاب الإسلامية

يضع الشيخ محمد اليقوي خطوط عريضة؛ لعمل الأحزاب الإسلامية، يمكن مراجعتها في موضوع الخطاب السياسي الشيعي من موسوعة خطاب المرحلة.

ج: أصناف المسؤوليات

يذكر سماحة المرجع الشيخ محمد اليقوي (دام ظله) أن المسؤوليات

على صنفين هما:

١- المسؤوليات المتغيرة

ولا نعني بالمتغيرة: أن حكمها يتغير لأن (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة)، وإنما نعني حصول التغير في

(١) سورة هود الآية ١١٢.

الموضوع والعناوين فيتغير الحكم تبعاً لها، فالخمر حرام لكن إذا عولجت وانقلبت خلاً صارت حلالاً لظرو عنوان ثانوي عليها وهو الانقلاب، فالتغير ليس في أصل الأحكام، وإنما في تطبيقاتها.^(١)

وبذلك تتغير المسؤولية تبعاً للحكم أو للتكليف، والقرآن الكريم أكبر دليل على تنوع أو تعدد الخطاب، وتغيره في بعض الأحيان تبعاً للمصلحة، أو من أجل التدرج في إيصال الحكم.

٢- المسؤوليات ثابتة

والتكاليف الثابتة معلومة على مستوى العقائد الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى، ووحدانيته وصفاته الحسنى، والأنبياء والرسل والأئمة سلام الله عليهم، وعلى مستوى الأحكام كوجوب الصلاة والصوم والخمس وحرمة شرب الخمر والزنا والغيبة وغيرها، أو على مستوى الأخلاق كمحبوبة الصدق والكرم والحلم ومبغوضية الحسد والأنانية والتهور وغيرها.

فتلك مسؤوليات وتكاليف ثابتة متناغمة مع الفطرة الإنسانية، وتحكم بها جبلة الإنسان والتي تتوافق عليها جميع الأخلاقيات والديانات الإنسانية. وهي إما ثابتة من حيث الطبيعة الإنسانية، أو أنها ثابتة من حيث نوع وطبيعة الدين أو الجماعة التي ينتمي لها ذلك الإنسان.

وعلى كل حال فإنها تتسم بالثبوت، والمعضلة تشدد هنا للتعرف عليها. بل التشدد يزداد عند إرادة التمييز ما بين الثابت والمتغير على مستوى التنظير ويزداد على مستوى الواقع أو التطبيق.

(١) من نور القرآن، ج ٣، ص ٣٣٤.

كل ذلك يتطلب شعورا حقيقيا واعيا بالمسؤوليات، ووجوبها انساني واخلاقيا وحتى شرعياً لذا يقول سماحته: (إن الشعور بهذه المسؤوليات والالتفات إليها يقتضي عملين:

الأول: رفع التقصير عما لم يرق به الإنسان والندم عليه وتداركه.
الثاني: شحذ الهمة والعزيمة ورفع مستوى الطموح ليلبغ أعلى هذه الدرجات ويستوعب أكبر مساحة من المسؤوليات ليحظى بأعلى الامتيازات عند الله تبارك وتعالى).^(١)

د: العناصر المؤثرة على المسؤوليات المتغيرة
بعد أن قدمنا الفارق ما بين المسؤولية الثابتة والمتغيرة، فإن المسؤوليات المتغيرة وفق نظرية سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) تتأثر بعدة عناصر هي:

١- الموقع

فإن الإنسان العادي مسؤول عن نفسه وأهله وما يرتبط به، وحينما يكون وزيراً مثلاً فإنه مسؤول عن مؤسسات كاملة وإدارة كل الشؤون المرتبطة بوزارته ورعاية مصالح جميع الناس بما يرتبط بوظيفته، وحينما يكون إماماً في مسجد فإنه يكون مسؤولاً عن أبناء تلك المنطقة فيتفقد همهم ويصلحهم ويقضي حوائجهم ويساعدهم ويهديهم ويصلح شأنهم، فإذا أصبح قائداً أو مرجعاً دينياً شملت مسؤوليته الملايين من الناس في شرق الأرض

(١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٤٥.

وغربها.^(١)

٢- الظروف المحيطة

أي تتأثر المسؤولية بالظروف المحيطة (فنحن في العراق نعيش حالة احتلال وصراع سياسي وفقر وحرمان وقتل وتهجير واختطاف وفساد إداري وسرقة للمال العام واعتقال الأبرياء وغيرها من القضايا التي تحتم اتخاذ مواقف بإزائها لم نكن مكلفين بها قبل وجودها، ولا يعذر الإنسان حين يصم آذانه عن كل هذه القضايا من دون أن يقوم بواجبه تجاهها).

٣- البلد

فتأثر المسؤولية بالبلد (فالشخص الذي يسكن العراق له تكاليف تختلف عن الذي يسكن في بلاد الغرب مثلا، فهذا تبرز عنده وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه يعيش في وسط مجتمع مسلم، فوظيفته تقويم الانحراف داخل المجتمع المسلم بهذه الوظيفة، أما المقيم في الغرب فتبرز عنده وظيفة الدعوة إلى الإسلام لأنه يحاور غير المسلمين).^(٢)

٤- العلم

فتأثر المسؤولية بالعلم (فكلما ازداد الإنسان علما ازدادت مسؤوليته بكلا شقيها أي من حيث الثواب على الإحسان والعقاب على الإساءة لذا ورد في الحديث أن الجاهل يغفر له سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنبا واحدا).

(١) من نور القرآن، الشيخ محمد البعقوبي، ج ٣، ص ٣٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣٧.

٥- المعرفة الإلهية

إذ تتأثر المسؤولية بالمعرفة الإلهية (فكلما ازدادت معرفته ازدادت مسؤوليته، فقد تكون حالة مباحة وليست في دائرة المسؤولية ضمن مستوى معين ولكنها تكون ضمن دائرة المسؤولية في المستوى الآخر، لذا ورد في الحديث الشريف (حسنات الأبرار سيئات المقربين) فهي ليست سيئات بالمعنى المتعارف وإلا لما أصبحت حسنات بالنسبة للأبرار، فهي سيئات بالمعنى المناسب للمقربين).

٦- الانتماء

إذ تتأثر المسؤولية بالانتماء (فالذي يوالي أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام) عليه مسؤوليات أكثر من غيره من المسلمين، والذي ينتمي إلى المرجعية الناطقة الحركية يشعر بالمسؤولية عن دينه ومجتمعه أكثر ممن ينتمي إلى المرجعيات التقليدية الساكنة، ولذا تجد الحيوية والاندفاع والسبق إلى تنفيذ المشاريع التي تعلي كلمة الله تبارك وتعالى وترفع راية الإسلام في أتباع المرجعية الأولى أكثر).^(١)

المطلب الثاني: مفهوم الدولة عند المرجع اليعقوبي

الدولة (state) لغة: حصول الشيء في يد هذا تارة وفي يد هذا أخرى، وقيل الدولة والدولة في المال والحرب سواء، لكن تستعمل الدولة بالضم في غلبة المال، والدولة بالفتح في الحرب. اصطلاحاً: «هي مجموعة الإيالات - سلطان الدولة - تجتمع لتحقيق السيادة على أقاليم

(١) محمد تقي المؤمن، القيادة الواعية، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٧٣

معينة لها حدودها و مستوطنوها، فيكون الحاكم أو الخليفة أو أمير المؤمنين هو أحد هذه السلطات»^(١) شهدت المدة التي أعقبت خروج الاستعمار من المنطقة ظهور في مفهوم الدولة الحديثة، وهي في الغالب كيان يقوم على العرق، أو الجغرافية، ، وتشارك تطبيقاته في جزئية عزل الدين عن الدولة تقريبا، وقد التزمت أغلب الأنظمة السياسية التي سيطرت في تلك المدة بعلاقات مع الدول الاستعمارية؛ الأمر الذي عزز من اقامة الدولة على أسس قومية، أو طائفية.

اولاً: مكانة الدولة في الاسلام

لقد اهتم الأئمة المعصومون (عليه السلام) اهتماما خاصا بالدولة على الرغم من معاناتهم (عليه السلام) من السلطة الحاكمة آنذاك، وقد استشهد الشيخ محمد اليعقوبي بعدة حوادث تبين اهتمام الأئمة (عليه السلام) بالدولة مثلما اهتمت المرجعية الدينية بالدولة الإسلامية في عصر الغيبة للإمام الثاني عشر (عليه السلام)، فهذا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) نراه يحرص على وحدة المسلمين، وتأليف قلوبهم؛ إذ قال (عليه السلام): "لقد علمتم اني احق الناس بها من غيري والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة"^(٢) ومنه نصيحته للخليفة الثاني بأن لا يخرج بنفسه لقتال الفرس في معركة القادسية، حتى لا يتكالبوا عليه، ويقولوا هذا رأس

(١) سامي محمد الصلاحات، معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، سنة الطبع ١٣٨٥، ص ١١٢.

(٢) نقلا عن الشيخ محمد اليعقوبي، خطاب المرحلة، ج ٣، ص ٢١٣.

العرب إن قتلناه تخلصنا منهم، وقد استمع الخليفة الثاني لنصيحته، ولم يخرج^(١).

ويضيف: "ومما نستفيد من حياة الامام السجاد (عليه السلام) تخطيطه للاستقلال النقدي للدولة الإسلامية عن الروم، حينما حاول ملك الروم إذلال المسلمين وإخضاعهم لمطالبه سك الدنانير الرومية التي كانت هي العملة المتداولة في الدولة الإسلامية. فاستنجد عبد الملك بن مروان بالامام السجاد (عليه السلام)، فالامام السجاد (عليه السلام) لم يتأخر عن نصره الدولة الإسلامية، فأرسل ولده الامام الباقر (عليه السلام) إلى عبد الملك بن مروان، وشرح له كيفية صب عملة جديدة، والغاء التعاملات بالعملة الرومية كافة، فأنقذ هذا العمل الدولة الإسلامية وحفظ لها استقلالها، وادارتها.^(٢)

إن العمل في مواقع السلطة، والدولة يوجب آثارا وضعية ولا يمكن ازالتها، والنجاة منها إلا بالإحسان إلى الناس، وهذا ما أشار إليه الامام الكاظم (عليه السلام) لعلي بن يقطين حين ولي وزارة هارون العباسي؛ اذ قال (عليه السلام): اضمن لي خصلة، اضمن لك ثلاث فقال بن يقطين: "جعلت فداك وما الخصلة التي أضمنها لك، وما الثلاث اللواتي تضمن لي؟ قال (عليه السلام) الثلاث اللواتي أضمنهن لك أن لا يصيبك حر الحديد ابدأ بقتل، ولا فاقة، ولا سقف سجن، فقال بن يقطين: وما الخصلة التي اضمنها لك، فقال (عليه السلام): يا علي، وأما الخصلة التي تضمن لي أن لا يأتيك ولي ابدأ الا اكرمه. وقال الامام الكاظم (عليه السلام): ضمنت لعلي بن يقطين الجنة والا تمسه

(١) خطاب المرحلة، ج ٥، ص ٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٦٨-١٦٩.

النار ابدأ. وقال كذلك الامام الكاظم (عليه السلام) بحق: يا علي ان الله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه، وانت منهم يا علي.^(١)

نستنتج مما تقدم المكانة والأهمية الكبيرة للدولة الإسلامية عند الأئمة المعصومين (عليهم السلام) على الرغم من الظلم الذي لحق بهم (عليهم السلام) من سياسات تلك الحكومات على مر التاريخ وهذا ما قد نلاحظه كذلك عند المرجعية الدينية في زمن الغيبة إلى وقتنا الحاضر، فقد لمسنا من المرجعية الدينية التفاني والاخلاص، ونكران الذات في سبيل المحافظة على الدولة، والتعايش السلمي بين ابناء البلد الواحد خصوصا في العراق بعد العام (٢٠٠٣م)، وقد سأل الباحث المرجعية لماذا لا يذكر اسم المرجعية على المشاريع التي تقدم لحلحلة الوضع المتروكي في العراق، فكانت إجابته: "المهم عندنا هو حقن دماء الابرياء، والمحافظة على وحدة العراق، وقوته، وليس المهم أن يذكر اسمنا".

ويرى الشيخ محمد اليقويبي أن الدولة الإسلامية التي أرادها الأئمة (عليهم السلام)، التي وردت بكلماتهم: (اللهم إنا نرغب اليك في دولة كريمة) ليست الدولة، التي يتأسسها، وتضم رجالا يرفعون لافتات إسلامية، ويتظاهرون بالارتباط بالمرجعية الدينية وإنما تريد المرجعية من الدولة الإسلامية أن تعيش الاسلام في كل تفاصيل حياتنا، وأن يحكم الاسلام في أمورنا، وقضايانا جميعا، كما قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى

(١) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٤٤. للاستزادة الشيخ محمد اليقويبي، دور الأئمة في الحياة الإسلامية، ص ٣١-٣٢، ٩٣-٩٩، ١٠٩، ١١٨، ١٨٩، ١٩٧، ٢٧٢-٢٧٨، على التوالي.

يُحْكِمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^(١) فهذه الدولة التي تعز الاسلام واهله، وتذل النفاق واهله.^(٢) (فيعلمنا الامام (عليه السلام) أن نسعى لأن تكون قادة في دولته المباركة، لننال كل البركات، والكرامات الدنيوية والأخروية، وأن الوجود في دولته (عليه السلام) هو شرف عظيم، ومنزلة رفيعة، يتمناها الجميع.)^(٣)

ومما سبق يتضح اهتمام الأئمة (عليهم السلام) بالدولة، والإقرار باهميتها في حياة الشعوب، والأمم على الرغم من أن الحكومات كانت ظالمة ومتعاقبة على ظلم الشعوب، حتي تصورت هذه الشعوب أن ممتلكات ومؤسسات الدول هي ملك للحكومات، وقد أشار الشيخ محمد اليقوي إلى هذه الأمور في رده على أسئلة حول موضوع السلب والنهب، التي تعرضت لها مؤسسات ودوائر الدولة العراقية بعد سقوط النظام الدكتاتوري في العراق (٢٠٠٣م)؛ إذ قال: "ليس كل عمليات السلب والتخريب كانت عمليات شعبية، بل إن بعضها كان عبارة عن عملية منظمة لتخريب حضارة العراق، وسرقة ممتلكاته الثمينة، قامت بها جهات مدربة تتربص اللحظة المناسبة"^(٤).

ويضيف: "وأما ما قام به العامة من سلب و ونهب دوائر الدولة فله أكثر

(١) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٢) خطاب المرحلة، ج ٣، ص ١٢٩.

(٣) المكتب الاعلامي للمرجع الشيخ محمد اليقوي، نشرة الصادقين، ع ١٥، ٧٠/٥/٢٠٠٨م، ص ٢.

(٤) الشيخ محمد اليقوي، حوارات في الفكر الديني والسياسي، مصدر سبق ذكره، ص

من سبب: (١)

١- ثقافة متركزة في أذهانهم أن الأموال العامة هي ملك السلطة الحاكمة؛ ولذا فهم يرون أن شكلا من اشكال الصراع مع الحكومة يكون بسرقة المال العام، ولم يشعر المواطن يوما أن المال العام هو للدولة، وليس للحكومة، والدولة بكل مؤسساتها ملك الشعب.

٢- تخلي صناع القرار في الأمة عن دورهم في توجيه الناس، وردعهم عن الممارسات السيئة، لذا لما صدرت توجيهات المرجعية الدينية بحرمه سرقة المال العام، أظهر الشعب طاعة تامة، وأعادوا ما اخذوه من مؤسسات الدولة.

ولهذا فرق الشيخ محمد اليعقوبي بين الدولة والحكومة، وأن الدولة باقية، وثابتة عكس الحكومة، فهي متغيرة.

إن العلاقة التي يجب أن تكون بين أبناء الشعب ومؤسسات الدولة هي علاقة تكاملية، ومسؤولية تضامنية، وهذا ما أكده الشيخ محمد اليعقوبي في مناسبات كثيرة؛ فقد أكد "ضرورة أن تكون العلاقة بين الشعب ومؤسسات الدولة تكاملية والمسؤولية التضامنية، مبنية على الشفافية والثقة والمصادقية، والشعور بالمسؤولية، والانصاف، فإن هذه المؤسسات هي ملك للشعب، وتعمل في خدمته، لكنها قد تعجز عن أداء تمام وظائفها لقصور أو تقصير، وحينئذ ينبغي للشعب الواعي أن يهب لملى الفراغ". (٢)

(١) خطاب المرحلة، ج ٥، ص ١١٧.

(٢) المكتب الاعلامي للشيخ محمد اليعقوبي، نشرة الصادقين، ع ١٦٧،

ويضرب الشيخ محمد اليقوبي امثلة على هذه العلاقة بين الشعب والدولة، وهو ما قام به الحشد الشعبي من مساندة القوات الأمنية في دحر الارهاب، ودوره في حماية مؤسسات الدولة، والأمن العام، والأموال العامة؛ فهكذا ينبغي أن يكون الشعب صامدا في ساحات الإعمار والتنمية، والاصلاح على أن لا يعطي مسوغ لتقصير بعض المسؤولين في الحكومة، ومن أمثلة العلاقة التكاملية مبادرته التي أطلقها في اربعينية سيد الشهداء الامام الحسين (عليه السلام)، وهي طبع الكتب المدرسية، وتوزيعها مجانا على الطلبة وأطلق عليها (بسمة تلميذ).^(١)

ومما تجدر الإشارة إليه أن المرجعية الدينية تفرق بين الدولة والحكومة - كما اشرنا سابقا- فالحكومة: "هم الأشخاص الذين يديرون شؤون الدولة من رئيس الوزراء، والوزراء، ورؤساء الهيئات، ونحو ذلك ويعينون بحسب النظام السياسي المتبع في الدولة، هؤلاء يتغيرون، ويبدلون بانتخابات أو انقلاب، أو عزل، وغيرها" أما الدولة، فيعرفها الشيخ اليقوبي بأنها "مجموعة المؤسسات التي تحفظ مصالح البلد والشعب كالوزارات، والهيئات والدواوين، والأجهزة، وهذه المؤسسات باقية لا تندثر بتغيير الحكومات، وتتعرض للتعديلات، والتوسعة والتحسين بحسب تطور

188 الحاجة.

ثانياً: ضرورة وجود الدولة

أن لوجود الدولة ضرورات لا بد منها، لعل من أبرزها ما يأتي:

(١) المصدر نفسه، ذات الصفحة.

١- أن وجود الدولة ضرورة عقلائية يقتضيها النظام الاجتماعي الانساني، وهذا نراه واضحة من قيام الرسول الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بجعل خليفة له على المدينة المنورة من أصحابه إذا خرج إلى غزوة، بل انه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كان يقول: إذا خرجتم ثلاثة في سفر فأمرؤا أحدكم؛ من هنا فإن الشيخ محمد اليعقوبي يقول: "إن وجود قيادة للأمة ضرورة عقلائية يقتضيها النظام الاجتماعي الانساني"، ويضيف: "ولا شك أن القيادة لا بد أن تكون صالحة ولها شروط معينة؛ فالمشاركة في العملية السياسية الوسيلة المتيسرة لإيصال القيادة الصالحة إلى قمة المسؤولية".^(١)

٢- الضرورة الاجتماعية؛ إذ يقول الشيخ محمد اليعقوبي: "إن وجود الدولة ضرورة اجتماعية تقتضيها الفطرة الانسانية، التي جعلها الله تعالى في الانسان، والانسان بطبعه اجتماعي الفطرة، أي أنه لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخرين، وهذا قد يؤدي إلى التصارع فلا بد من وجود دولة وقانون ينظم العلاقة بين الناس، وإقامة العدالة في توزيع الثروات بين ابناء الشعب"^(٢)، قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)^(٣) ويضيف: أن الدولة خير من يقوم بهذه المهمات، والامور؛ فهي تصون الحقوق، والنظام، وتعاقب الذين يتجاوزون على حقوق الآخرين، والقوانين، وحماية أفراد المجتمع من الأخطار التي تحيط به سواء كانت داخلية، أو خارجية، والمحافظة على وحدة المجتمع من التفكك، والتشتت،

(١) خطاب المرحلة، ج ٨، ص ١٨٤.

(٢) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، النجف الاشرف، ٢٠١٧/١٢/٧ م.

(٣) سورة الروم الآية: ٣٠

وكذلك تنظيم جميع النشاطات الاجتماعية في جوانب الحياة كافة.^(١)

٣- الضرورة الدينية للدولة؛ ففي هذه الضرورة يتفق الشيخ محمد اليقوي مع السيد الشهيد محمد باقر الصدر أن الله استخلف الانسان في الأرض، وأمره بإصلاحها، قال تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)^(٢)، وأرسل الانبياء والرسل لإقامة العدل، والحياة الكريمة للبشر جميعا؛ فتيسر لبعض الأنبياء إقامة الدولة أو الاشراف عليها كما النبي سليمان (عليه السلام)، والرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله)، ومارست هذه الدول الدور السليم لقيادة المجتمع، وتحقيق العدل بين الناس.^(٣)

إن وجود مبدأ حفظ النظام الاجتماعي العام الذي اهتمت به كثير من الروايات والأحاديث الشريفة في أبواب الاراضي والمزارع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والطرق العامة، والثروات الطبيعية دليل على أن الاسلام دين دولة، وكرامة و وعدالة، ودين اعمار للحياة، وبناء المجتمع السليم، وليس دين انزواء وتقوقعونرى بعد ملاحظه احكامه انها تؤمن بكل أسباب اقامة الدولة الكريمة، والانسان الحر الصالح، قال تعالى: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)^(٤) وإزالة المعوقات جميعا، التي تمنع تحقق ذلك، فقال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)^(٥)، ويضيف:

(١) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد اليقوي، النجف الاشرف، ٢٠١٧/١٢/٧م.

(٢) سورة البقرة الآية : ٣٠.

(٣) مقابلة مع الشيخ محمد اليقوي، النجف الاشرف، ٢٠١٧/١٢/٢٥م.

(٤) سورة هود الآية: ٦١.

(٥) سورة الاسراء الآية: ٧٠.

”أن من أكبر المحرمات في الشريعة الإخلال بالنظام الاجتماعي العام، وأحداث الفوضى، وتخريب مؤسسات الدولة المدنية، والعسكرية والتسبب في قلق الناس ورعبهم وفقدان الأمن والاستقرار؛ لأن ذلك عدوانا على إرادة الشارع المقدس“^(١). ويذكر أن: ”الأئمة (عليه السلام) كانوا يثقفون اتباعهم على التفريق بين الدولة والسلطة؛ فإن رفض السلطة الظالمة لا يلزم منه الاعتداء على مؤسسات الدولة والتي تقدم خدماتها العامة للناس مثل التعليم، والصحة، وحماية الحدود الخارجية، والأمن الداخلي، ولم يرض الأئمة (عليه السلام) بالمساس بها“^(٢).

ثالثاً: الشخصية المعنوية للدولة

وتتمتع الدولة بالشخصية المعنوية، وقد أشار الشيخ محمد اليعقوبي في إحدى كلماته إلى ذلك؛ فيقول: ”هي ما يقابل الشخصية العينية المتجسدة خارجة بالشخص المعلوم، أما المعنوية في جهة أو كيان، أو تنظيم ومؤسسة، فوجودها في اعتبار العقلاء ويتقوم بعنوانها، لا بأشخاصها“، وأن هذه المؤسسات تمتلك ما يعود إليها من ممتلكات خاصة، أما الثروات الطبيعية، والأموال العامة، فهي ملك للشعب على أساس المواطنة بصرف النظر عن الجنس، أو الدين، أو العرق، ويقول: ”إن الدولة لا تملك هذه الأموال العامة، وإنما الشعب الموجود منه الآن، ومن سيوجد لاحقاً، لكن

(١) المكتب الاعلامي للمرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، نشرة الصادقين، ع ٧٢، ٣/٧/٢٠٠٨ م. ص ٤.

(٢) المصدر نفسه، ذات الصفحة.

للدولة الممثلة بالحكومة حق التصرف فيما تحت يدها على وفق الصلاحيات التي خولها الشعب لها، وعلى وفق قوانين بينها ممثلو الشعب على أن تكون هذه القوانين في مصلحة الشعب والدولة، فالإطار العام للتصرفات المأذون بها شرعا في الأموال العامة، ومؤسسات الدولة هو ما يندرج في حفظ النظام الاجتماعي العام، ورعاية مصالح العباد والبلاد".^(١)

رابعاً: الهدف من تشكيل الدولة

إن هدف الدولة هو إقامة العدل، وحماية افراد الشعب داخليا وخارجيا، وحماية الأموال العامة والخاصة، وتوفير الخدمات، والرفاهية للشعب، ورعاية طاقات افراد الشعب، ومعالجة مشاكل البطالة والتعامل بالعدالة بين افراده بصرف النظر عن اللغة، أو القومية، أو الجنس، وإنما معاملة الناس على اساس المواطنة، والانتماء للوطن، وهذا ما أراده الأئمة (عليهم السلام) من مشروع دولة الامام المهدي (عج) الذي ادخره الله تعالى لإقامة الحق والعدل، وأرساء قواعد الدولة الكريمة العامرة بالخيرات والبركة، وهذه الدولة الكريمة الطيبة لا تكون كذلك، إلا اذا سادها الاصلاح، والاعمار في المجالات العامة.^(٢)

إن المفكرين والباحثين يتحدثون عن هيكلية الدولة، فهم يقسمونها إلى سلطات ثلاث: التشريعية، والتنفيذية، والقضائية، وأن الدستور، والقوانين المنبثقة عنه تتكفل بيان جميع الصلاحيات لكل سلطة، ونظامها

(١) خطاب المرحلة، ج ٨، ص ٥٠١.

(٢) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ٢٥/٢/٢٠١٧ م.

الداخلي؛ إذ تنظم حياة الأمة بتكامل عمل هذه السلطات، وأضيفت سلطة رابعة وهي: الاعلام بعد تنامي قوته وتأثيره في حياة المجتمع البشري بوسائله المتقدمة، وهو مكمل لدور السلطات الثلاث السابقة، إلا أن البشرية اكتشفت أن هذه السلطات الأربع يمكن أن تنحرف بعيدا عن ارادتها، بل تصبح معادية للناس، والشواهد كثيرة على ذلك؛ فحتى الاعلام يتجه إلى التضليل، والتزوير، والكذب؛ ولذلك توجهت الأمم إلى إنشاء مؤسسات تمثل إرادتها، وتساهم في تحقيق الرفاه وهي مؤسسات المجتمع المدني التي نشطت في المدة الأخيرة^(١)، وقد أشار الشيخ محمد اليعقوبي إشارة واضحة إلى أن للدولة وظائف مهمة وجوهرية تقع على عاتقها، لعل من ابرز تلك الوظائف هي الوظائف السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية:

١- الوظيفة السياسية

وهي من الوظائف المهمة للدولة، ولعل في مقدمة هذه الوظائف هو المحافظة على أمن المواطنين داخل حدودها، ويتمثل في حماية افراد الشعب، وممتلكاتهم، وبث الطمأنينة والسلام، واحترام حقوقهم المشروعة، ومن الذي يقوم بهذه المهمة هي وزارة الداخلية، وبقية المؤسسات الأمنية المشتركة معها، وقد شدد الشيخ محمد اليعقوبي على هذه الفقرة منذ اللحظة الأولى بعد التغيير في عام (٢٠٠٣م)؛ إذ قال:

”ان الانتماء إلى هذه الاجهزة واجب على المؤمنين القادرين النزيبين المخلصين، ليحفظوا الأمن والنظام وليحموا الشعب من جرائم القتل

(١) خطاب المرحلة، ج ٤، ص ٦١.

والارهابيين والحاقدين، وليأمرُوا بالمعروف ولينها عن المنكر بمحاربة الفساد والانحراف والعصيان العلني للشريعة المقدسة"^(١)

بل إن الشيخ اليقوي أوجب على الشعب احتضان هذه الأجهزة، وتقديم الدعم لها فإن الأجهزة الأمنية مهما كثر عددها لاتستطيع وحدها أن تحفظ الأمن والاستقرار، والنظام اذا لم يشارك جميع افراد الشعب بهذه المهمة؛ ففي بعض الدول كهولندا يسمون المتقاعدين حراس الوطن، فهم يستغلون أوقات فراغهم في مساعدة الاجهزة الامنية بتزويدها بالمعلومات اللازمة لمنع وقوع الجرائم، والمساعدة في القاء القبض على المجرمين.^(٢)

هذا في الأمن الداخلي، أما على الصعيد الخارجي، فان الدولة تقوم بوظيفة الدفاع عن نفسها، والرد على اي عدوان خارجي يقع على حدودها، وحماية استقلالها وسيادتها، وهذا ما تقوم به وزارة الدفاع، وقد استنكر الشيخ محمد اليقوي قيام قوات الاحتلال من حل وزارة الدفاع في عام (٢٠٠٣م) ونادي بكلماته وخطاباته بتشكيل هذه الوزارة الحيوية السيادية خصوصا في صلاة الجمعة، التي أقيمت وسط بغداد في ساحة الفردوس عام (٢٠٠٤م)؛ لأنها تحفظ أمن البلاد، والعباد.^(٣)

وكذلك من وظائف الدولة السياسية علاقة الدولة بالدول الأخرى،

التي تحفظ للدولة سيادتها واستقلالها كالتفاوض، وابرام الاتفاقيات

(١) المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٧.

(٣) خطاب المرحلة، ج ٥، ص ٣٧.

والمعاهدات، والمعاونة عليها، وهي ما تقوم به وزارة الخارجية^(١) (٢).

٢- الوظيفة الإجتماعية

وإن من وظائف الدولة الاهتمام بالمجتمع، وإقامة العدالة بين افراده، فضلا عن إصلاحه عن طريق تدخلها مع الاحتفاظ بالقيم السامية كالدين، والأسرة، وتحقيق الرفاه الاجتماعي للمواطن، وتقديم الخدمات التعليم والرعاية الصحية، ومساعدة المرضى والعاجزين وتقديم الدعم المادي والمعنوي للطلبة، وقد اشار الشيخ محمد يعقوبي إلى منحة طلبة الكليات والمعاهد الشهرية، التي تلكتها الحكومة في تنفيذها، ويضيف كذلك مهمات تقع على عاتق الدولة، ومنها الضمان الاجتماعي كالمأكل والمشرب، والملبس، والتعليم، والصحة، والنقل، وتوفير المسكن الملائم للمواطنين، وتقديم الرعاية الصحية الخاصة للمرضى والعاجزين، ومعاملة افراد المجتمع على وفق المواطنة، فضلا عن توفير العمل المناسب، وتوجيه الناس اليه، والقضاء على البطالة، وغيرها من الاعمال الأخرى^(٣) (٤).

(١) مقابلة مع هاشم الهامشي الأمين العام السابق لحزب الفضيلة الإسلامي، بغداد، ٢٠١٨/١/٥

م.

(٢) بنقل: ثائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي

اليعقوبي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٤٣٨.

(٣) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي، النجف الاشرف، ٢٥/١٢/٢٠١٧م.

(٤) بنقل: ثائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي

اليعقوبي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٤٤٠.

٣- الوظيفة الاقتصادية

وجوب الاستقلال الاقتصادي للدولة؛ حتى تستطيع أن تؤدي وظائفها على أحسن وجه، فإن التبعية الاقتصادية للبنوك والمصارف العالمية تجعل الدولة ضعيفة، وخاضعة لسياسات هذه المؤسسات العالمية، فيقول الشيخ محمد اليعقوبي:

”نحن نواجه اليوم خطة محبوكة و مبرمجة لربط الاقتصاد العراقي بالنظام العالمي الجديد الذي وضعه الغرب ؛ ليجعل العالم يدور في فلك مصالحه، وسلب قدرته على التخطيط لنفسه، فيحيطونه بنيران الديون، والفوائد والقوانين الصارمة بحيث لا يستطيع الخلاص منها، ولا يملك الا الاستسلام لإملاءاتهم، فتفقد الدول استقلالها السياسي بسبب خضوعها الاقتصادي“^(١)

وقد وضع الشيخ اليعقوبي عدة ملاحظات حول مشروع هيكلية الشركات الصناعية العامة فان هذا المشروع سيؤدي إلى بيع الشركات المرتبطة بالحكومة، وجعلها شركات مختلطة مساهمة أو خاصة، وأن اجهزتها تقدر بالمليارات والتي تباع بثمن بخس، ويستحوذ عليها كبار الفاسدين في الدولة أو غيرهم، والملاحظ أن كثير من هذه الشركات هي منتجة ويضيف أن العيب ليس فيها، بل في سوء إدارة الحكومات المتعاقبة، وولاء القائمين عليها إلى ما وراء الحدود، وينتقد بعض وزارات الدولة، مثل: التربية التي تستورد الكتب، ومطابع الدولة معطلة، وكذلك التجارة

(١) خطاب المرحلة، ج ٣، ص ١٦٩.

التي تستورد ملايين الأطنان من الحبوب وفي الوقت نفسه يتلف عندها مئات الآلاف من اطنان الحبوب؛ فهذا تخريب لاقتصاد البلد، وسرقة لأمواله، وعدم تفعيل الوظيفة الاقتصادية للدولة.^(١)

ويقول الشيخ محمد اليقوبي: أن الدولة العراقية تتعرض لعملية سرقة منظمة واسعة النطاق لا تبقي ولا تذر شيئاً مما تصل أيدي المفسدين كالذي حصل بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ١٩٩١م. والوضع في العراق اسوء واخطر؛ لان الفوضى عارمة، ولا توجد إدارة صالحة لإدارة مؤسسات الدولة، وصرف المال العام، ولا جدية في محاسبة رؤساء الفساد والخراب^(٢).

إن المرجعية الدينية هي صمام امان للجميع، وهي تضع الحلول، وتقدم النصيحة للسياسين؛ وغيرهم فترى الشيخ محمد اليقوبي حين ارادت الحكومة بيع معمل البتروكيمياويات في البصرة، تدخل بشكل مباشر لانقاذ هذا الرمز الوطني، الذي يسد احتياجات البلد من مواد كيمياوية صناعية كثيرة، وأن مثل هذا القرار سيفرط بهذا الانتاج الوطني، وبكوادره الفنية^(٣)؛ ولما تقدم فإن المرجعية تبصر ابناء الشعب بالطريقة التي تضمن حقوقهم، ومصالحهم، وتقوم بمطالبة الحكومة بالرفق بالشعب، والشفقة عليه وخدمته،

(١) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٢٣٣.

(٢) المكتب الاعلامي للمرجع الديني الشيخ محمد اليقوبي، نشرة الصادقين، ع ١٩، ٢٠١٥/٢/١٤٦، ص ١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣.

وتحري افضل المصالح لهم^(١) .^(٢)

خامساً: عناصر وأركان الدولة

لا يمكن تجاهل حقيقة وهي أن الحديث عن الدولة هو حديث عن عناصر وأركان لا بد من تواجدها، وفي حالة غياب عنصر واحد، تفقد هذه الدولة أو تلك صفة الدولة على وفق المفهوم السياسي الحديث؛ لذا نجد الشيخ محمد اليقوبي يحدد أركان الدولة كما هي محددة في الفكر السياسي، إلا أنه ينظر إليها على وفق الرؤية الإسلامية:

١- الوطن

وهو من العناصر المهمة في الدولة، وقد أكد الرسول الكريم (ﷺ) والأئمة (عليهم السلام) على حب الوطن، وقد استمرت المرجعية الدينية على نهج أهل البيت (عليهم السلام)؛ فقد أكدت على حب الوطن، والانتماء إليه في قلوب، وعقول الناس، والوقوف والتصدي لأي شخص يريد تذويب الروح الوطنية حيث قال الشيخ محمد اليقوبي: "يجب أن نكون واعين ويقظين لمحاولات استلاب حب الوطن منا، وإبراز الانتماءات والولاءات الدينية، والعرقية، والقومية، والعشائرية لمسخ الهوية الوطنية، واشغال الشعب بهذه الصراعات الهامشية، وخلق حالة من التفتت والانقسام؛ ليسهل السيطرة على

(١) خطاب المرحلة، ج ٩، ص ٢٣٥.

(٢) بنقل: ثائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي اليقوبي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٤٤١.

الشعب، وسوقهم إلى تحقيق المصالح الشخصية لهؤلاء الزعماء^(١). وفي رد الشيخ محمد اليعقوبي على السؤال الذي وجهه الباحث له، وهو وجود رأي لبعض المفكرين والباحثين الإسلاميين لا يقبلون بوجود الحدود الجغرافية، قال الشيخ محمد اليعقوبي: "هذا الكلام لا يقبله العقل السليم إذ لا بد من وجود وطن؛ تقام عليه الدولة، له حدود معينة، تبسط هذه الدولة سيادتها عليه، وتقدم خدماتها للأفراد، وتحفظ أمنهم الداخلي والخارجي، ويشير الشيخ محمد اليعقوبي إلى أن الانتماء الديني، أو المذهبي، أو القومي لا يكون لأغيا للانتماء الوطني؛ لأن الدين لا يقوم إلا بوطن، ويستشهد الشيخ محمد اليعقوبي ما مر بالدين الإسلامي في بداية الدعوة الإسلامية؛ إذ عندما كان المسلمون في مكة وهم من دون وطن كانوا مستضعفين، ومعدبين، ومحرومين، قال تعالى: (تَخَافُونَ أَنَّ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ)^(٢)، وحين هاجر الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى مدينة يثرب، وأصبح للإسلام وطن، قامت للإسلام دولة، وكيان، وبسط جناحيه على الجزيرة العربية كلها، واتجه إلى شرق الأرض وغربها.^(٣) ويضيف الشيخ محمد اليعقوبي: "إن الانتماء للوطن أو الدولة لا

(١) المكتب الاعلامي للمرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، نشرة الصادقين، ع ١٦٥، ١٠/٢٠١٦م، ص ٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٦.

(٣) المكتب الاعلامي للمرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، نشرة الصادقين، ع ١٦٥، ١٠/٢٠١٦م، ص ٤.

ينافي الانتماء للدين^(١)، بل إنه يرى أن هذا الانتماء يعزز الدين، ويرسخه، وقد وردت احاديث و روايات شريفة في هذا الصدد، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (غمرت البلدان بحب الأوطان) وروي عنه (عليه السلام): (من كرم المرء حينه إلى الأوطان)^(٢)، وروي عنه (عليه السلام): (من كرم المرء حينه إلى الأوطان)^(٣) وقال (عليه السلام): (حب الوطن من الايمان)^(٤)، إن حب الوطن أمر فطري يعيش في وجدان الحيوانات فكيف في الإنسان الذي يملك العقل، فالذي لا وطن له يذوب في غيره، و تمسخ هويته وانتكاس فطرته وتجرده عن المبادئ والقيم بتخليه عن حب الوطن، وخدمة شعبه^(٥)، وخير شاهد على حب الوطن ما قام به الشباب الرسالي المملوء بحب وطنهم وشعبهم من دون أي تفریق بين انتماءاتهم من الدفاع عن وطنهم وأبنائه؛ إذ كانت التضحيات والشجاعة التي قدموها السد المنيع الذي حال دون أن تنهار الأمة^(٦). ولا بد من الإشارة إلى أن الشيخ محمد اليعقوبي يختلف مع السيد الشهيد محمد باقر الصدر حول عنصر الاقليم؛ إذ لم يحدد سماحته قدس الله نفسه مساحة خاصة كإقليم الدولة وترك الأمر مفتوح متحركاً كحركة

(١) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، النجف الاشرف، ٩-١-٢٠١٨م.

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج ٧٥، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٤٥.

(٣) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، ٩-١-٢٠١٨م.

(٤) محمد بن الحسن الحر العاملي، أمل الآمال، القسم الأول، ت احمد الحسيني، مركز تحقيقات كابتورا علوم اسلامي، د.ط، دن، ص ١١.

(٥) المكتب الاعلامي للمرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، نشرة الصادقين، ع ١٦٥،

النجف الاشرف، ١/١٠/٢٠١٦م، ص ٤.

(٦) خطاب المرحلة، ج ٩، ص ٢٩٨.

العقيدة^(١) في حين أكد الشيخ محمد اليعقوبي ضرورة وجود عنصر الوطن بوصفه عنصراً أساسياً من عناصر الدولة، فلا بد من وجود وطن^(٢) لإقامة الدولة - كما اشرنا سابقاً إلى قيام الرسول محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بإقامة دولته الإسلامية في المدينة المنورة ولم يقيمها في مكة المكرمة.^(٣)

٢- الأمة

يعرف الشيخ محمد اليعقوبي الأمة: "هي الجماعة التي يجمعها أمر مشترك به، ويكون محور اجتماعها ومحط انظارها، لا يكتب لها البقاء والاستمرار إلا اذا حصنت نفسها بالتدابير اللازمة من الداخل والخارج ضد الأعداء الذين يريدون القضاء عليها؛ بتفكيكها وتمزيقها، واضعافها من الداخل، أو استئصالها، والقضاء عليها من الخارج."^(٤)

لقد أراد الله تعالى للأمة الإسلامية أن تكون خير أمة أخرجت للناس كما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)^(٥)، وأن تكون هذه الأمة وارثة الأمم السابقة، والمستخلفة في الأرض، قال تعالى: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى

(١) نقلاً عن بتول حسين، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٧.

(٢) بنقل: ثائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسى اليعقوبي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٤٤٤.

(٣) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، النجف الاشرف، ٩-١-٢٠١٨م.

(٤) خطاب المرحلة، ج ٨، ص ١٠٦.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَّةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ^(١)، ويضيف الشيخ محمد اليعقوبي: "لا بد من اتخاذ التدابير اللازمة لحفظ كيائها من الداخل.. بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". وشرع الشارع فريضة الجهاد الحماية الأمة، ودولتها من الخارج^(٢)، ويقترب الشيخ محمد اليعقوبي مع السيد الطباطبائي حول تعريف الأمة، إذ يقول السيد الطباطبائي في تعريفها: "جماعة يجمعها مقصد واحد"^{(٣) (٤)}.

٣- السلطة

لا بد من وجود حكومة تدير شؤون الدولة، والشعب، وهذه السلطة قد تكون تنفيذية، أو تشريعية، أو قضائية، فالسلطة هي وسيلة، وليست غاية كما يفهمها المتصارعون على الدنيا، فهي وسيلة لإحقاق الحق، وازهاق الباطل، وبسط العدل بين الناس^(٥) وقد تم بحث الموضوع بشكل مفصل في المبحث الأول من هذا الفصل^(٦).

(١) سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٢) خطاب المرحلة، ج ٨، ص ١٠٧.

(٣) نقلا عن بتول حسين، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٠.

(٤) بنقل: ثائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي

اليعقوبي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٤٤٨.

(٥) خطاب المرحلة، ج ٩، ص ٢٢٨.

(٦) بنقل: ثائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي

اليعقوبي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٤٥٠.

٤-السيادة

وهي من أهم أركان الدولة - كما يراها الشيخ محمد يعقوبي - وتعني السيادة الإرادة والتنفيذ، وهي أن تكون للدولة الكلمة العليا التي لا تعلوها أي سلطة أو هيئة، ويضيف الشيخ محمد يعقوبي أن السيادة في الدولة أصيلة، وهي التي تميز الدول من غيرها من الجماعات، والحركات السياسية الاخرى، وتتميز السيادة بعدة مميزات، يمكن اجمالها:^(١)

أ- شاملة، وتعني أنها تشمل جميع مواطني الدولة.

ب- لا يمكن التنازل عنها لأي سبب كان.

ت- لا تتجزأ، وهذا يعني أن السيادة واحدة للدولة، ولا يمكن تجزئتها.

ث - دائمة، أي: أنها دائمة، مادامت الدولة موجودة.

ويضيف الشيخ محمد يعقوبي أن للسيادة مظهرين:

١- المظهر الداخلي، أي: أن الدولة تبسط سيادتها على داخل حدودها، وإقليمها.

٢- المظهر الخارجي، أي: أن الدولة مستقلة، وغير خاضعة للدولة أو عدة دول اخرى^(٢)؛ ولذلك يرفض الشيخ محمد يعقوبي ما جرى على العراق بعد العام (٢٠٠٣م)؛ إذ يقول: "أنا أرفض الاحتلال جملة وتفصيلا ويشاركني في هذا الموقف كل شريف... وبالرغم من الظروف التي مرت

(١) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي، ٢٥-١٢-٢٠١٧م.

(٢) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي، النجف الاشرف، ٩-١-٢٠١٨م.

بنا فإننا لم نرحب بالقوات الغازية".^(١)

ويضع الشيخ محمد العقبوي عدة خطوات تمنع والحرب الأهلية في العراق، ومن أهم هذه الخطوات: "إنهاء حالة الاحتلال، واقتصار الجهد الدولي على المساعدة بالمقدار الذي يحتاجه العراقيون من دول العالم، فإن العراق بحاجة كبيرة إلى المساعدة لكي يداوي جراحه، ويبنى مؤسساته، وينهض من الكارثة التي حلت به منذ عقود، ويقف على قدميه من جديد"^(٢).

فيرى الشيخ محمد العقبوي أن الاحتلال يسلب الدولة العراقية السيادة الوطنية، ويجعل الدولة ضعيفة؛ حتى إنه يقول: نحن مبتلون بالاحتلال، وانجاح العملية السياسية، وتشكيل حكومة قوية مقدمة لطرد الاحتلال، وسلب الذرائع لوجوده، فوجوب المشاركة في العملية السياسية مترشح من وجوب نتائجها، وهي طرد الاحتلال".^(٣)

وقد ذكرنا في الفصل الأول من الدراسة أن الشيخ محمد العقبوي كان من المبادرين إلى تقديم مشروع الحكومة الانتقالية في العراق قبل تأسيس مجلس الحكم؛ لإعادة السيادة كاملة للعراقيين، وإنهاء حالة الاحتلال، وكذلك المطالبة بتشكيل وزارة الدفاع التي دعا إليها في خطبة الجمعة في ساحة الفردوس وسط بغداد في (آذار ٢٠٠٤م)؛ لما لهذه الوزارة من

(١) الشيخ محمد العقبوي، حوارات في الفكر الديني والسياسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٥.

(٢) المكتب الاعلامي للمرجع الشيخ محمد العقبوي، نشرة الصادقين، ع ٥١، ٥/١٢/٢٠٠٦م.

(٣) خطاب المرحلة، ج ٤، ص ١٨٥.

الأهمية في حماية أمن البلاد، وإنهاء أي ذريعة من وجود الاحتلال.^(١)
 نستنتج مما سبق أن الشيخ محمد اليقوي ينظر للسيادة بوصفها ركنا
 اساسيا من اركان الدولة، التي تقوم عليه، وأي تدخل خارجي كالاحتلال
 العسكري، أو غيره يجعل الدولة ناقصة السيادة.

ويرى الشيخ محمد اليقوي، فضلا عن تحدي وجود الاحتلال، الذي
 لا يقتصر على الاحتلال العسكري، وإنما هذه القوات هي أداة ووسيلة
 لفرض واقع جديد، له عدة ابعاد، منها الهيمنة على القرار السياسي، ودمج
 العراق في نظامهم العالمي الجديد، ويضيف الشيخ محمد اليقوي: "تبعية
 الاقتصاد لنظامهم الحر كما يصفون والاستحواذ على خيراته، والافساد
 الاخلاقي، وتبديل الثقافة والتقاليد"^(٢)، والتحدي الأخطر الذي يصفه الشيخ
 محمد اليقوي هو تبعية أغلب الطبقة الحاكمة لأجندات اجنبية، ينفذونها
 على حساب العراق، ومصالح شعبه؛ إما لأنه يعتقد أن هذه الدولة الأجنبية
 تحميه، وتدعمه، أو لأن كثيرة منهم كانوا يعاشون في خارج العراق على
 مساعدات هذه الدول، ويحمل بعضهم جنسية دولة أجنبية، وهو يدين لهذه
 الدول، حتي وان كان في أعلى المواقع في قيادة البلاد^(٣)، ونود ان نشير إلى
 أن بعض الباحثين لا يميزون بين السلطة والسيادة، وعدهما مفهوما

(١) للمزيد ينظر الشيخ محمد اليقوي، حوارات من الفكر الديني والسياسي، مصدر سبق
 ذكره، ص ١٤٣.

(٢) خطاب المرحلة، ج ٩، ص ٣٥٦.

(٣) المكتب الاعلامي للمرجع الشيخ محمد اليقوي، نشرة الصادقين، ع ٤، ١٥٤/٩/٢٠١٥م،

واحداً^(١)، فضلاً عن نظربعض الباحثين إلى أن عناصر الدولة الإسلامية تتمثل بـ (الشعب، والحكومة، والقانون)^(٢) خلافا لعناصر الدولة المعروفة (الشعب، والاقليم، والسلطة والسيادة)، وعن شكل الدولة من حيث كونها مركزية أم فيدرالية أم كونفدرالية، يوضح الشيخ محمد اليقوبي موقفه من الفيدرالية؛ كون العراق دولة فيدرالية - كما أشار إلى ذلك دستور (٢٠٠٥م) الدائم - إذ إن للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها المفكرون والعلماء تأثير كبيرة في آرائهم سواء كانت السياسية أم الثقافية أم الاجتماعية، وهذا ما نراه حين نتصفح آراء الشيخ محمد اليقوبي في الدولة، والسلطة، وغيرها؛ فهو يركز اهتمامه على العراق وشعبه، ومجمل العملية السياسية، التي جرت بعد عام (٢٠٠٣م)، ولاسيما بعد صدور الدستور الدائم لعام (٢٠٠٥م)؛ إذ أشار الدستور في المادة الأولى منه إلى أن: (جمهورية العراق دولة اتحادية واحدة مستقلة ذات سيادة كاملة، نظام الحكم فيها جمهوري نيابي برلماني) ديمقراطي، وهذا الدستور ضامن لوحدة العراق.^(٣)

أشارت هذه المادة إلى أن العراق هو دولة اتحادية فدرالية وفي مواد الدستور يحق لمحافظة أو أكثر من تشكيل اقليم خاص بها، وكذلك عند مراجعة قانون المرحلة الانتقالية؛ فقد اشارت بعض موادها إلى الفدرالية، وقد اعترض الشيخ محمد في اليقوبي على قانون المرحلة الانتقالية؛ لما فيه

(١) للمزيد ينظر خليل الربيعي، مصدر سبق ذكره، صص ٥١-٦٦.

(٢) محمد معروف الدواليبي، الدولة والسلطة في الاسلام، د ط، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨٢م، ص ١٥.

(٣) الدائرة الاعلامية لمجلس النواب العراقي، الدستور، ط، بغداد، ٢٠١٣، ص ٩.

من الثغرات الكبيرة، ومنها أن الحكم في العراق فدرالي، ولم يوضح الدستور معنى الفدرالية؛ فان لها انواع مختلفة بعض منها مقبولة لدى الشعب العراقي، مثل: منح ادارة لا مركزية للمحافظات، وبعضها الآخر غير مقبول كالفيدرالية السياسية المبنية على اساس عرقي أو طائفي.^(١)

لقد كان للشيخ محمد اليعقوبي دور في تثبيت حق الفدرالية في الدستور العراقي لعام (٢٠٠٥م)، وقد بين ذلك حين استقبل نائب رئيس البرلمان، والوفد المرافق له، والذين بدورهم بينوا مسوغات مشروع فيدرالية الاقاليم؛ فقد تحدث الشيخ محمد اليعقوبي، وذكرهم بإصراره على تثبيت هذا الحق في الدستور، وتهديده بأفشال التصويت على الدستور اذا لم يتضمن الفدرالية؛ حرصا على مستقبل هذا الشعب المضطهد^(٢)، إلا أن هناك عدة سلوكيات قامت بها الأحزاب المتصدية للسلطة، ومنها عدم سعيها الجاد لإنجاح كل الحكومات المحلية، فضلا عن الخلافات والصراعات التي تحدث بين الحين والآخر، وفشلها في الوفاء بوعودها لأبناء الشعب، وغيرها من الأمور كل هذه العوامل جعلت مشروع فدرالية الاقاليم غير مجد في الوقت الحاضر، بل يرى الشيخ محمد اليعقوبي أنه يتضمن اخطارا حقيقية.^(٣)

207 وقد اكد الشيخ محمد اليعقوبي في عدة بيانات وتوجيهات في هذا الموضوع، وفي معرض رده على سؤال وجه له في موضوع الفيدرالية قال

(١) خطاب المرحلة، ج ٣، ص ٢٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٢٢.

(٣) خطاب المرحلة، ج ٤، ص ٣٣٤.

الشيخ محمد اليعقوبي:

"إن الفيدرالية ليست مطلب لنا؛ فنحن نريد عراقا موحدًا، وحكومة مركزية فاعلة في ممارسة الصلاحيات الموكولة اليها في الدستور، مع إعطاء إدارة لا مركزية بصلاحيات واضحة وواسعة (في الدستور أيضا) للحكومات المحلية في المحافظات، وأن تقدم الحكومة المركزية على ما يساهم في انجاح و تقوية الحكومات المحلية".^(١)

واشرنا فيما سبق إلى أن الشيخ محمد اليعقوبي بري تثبت الفيدرالية حق لمحافظة أو أكثر متى شاءت، ووجدت في نفسها الامكانية على تشكيل الاقاليم؛ لأن الفيدرالية يمكن أن تكون حلا لبعض المشاكل؛ فنستنتج أن الشيخ محمد اليعقوبي أراد وضع الفيدرالية في الدستور كحق ممكن أن يطبق فيما لو تحققت القدرة والشروط في بعض المحافظات، وأن الشيخ محمد اليعقوبي يري: "أن الحل بانخراط الجميع في مشروع وطني يتسامي عن الانتماءات الطائفية والعرقية مع احتفاظ كل مكون اجتماعي بخصوصياته، ويكون هذا المشروع كفيل ببناء مؤسسات دولة قوية مستندة إلى هيبة القانون".^(٢)

ويستشهد الشيخ محمد اليعقوبي لهذه الدولة القوية ما حصل لأكراد شمال العراق حين اكتشفوا حاجتهم إلى وقفة قوية من الحكومة المركزية عندما تصاعدت التهديدات التركية، وأن ليس من مصلحة العراق وشعبه

(١) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٨

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٥.

اضعاف الحكومة المركزية.^(١)

ومما تقدم يتبين لنا أن الشيخ محمد اليعقوبي لم يكن يدعو إلى اقامة حكومة دينية، أو حكم ولاية الفقيه، وقد اشرنا في مبحث السلطة إلى الموانع التي تمنع اقامة الولاية العامة للفقيه في العراق، وقد أشار الشيخ محمد اليعقوبي في رده على أسئلة صحيفة نيوز ويك الامريكية عن نظام الحكم الذي ينبغي أن يسود العراق فقال:

"أن نظام الحكم الذي ينبغي أن يسود العراق هو النظام الذي يحترم ارادة الانسان، ويعطيه الحرية الكاملة لاختيار من يحكمه، وشكل الدولة التي يريدونها والدستور الذي ينظم عمل مؤسساته، والحقوق والواجبات للفرد والدولة.... وان كثير من الأنظمة السائدة في الدول الديمقراطية مناسبة للعراق بعد التعديل في تفاصيلها بالشكل الذي يناسب ثقافة واخلاق و تقاليد الشعب العراقي".^(٢)

اما فيما يخص إنشاء حكومة دينية، تحكم على حكم الشريعة في العراق فقد أجاب الشيخ محمد اليعقوبي برواية عن الامام الرضا (عليه السلام)، حيث قال: (إنما يحتاج الناس من الأمراء عدلهم)؛ فالتسميات، والشعارات المرفوعة باسم الدين لا يهتم بها، لأنها أضرت بالدين، ويقول الشيخ محمد اليعقوبي:

"إنما المطلوب وجود نظام حكم وفق أسس وضع تفاصيلها أمير

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٣٦. تاريخ اللقاء ٢٤/٦/٢٠٠٦.

(٢) الشيخ محمد اليعقوبي، حوارات في الفكر الديني والسياسي، مصدر سبق ذكره، ص

المؤمنين (عليه السلام) في عهده الخالد، الذي كتبه لصاحبه مالك الأشتر لما ولاه مصر، أما هذه المصطلحات الحكومة الدينية، ونحوها، فهي مستحدثة ولا اصل لها، ونحن إنما آمننا بالدين، واتبعناه في حياتنا؛ فلأننا رأيناه يحرر الانسان من عبودية الانسان، وطاعة الشهوات؛ ولأنه ينظم حياتنا بالشكل الذي يحقق لنا السعادة والأمن، واعداد الحياة، ونحن مع أي نظام يحقق لنا هذه الأهداف".^(١)

إن المتتبع لأفكار وخطابات الشيخ محمد اليعقوبي يراه يقدم الأطروحات والتوجيهات والمقترحات لمعالجة الأزمات، التي تواجه العملية السياسية في العراق بعد العام (٢٠٠٣م)، ولا سيما في مجال السلطة، والدولة، فإن له رؤية حول تقويم وحل المشاكل، التي تعرقل العملية السياسية وذلك من خلال عاملين:^(٢)

١- عامل مساعد لتقريب وجهات النظر بين الفرقاء، وتعزيز الثقة، ورفع الحواجز، والوصول إلى مشروع وطني مشترك؛ وهذا ما تقوم به بعثة الأمم المتحدة وتنضم إليها جهود الجامعة العربية.

٢- عامل ضاغط؛ لأن الكتل والأحزاب السياسية المتأثرة بالسلطة والحكم تتصرف باللامبالاة إزاء الكوارث، التي تواجه العراق والعراقيين؛ ففتحناج إلى عامل ضاغط لدفع هذه القوى نحو طاولة الحوار؛ سعياً وراء إيجاد حل حقيقي، ولا اعني بهذا العامل الولايات المتحدة الأميركية، وإنما

(١) خطاب المرحلة، ج ٥، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٢. لقاء مبعوث الأمم المتحدة دي مستورا بالمرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي في النجف الاشرف بتاريخ ١١/٣/٢٠٠٨م.

أعني: خلق أوضاع سياسية، وتحالفات، واصطفافات وطنية تدفع الجميع إلى الرضوخ لقبول الحل الوطني الشامل.

ولم يكتف الشيخ محمد يعقوبي بهذه الحلول، بل قدم النصيحة للمبعوث الأممي؛ إذ قال له: "أن نجاحكم في عملكم يحتاج إلى صفتين رئيسيتين وهما^(١).

١- الموضوعية، والحيادية، والمهنية.

٢- الشجاعة، والحزم في تنفيذ ما تقتضيه المهنة.

ومن المشاريع والتوجيهات التي طرحها الشيخ محمد يعقوبي ما طرحه حول المفتشين العامين، وديوان الرقابة المالية، وهيئة النزاهة، وقد وضع الشيخ محمد يعقوبي عدة أسباب لفشل هذه المؤسسات منها تنظيمي وإداري؛ فالمفتش العام في الوزارة يرتبط بالوزير، ومن صلاحيات الوزير تقديم طلب بعزله؛ فكيف يراقب عمل الوزارة والوزير؟ ومنها سياسي، وهو الأصل في المشكلة؛ لأن أغلب هؤلاء لا يستطيعون الخروج عن هيمنة رؤساء الكتل السياسية الفاعلة؛ ومن ثم لا يقومون بوظيفتهم على الوجه الصحيح^(٢)، ووضع الشيخ محمد يعقوبي بعض الحلول المعالجة هذه الظاهرة^(٣):

١- جعل المفتش العام في الوزارة مستقلاً عنها ويؤسس ديوان التفتيش

(١) خطاب المرحلة، ج ٥، ص ٣٠٢.

(٢) المكتب الاعلامي للمرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي، نشرة الصادقين، ع ١١، ٦/٧١، ٢٠٠٨م، ص ١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١-٢.

العام.

٢- يكون رئيس هذا الديوان بدرجة وزير، والمفتش العام في الوزارة بدرجة وكيل وزير.

٣- تشجيع الاشخاص المستقلين عن الحكومة عن طريق الأحزاب والفعاليات السياسية على المشاركة في الحكومة.

ويضيف الشيخ محمد اليعقوبي بمهمة تحقق النتائج على الاجراءات المتقدمة منها:

- اكمال العملية الديمقراطية بوجود معارضة ايجابية فاعلة، تمارس دورها في تقويم المسيرة وتقديم الحلول.

- مصداقية مؤسسات الرقابة، والتفتيش، وصيانة المال العام.

- تخفيف الاحتقان السياسي، الناشئ بسبب الاقصاء والتهميش.

ومما سبق يتضح أن الدولة واهمية وجودها في الفكر السياسي الاسلامي وهي ضرورة يقتضيها الاجتماع البشري، وهي استجابة للفطرة الإنسانية، التي تنبثق من طبيعة الشريعة الإسلامية، ولا يختلف رأي الشيخ محمد اليعقوبي عن ذلك، بل يؤكد ايضا اهميتها، وضرورة التفريق بينها، وبين السلطة الحاكمة فاذا ما كانت السلطة ظالمة - مثلا - لا يعني مقاطعة

الدولة، ومؤسساتها تحت هذه الحجة، بل العكس ضرورة دعم الدولة،

ومؤسساتها؛ لأن السلطات زائلة، والدول والمؤسسات، باقية واذا ما كانت السلطات مرتبطة بالحاكم، وسلطانه، فان الدولة ومؤسساتها مرتبطة بحياة الناس، واحتياجهم التنظيمية، والخدمية.

وبعد التعرف على أهم موضوعات السياسة، ألا وهي السلطة، والدولة،

وما يتمخض عنهما على وفق الرؤية الفكرية للشيخ محمد اليعقوبي لابد لنا -ايضا- من متابعة موقفه من أهم المفاهيم السياسية، ولاسيما مفهوم الديمقراطية، ومفهوم الحقوق والحريات، وهذا ما سنبحثه في الفصل القادم من الدراسة.^(١)

المطلب الثالث: الحقوق عند المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي

الحق في اللغة هو الشيء الثابت دون ريب، وهو النصيب الواجب سواء كان للفرد أو للجماعة. ويعرف الحق بأنه ما قيم على العدالة والإنصاف ومبادئ الأخلاق. والحق في الشريعة الإسلامية لفظ يشير إلى الله وهو اسم من أسمائه الحسنی. وفي تحليل علاقة الإسلام بمفهوم حقوق الإنسان، فينبغي أن نعلم أن الإسلام كعقيدة وردت في مصدرين شريفيين وهما القرآن الكريم والسنة الشريفة.

تقوم العقيدة الإسلامية على مبدأ وحدة الجنس البشري^(٢). وأن الاختلاف بين البشر سواء في الأرزاق أو مصادر الدخل أو الأعمار أو الألوان أو الأعراق إنما يهدف إلى إعمار الكون في إطار من التعايش والتعاون والتكامل، وتتضح هذه الحقائق بلا لبس أو شك عند إلقاء نظرة على بعض الآيات القرآنية الكريمة.

(١) تائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي اليعقوبي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٤٦٥.

(٢) ويؤكد الإسلام أيضا على مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة. الإسلام جعل القاعدة الأساسية هي المساواة مع الاستثناء المحدود وهو وجود فوارق لصالح الرجل وأحيانا المرأة وفقا لاختلاف الطبيعة الجسدية والظروف الاجتماعية ومسؤولية كل منهما في الأسرة.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)^(١).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^(٢).

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَالِدَاتِ لِقَوْلِ رَبِّهِنَّ الْغُلَامَ لَبَنٌ أَمْ لَبَنٌ حَالِبٌ وَالرِّجَالُ لِبَعْضِ الْأُمَمِ سَاكِنُونَ)^(٣).

ويؤكد الإسلام على الحرية التامة للإنسان طبقاً للعقيدة. ويتضح ذلك في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ)^(٤) ومن الواضح أن الأساس الفلسفي الذي قام عليه مفهوم حقوق الإنسان هو تكريم الإنسان بما يمكنه من القيام بدوره في المجتمع وتحقيق تقدم المجتمع من خلال تقدم ورقي الفرد. وهذا الأساس هو نفسه الذي أشار إليه الإسلام في مواضع عديدة. وبصفة عامه تحكم علاقة المسلم مجموعة من الأحكام الإسلامية.

(١) سورة النساء الآية ١

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣

(٣) سورة الروم الآية ٢٢

(٤) سورة فصلت الآية ٤١.

أولاً: حقوق الإنسان

فحقوق الإنسان في الإسلام ليست منحة من ملك أو حاكم، أو قرار صادرا عن سلطة أو منظمة دولية، وإنما هي حقوق ملزمة بحكم مصدرها الإلهي، لا تقبل الحذف ولا النسخ ولا التعطيل، ولا يسمح بالاعتداء عليها، ولا يجوز التنازل عنها.

فالدين الإسلامي يؤكد على حقوق الإنسان، وتقديسها من خلال تنصيب الحقوق في القرآن الكريم، والسنة الشريفة، ففي القرآن والكريم، قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)^(١) وكتب الحديث مليئة بتعاليم حقوق الإنسان منها عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) لواليه على مصر مالك الأشر؛ إذ جاء فيه: (اشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، واللفظ بالاحسان اليهم، ولا تكونن عليهم سباعا ضاريا تغتتم اكلهم فانهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق)^(٢)، ونشير هنا إلى جملة من مبادئ حقوق الإنسان، التي جسدها الامام الحسين (عليه السلام) في نهضته المباركة قولاً وفعلاً كما هو متداول اليوم، فمن هذه الحقوق:^(٣)

١- أول تلك المبادئ وأهمها وأرقاها والتي تتقوم بها إنسانية الإنسان

(١) سورة الاسراء، آية ٧٠.

(٢) نقلا عن ابو محمد الحسن بن علي الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ط٧، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٩٠.

(٣) ثائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي البعقوبي، نشر

دار القراء، ٢٠١٧، ص ٢٥٥

هي الحرية.

٢- المساواة في الحقوق الاعتيادية والمادية، فأما الأولى، فقد اختلط دم اهل البيت (عليه السلام) بدماء غيرهم، وأما الحقوق المادية، فقد رفض (عليه السلام) الاستثار في ثروات الشعوب، ومطالبته بمراعاة حقوق الجميع على حد سواء.

٢- عدم التجاوز على حقوق الآخرين وردّها إلى اهلها.

٣- احترام إرادة الأمة في تولية أمورها إلى مستحقيها، الذين يقومون فيها بالقسط والعدل وإعطاء كل ذي حق حقه.

٤- إحقاق الحق، ونصرتة، وإبطال الباطل، ومقاومته بكل الوسائل المتاحة التي تقتضيها الحكمة.

٥- العدالة بين أفراد الأمة دون تفريق بين أحد وآخر لاي اعتبارات موجودة.

ومنها رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين عليهما السلام؛ التي تعد من اوئل الاعلانات العالمية عن حقوق الانسان؛

ولما تقدم يستفهم الشيخ اليعقوبي من الذين يدعون الديمقراطية، وحقوق الإنسان من قادة الدول وغيرهم: هل يوجد شخص وقف مثلما

216 وقف رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حين جمع أصحابه وقال لهم: (يوشك أن أدعي

فمن كانت له قبلي مظلمة فليقتصها مني قبل أن يأتي يوم القصاص الالهي العادل)، فيقول له أحد الحضور: إنك ضربتني بسوطك خطأ عند الازدحام

دون أن تعلم، فدعا الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالقضيب، وكشف (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن موضع، القصاص من جسده ودعاه للاقتصاص، بل إن قادة الإسلام يقفون

عند حقوق غير الإنسان كما ينقل لنا التاريخ حين رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحد أصحابه يعبث بصيد العصافير؛ فقال (صلى الله عليه وآله): (استعد لمساء لته يوم القيامة، فانه يخاصمك أمام الله سبحانه، ويقول: رب أسأله لماذا قتلني، وهو لا ينتفع بلحمي) هؤلاء هم قادة الإسلام^(١)، ويستمر الشيخ يعقوبي مستفهما لما يحصل الآن في العالم؛ إذ يقول: "ومن بين هؤلاء الزعماء (الديمقراطية) المدعين لحقوق الإنسان الذين تسمع يوميا بسوء تصرفهم بالمال العام - حتى في الدول الإسلامية بل حتى في العراق والاستفادة منه بطرق غير مشروعة يقف كأمر المؤمنين (عليه السلام) على منبر مسجد الكوفة بعد أربع سنوات من توليه شؤون الأمة وتصرفه بدولة مترامية الأطراف يقول للناس إن خرجت منكم بغير القطيفة التي جئتكم بها من المدينة فأنا خائن".^(٢)

يجب أن نتذكر عتاب الله سبحانه و تعالى ومساءلته؛ إذ قال في محكم كتابه الكريم: (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)^(٣)، وكذلك قوله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)^(٤) فهذه الجوارح التي وهبها الله تعالى لنا لا بد أن نوظفها، ونستخدمها في طاعته، ونحميها من معصيته؛ لأنها أول الشهود

(١) الشيخ محمد يعقوبي، خطاب المرحلة، ج ٤، ص ٤١.

(٢) تائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي يعقوبي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٣٦٦.

(٣) سورة البلد، الآية ٨-١٠.

(٤) سورة الاسراء، الآية ٣٦.

على الإنسان^(١) إن قادة الإسلام، وهم الرسول محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، والائمة الطاهرون (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أول من نادوا بحقوق الإنسان؛ فهذا الامام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو رئيس الدولة الإسلامية، وخليفة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقف امام القاضي في محكمة يتقاضى على درعه، ولم يقبل أن يناديه القاضي بكنته، وإنما المساواة مع الخصم بالحقوق، و كذلك موقفه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عندما رأى نصراني كبير بالسن يستجدي المسلمين، فقال - ما معناه - استعملتموه عندما كان قويا وتركتموه حين ضعف، وجعل له راتباً من بيت مال المسلمين.

أ: حقوق المرأة

إن في القرآن الكريم، والروايات والادعية الشريفة ثناء كبيراً على من تكون همته عالية و كبيرة في طلب الكمال، ونيل معالي الأمور؛ قال تعالى: **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**^(٢)، والزوج يطلق على المرأة والرجل؛ فتجري الآية فيهما معاً، وكذلك ما ورد في دعاء الامام علي ابن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الذي رواه كميل بن زياد: (واجعلني من احسن عبيدك نصيباً عندك، واقربهم منزلة منك، واخصهم زلفة لديك)^(٣)، والنساء كالرجال يطلبن ما في هذا الدعاء كل ليلة جمعة، فيمكن أن يكون أي واحد من المسلمين (نساء ورجالا) أحسن عباد الله نصيباً، واقربهم منزلة منه تعالى بعد الامام المعصوم (عَلَيْهِ السَّلَامُ)،

(١) الشيخ محمد اليقوي، خطاب المرحلة، ج ٣، ص ٢٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٤

(٣) عباس القمي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣.

والدليل عليه هو تعليم الامام (عليه السلام) لنا أن ندعوه سبحانه وتعالى بذلك، ولو كان مستحيلا فلا معنى لطلبه.^(١)

إن الإنسان (سواء كان ذكر أو أنثى) مكرم عند الله سبحانه وتعالى، وقد أشارت الآيات القرآنية إلى ذلك؛ قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)^(٢)، والإنسان خليفة الله في الأرض بكل ما تعني الخلافة الالهية من تشريفات وامتيازات، ومن تكاليف، ومسؤوليات؛ قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^(٣)، وأنه سبحانه وتعالى سخر للإنسان كل ما في الأرض؛ كما تشير الآية القرآنية؛ قال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)^(٤)، وبنو آدم (ذكورا واناثا) متساوون في الحقوق والواجبات بنص الآية القرآنية التالية؛

قال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ

(١) الشيخ محمد اليعقوبي، خطاب المرحلة، ج ٨، ص ٣٠٤.

(٢) سورة الإسراء الآية ٧٠.

(٣) سورة البقرة الآية ٣٠.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٩.

وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أُذْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ^(١).

وقوله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا)^(٢).

وقوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^(٣).

بلا فرق بين الرجل والمرأة^(٤)، وينقل الطبرسي في مجمعه سبب نزول الآية (٣٥) من سورة الأحزاب: (لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب (عليه السلام)، دخلت على نساء رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا فاتت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) إن النساء الفبي خيبة وخسار، فقال (صلى الله عليه وآله): ومم ذلك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٥)؛ قال تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

(٢) سورة النساء الآية، ١٢٤.

(٣) سورة النحل، الآية ٩٧.

(٤) الشيخ محمد اليعقوبي، قضايا المرأة في الفكر الإسلامي، ط ١، دار الصادقين للطباعة والنشر والتوزيع، النجف الاشرف، ٢٠١٣م، ص ٧-٨.

(٥) ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٨، ط ١، دار المرتضي، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ١٢٠.

وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَاشِعِينَ وَالْحَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِينَ وَالصَّامِيَّاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا^(١)، فضلا عن ما جاء في دعاء الافتتاح، الذي يقرأ كل ليلة من ليالي شهر رمضان في المبارك (اللهم انا نرغب اليك في دولة كريمة.. وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقيادة إلى سبيلك)^(٢)، فإن النساء والرجال يطلبون ذلك على حد سواء، وهذا ما أشار إليه القرآن في الآية الكريمة؛ قال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)^(٣).

ويقول الشيخ محمد اليقوبي هذا الموقع الشريف، وهو القيادة ممكن، بل هو واقع كما أكدته الروايات الشريفة؛ فيقول الإمام الباقر (عليه السلام): (ويجيء والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فيهم خمسون امرأة يجتمعون بمكة على غير ميعاد قزعا كقزع الخريف يتبع بعضهم بعضا، وهي الآية قال تعالى: (وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ اتَّيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٥.

(٢) عباس القمي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٧.

(٣) سورة ال عمران، الآية ١٩٥.

بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١)، فيقول (عليه السلام) ثم يخرج من مكة هو من معه الثلاثمائة وبضعة عشر يباعدونه بين الركن والمقام، وهذه الرواية على عظمة المنزلة التي يصل إليها هذا العدد الكبير من النسوة، ويتصف بالخصال الحميدة والكريمة التي ذكرتها الروايات الشريفة لأصحاب الإمام (عليه السلام) فيتأهلن لممارسة دور قيادي في دولته، ويبرز دور المرأة الإنسانية في التصدي لأعلى المواقع، ونيل أرقى الكمالات، لا المرأة التي يتاجر بحقوقها، وتمتحن كرامتها، ويفرض وجودها في الأزقة السياسية بالكوتا ونحوها^(٢).

يتضح مما تقدم إهتمام الشارع المقدس بالمرأة، وجعلها على قدم المساواة مع الرجل في الطلب والتصدي لبعض الوظائف، التي تناسب تركيبها الجسمي والنفسي، ويقول الشيخ محمد اليعقوبي حول مساواة المرأة بالرجل: وهل هذا المطلب عقلاني؟ وهل هو حق دائما؟ ويجيب بالنفي، ويقول اذا كان المطلوب مساواة الرجل والمرأة بالاستحقاق والجزاء فهذا حق وقد كفله الشارع المقدس، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^(٣)، سواء ذكرا أو انثى^(٤)، ويستمر الشيخ محمد اليعقوبي بحديثه حول المساواة؛ فإنه يرفض

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٨.

(٢) الشيخ محمد اليعقوبي، خطاب المرحلة، ج ٨، ٣٠٥.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٤) الشيخ محمد اليعقوبي، قضايا المرأة في الفكر الإسلامي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٧.

إذا كان معنى المساواة في الوظائف والأعمال التي يؤديانها، فهذا غير عقلائي، بل يرى أن فيه ظلم للمرأة؛ لأن طبيعتها في النواحي كافة تنسجم مع وظائف غير ما كلف به الرجل كالمدرس الذي يعطي درجة واحدة لكل طلبته في الإختبار مع تفاوت اجاباتهم؛ وهذا ظلم والمطلوب تحقيق العدالة، وهي قد تقتضي المساواة وقد لا تقتضيها، ويرد الشيخ اليعقوبي مستفهما على المجتمعات الغربية حول نسبة المشاركات في الحكومة، وقيادات الجيش أو الطيارين؛ فهي ضئيلة وقليلة فأين المساواة التي يريدون تسويقها إلينا؟^(١)

ب: معالجة الثغرات الموجودة حول المرأة

لقد وضع الشيخ محمد اليعقوبي عدة قضايا لمعالجة الثغرات الموجودة في حياتنا حول المرأة، التي تؤدي عدة مفاسد، ومنها.^(٢)

أ- تعطيل هذه الشريحة المهمة عن اداء دورها الرسالي العظيم للأمة؛ وفي ذلك خسارة جسيمة.

ب- تمرير الغرب لمؤامراته في تدمير عقيدة المجتمع، وأخلاقه من خلال تشويه صورة المرأة في الإسلام.

ت - نفور عدد من النساء من الشريعة؛ بسبب عدم فهم وجهة نظر الشريعة.

ث - كثرة المشاكل، وتعقيد الحياة بسبب عدم فهم المرأة الدورها، وما هو المطلوب منها.

(١) المصدر نفسه، ص ٩٨.

(٢) الشيخ محمد اليعقوبي، خطاب المرحلة، ج ٣، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٢.

ويضع الشيخ محمد اليعقوبي عدة أحاديث في قضايا المرأة، التي تمس حريتها وحقوقها داخل المجتمع، والحلول والفهم الصحيح لبعض المشاكل، وسند كر بعضاً من هذه الأحاديث:

١- مسألة قوامة الرجل على المرأة

إذ أكدت الآية القرآنية على قوامة الرجل على المرأة؛ لما يتميز به الرجل من تركيبة جسمانية؛ قال تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا)^(١) وان هذه القوامة مسألة ادارية تنظيمية، فلا بد من شخص يرأس الأسرة، وإعطاء هذا الموقع للرجل لسببين، أولهما: ذاتي يعود إلى تركيبة الرجل الفلسجية، والعقلية والنفسية، وثانيهما: موضوعي؛ لأن الرجل غالباً هو المنفق على الأسرة، لكن هناك كثير حولوا هذه المسألة الفنية إلى ظلم، واستبداد، وتعسف بسوء تطبيقهم؛ وهذا أدى إلى الفهم السلبي للتشريع.^(٢)

٢- حرية المرأة

وهذا من المصطلحات المجملة التي روج لها الغرب، وهو المطالبة بحرية المرأة، ورفض جميع القيود عليها، وهم يريدون بهذه الحرية الانفلات من الضوابط، والانغماس في الملذات، وهي عين العبودية للنفس

(١) سورة النساء، الآية ٣٤.

(٢) الشيخ محمد اليعقوبي، قضايا المرأة في الفكر الإسلامي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨.

الأمانة بالسوء - كما يشير الشيخ محمد العقبوي، والحرية التي يريدونها هل تعني عدم الخضوع للقانون، وتنفيذ كل ما يريد الشخص، فإنهم يقولون تقف حرية الشخص عند حدود وحقوق الآخرين، إذن لابد من قانون ينظم حياة الناس فيما بينهم، ويوزع الحقوق والحريات والواجبات، وهذا القانون هو الشريعة التي وضعها الله سبحانه، لا القوانين الوضعية^(١).

٣- المرأة والاجتهاد

إن الاجتهاد مرتبة سامية من العلم يحصل عليها الإنسان من اجل استنباط الأحكام الشرعية من ادلتها التفصيلية، ولا صحة للكلام الذي يقول بأن الرجل وحده من يصل إلى هذه المنزلة الرفيعة؛ لأن احدى غايات جامعة الزهراء (عليها السلام) توفير مبلغات مخلصات، وكذلك تحصيل نساء مجتهدات ولو واحدة؛ إذ يقول الشيخ العقبوي: "أنا اتوقع وصول أكثر من واحدة إلى هذه الدرجة من الاخوات الفاضلات في فروع جامعة الزهراء (عليها السلام)، وقد قلت في كلماتي إن النساء أخبر بقضايا النساء، وأدعو الله تعالى أن أرى في القريب العاجل من تقر عيون المؤمنين والمؤمنات بالوصول إلى هذه المرتبة الشريفة، وتكون مرجعا للنساء، وقد اجزت ذلك في رسالتي العملية (سبل السلام). فعلى الاخوات الفاضلات أن يبذلن قصارى جهودهن النيل هذا الهدف المبارك"^(٢).

(١) الشيخ محمد العقبوي، خطاب المرحلة، ج ٣، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٤.

(٢) المكتب الإعلامي للمرجع الديني الشيخ محمد العقبوي، نشرة الصادقين، ع ١٦، ١/٦٥/٢٠٠٨ م، ص ١، للمزيد ينظر: الشيخ محمد العقبوي، قضايا المرأة في الفقه الإسلامي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٥.

٤- المرأة الريفية، والعشائرية، وبعض الحقوق المسلوبة

تعاني المرأة في هذه المناطق كثيرا من الأمور التي تشكل تهديدا لحقوقها، وحياتها، وكرامتها وعدم توزيع الأعمال على الجنسين بالتساوي، والرحمة، والانصاف؛ فيقع الظلم على المرأة؛ لأنها تقوم بجميع الأعمال، والطعام، وجلب الماء فضلا عن مسؤولياتها العائلية؛ فيستفهم الشيخ اليقوبي: بماذا استحق الرجل كل هذه الخدمة؟ وماذا جنت المرأة حتى تعاقب بهذه الاشغال والأعمال الشاقة، التي منها لا تتناسب مع تركيبة جسمها.^(١)

ويضيف الشيخ محمد اليقوبي: "لابد من الانصاف في توزيع المسؤوليات كما أراد لها الله تعالى، فإن كل هذه الأعمال ليست واجبة على المرأة، وجزاها الله خير الجزاء أن تقوم بشؤون البيت، والعائلة، ولا تجبر على الخروج أبدا" وأن خروجها لجلب الماء - مثلا - ظلم لها، والله لا يغفر ظلم العباد لبعضهم، وكذلك في هذه الأعمال مخالفة لوصايا الرسول (ﷺ)، التي منها: (اتقوا الله في الضعيفين: المرأة واليتيم)، وكذلك (إن النساء ما اكرمن الا كريم، وما أهانهن الا لئيم) وقال كذلك (ﷺ): (إن الله تعالى على الاناث أرق منه على الذكور، وما من رجل يدخل فرحة على المرأة بينه وبينها حرمة إلا فرحهه الله يوم القيامة)^(٢)، ويذكر الشيخ محمد

(١) الشيخ محمد اليقوبي، قضايا المرأة في الفكر الإسلامي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨-

(٢) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد اليقوبي، النجف الأشرف، ١٤-٢-٢٠١٨.

اليقوبي عدة محرمات على هذه الأعمال التي تقوم بها النساء: (١)

أ- تعريضهن للوقوع في الانحراف، والفواحش الجنسية.

ب- ظهور ما أوجب الله ستره.

ت- إجبارهن على هذا العمل حرام؛ لعدم وجوبه عليهن.

ث- تحميلهن أثقالاً كبيرة مما يؤدي إلى الأضرار الصحية.

ج- تعريضهن للقتل حين يعتدي عليهن شاب نزق.

فيجب أن يتم معالجة هذه الظواهر، واعطاء النساء في الأرياف

حقوقهن على وفق ما وضعته الشريعة الإسلامية، ويجب التعاون لاستئصال

هذه العادات السيئة؛ قال تعالى: (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ

الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَّركُمْ أَعْمَالَكُمْ). (٢)

ويرى أن المرأة تأخذ مكانة كبيرة في خطط بناء العراق الجديد؛

وذلك من عدة جهات. (٣)

١- إنها تمثل أكثر من نصف عدد المجتمع العراقي؛ إذ قد تصل نسبتها

٥٨٪ بعد مقتل، وتشريد الملايين من رجال العراق؛ لذا فإن من يكسب

صوتها، ستكون له الفرصة الأوفر للنجاح في الحياة السياسية بكل تفاصيلها.

٢- هي عنصر مهم في تربية المجتمع، فإن كانت واعية؛ فإنها قادرة

على إنشاء جيل صالح؛ لأنها المربي المباشر للابناء.

(١) الشيخ محمد اليقوبي، قضايا المرأة في الفكر الإسلامي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٣.

(٢) سورة محمد، الاية ٣٥.

(٣) الشيخ محمد اليقوبي، خطاب المرحلة ج ٣، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٨.

٣- إن المرأة أداة مهمة في عملية افساد المجتمع فيما إذا اقنعوها بخلع جلباب العفة، والطهارة.

إن المساواة التي ينادون بها في العراق بعد سقوط الدكتاتورية، التي يريدون بها مساواة الرجل بالمرأة بكل شيء؛ حتي إنهم عقدوا في (٢٠٠٣/٩/١٨م) ندوة الاعلان عن تأسيس لجنة الدفاع عن العلمانية في العراق، فالمساواة ظلمت عند العلمانية التي يروج لها الغرب، وقد امتهنت المرأة، وكرامتها واصبحت سلعة رخيصة لدى الرجال، وبأخس الأثمان، وحينما ما يذهب جمالها، وشبابها ترمي كالعلبة الفارغة، أما المرأة في الإسلام، فهي مكرمة يجب على الرجل رعايتها، واکرامها، وجعل الحقوق والواجبات متساوية على الرجل والمرأة؛ قال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)،^(١) وقال تعالى ايضا: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا)^(٢)؛ إن حقوق الرجل لا تماثل كليا حقوق المرأة، وهذا لا ينافي المساواة^(٣)

(١) سورة ال عمران، الآية ١٩٥.

(٢) سورة النساء، الآية ١٢٦.

(٣) الشيخ محمد يعقوبي، خضاب المرحلة، ج ٣، مصدر سبق ذكره، ص م. ١٥٥.

إن من الحقوق الأساسية للمرأة التعليم، وأنه لا يوجد ما يدل على منع النساء من التعليم، بل بالعكس؛ فإنها كالرجل مشمولة بمئات الآيات والأحاديث التي تحدثت على طلب العلم النافع ولكن يجب تعيين الآيات التي تناسب المرأة، وبما يصون عفتها، ولا يجعلها فتنة للآخرين، وأن تتقن العلوم التي تدرسها بما يناسب حاجتها ورسالتها.^(١)

وجه سؤالاً للشيخ محمد يعقوبي في مقابلة حول إمكانية تصدي المرأة للقيادة، والمناصب العليا في البلاد؛ أجاب الشيخ ما نصه:
 "لا مانع من حيث المبدأ من تصدي المرأة لرئاسة الجمهورية أو الوزراء ولكن المشكلة قد تحصل من ممارستها لمثل هذه الوظائف حيث تكون في احتكاك مع الرجال وعرضه للمخالفات الشرعية، أما عضوية البرلمان فهي أقل اشكالا لامكانية الاحتفاظ بالالتزامات الشرعية واداء المرأة دورها في تمثيل النساء"^(٢).

وأما بخصوص تصدي المرأة عمل القضاء، فيتفق الشيخ محمد يعقوبي مع المشهور الفقهاء بالمنع؛ إذ يقول: "أما القضاء فالمشهور منعها من منصب القضاء خاصة"^(٣).

ج: حقوق الأقليات الدينية

أما حقوق غير المسلم، فيرى الشيخ محمد يعقوبي أن الإسلام أقر

(١) الشيخ محمد يعقوبي، قضايا المرأة في الفكر الاسلامي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩.

(٢) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي، ١٩-٤-٢٠١٨م.

(٣) المصدر نفسه ذات التاريخ

التعددية الدينية، وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم في كثير من الآيات؛ قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)^(١)، وكذلك قوله تعالى: (لكم دينكم ولي دين)^(٢)، وغيرها من الآيات الشريفة، وقد بين الشيخ محمد اليقوبي أن للتعددية معنيين:^(٣)

المعنى الأول: تعدد الأديان، والطوائف في المجتمع الواحد، كما هو في العراق اليوم، وهي حالة طبيعية، وقد تعامل المشرع الإسلامي معها كواقع موجود؛ نتيجة حرية الاختيار، وهو مبدأ أساسي في الشريعة الإسلامية؛ قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)^(٤) وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^(٥) (لقد منحت الدولة الإسلامية الحقوق للطوائف المذكورة في الآية والتي تمنح لرعايا الدولة؛ لأن أساس الاستحقاق هي المواطنة، التي يشترك فيها جميع أبناء الدولة، أما الدين، أو القومية، أو المذهب، وغيرها فلا تؤثر في استحقاقات أبناء الشعب؛ لأنهم مواطنون في الدولة.^(٦)

وأشار الشيخ محمد اليقوبي إلى ما تحمله الامام علي (عليه السلام) من

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥٦.

(٢) سورة الكافرون الآية : ٦.

(٣) الشيخ محمد اليقوبي، خطاب المرحلة، ج ٨، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٠.

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٥٦.

(٥) سورة البقرة الآية : ٦٢.

(٦) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد اليقوبي، ٢٥-٤-٢٠١٨م.

انشقاقات رموز كبيرة في المجتمع المسلم؛ بحيث أدت إلى حروب طاحنة بسبب سياسته العادلة مع الجميع، في حين أراد بعضهم ان تتمايز الطبقات في الامتيازات، والاستحقاقات، وهذه الثقافة قد تطبع عليها المجتمع المسلم، لكنه (عليه السلام) رفض هذه الثقافة.^(١)

ومن الحقوق التي رعاها الإسلام هي المساواة في الأمن والحماية لغير المسلمين الداخلين في الدولة الإسلامية، وذكر لذلك ما حدث في هجوم الشاميين على الأنبار؛ إذ يقول: "بل تصل حالة التعاطف والنظرة المتساوية للجميع على حد سواء إلى درجة بحيث يتقطع قلب أمير المؤمنين (عليه السلام) اسفا ويجد الموت أهون عليه لما بلغه أن جنودا لمعاوية أغاروا على الأنبار، وسلبوا النساء وفيهن غير مسلمات"، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

(وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينزح حجلها، وقلبها، وقلائجها، ورعائها ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرین، ما نال رجلا منهم كلم، ولا أريق لهم دما، فلو إن امر مسلم مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان به عندي جديرا).^(٢)

المعنى الثاني: تعدد الآراء الفقهية، والرؤى الأجهادية؛ تبعا

للإختلاف في فهم نصوص الشرعية حتى تصل أقوال العلماء في مسألة واحدة أكثر من عشرة، وهو أمر إيجابي، وقد تعمد الاثمة (عليه السلام) إلقاء

(١) الشيخ محمد اليقوبي، خطاب المرحلة، ج ٨، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢١.

(٢) الشريف الرضي، مصدر سبق ذكره، خطبة ٢٧، ص ٥٤.

أجوبة مختلفة في الموارد الممكنة؛ لمصالح مهمة ذكرها^(١).

ويرى الشيخ محمد اليعقوبي أن وجهة نظر الإسلام في التعددية بناءة وحضارية على كلا المعنيين السابقين، فعلى المعنى الأول؛ فإنها تساعد وتساهم بشكل بناء في حفظ وحدة المجتمع^(٢)، وحفظ حقوقه على أساس المواطنة، التي يتساوي فيها جميع أبناء البلد، وعلى الثاني؛ فإنها تساعد على تطبيق الدين بمرونة في المجتمع"، وفي رده على سؤال وجهه الباحث حول - حقوق غير المسلم؛ أجاب: "إن الحقوق تمنح على أساس المواطنة، والالتزام بالواجبات، فلا فرق من هذه الناحية بين المسلمين وغيرهم"٣ مما سبق يتضح أن الشيخ اليعقوبي يؤكد أهمية الحقوق، والحريات وضرورة صونها ليس بكونها حقوق طبيعية أو فطرية فحسب، بل لما لها من مكانة، وأهمية في الدين الإسلامي نفسه، ومن بين أهم تلك الحقوق، الحقوق الأساسية المتعلقة بحقوق الأمن و القوت؛ إذ يؤكد عدم إمكانية مطالبة الإنسان بأي واجب إلا بعد توفرهما، أما بالنسبة للحريات، فهو يؤمن بحرية الإنسان في اتخاذ قراراته، أو تحديده خيار معين من بين بدائل متعددة دون أي إكراه أو قسر، لكنه في الوقت نفسه يرفض الحرية غير المقيدة القائمة على الانفلات، والتمرد على السنن الإلهية المنصوص عليها

232 في الشريعة الإسلامية.

(١) للمزيد ينظر الشيخ محمد اليعقوبي، الفقه الباهر في صوم المسافر، مصدر سبق ذكره، ص

ثانياً: المرجعية ومتابعة حقوق المواطنين

كان للمرجعية الدينية، وما يزال دور كبير في بيان الحقوق المسلّمة للشعب والمساعدة في تحصيلها، ورفع الظلم عنهم، وتحقيق العدالة لهم، وهذا من صميم وظائف المرجعية؛ والمرجعية تقوم بهذه الوظائف لشعورها بالمسؤولية أمام الله تعالى، وأمام الناس والتاريخ، وهم بذلك يتأسون بالنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، والأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الذين لم يدخروا جهداً في هذا المجال^(١).

أ: الحقوق السياسية

ومن الحقوق السياسية التي يجب أن يتمتع بها أفراد الشعب الانتخاب، والانتخاب أصبح في يومنا الحاضر امراً ضرورياً بحيث لا يمكننا الاستغناء عنه؛ لأنه أفضل أسلوب، ويستطيع الشعب من خلاله التعبير عن إرادته في اختيار الممثلين له في إدارة الدولة، وقد أشرنا في المبحث السابق إلى الانتخاب.

و من الحقوق السياسية الأخرى الترشيح، الذي ينبغي أن يتمتع به أفراد الشعب كافة من دون أي تمييز لأنهم مواطنون في العراق، وبحسب الشروط والمواصفات التي يتصف بها الفرد المرشح، والمشروطة في قوانين الترشيح والانتخاب، ويرى الشيخ محمد يعقوبي أن المواطنة الأساس في قيام الدولة العراقية؛ إذ يقول: "نحن ندعو إلى قيام الدولة على أساس المواطنة، وإن العراقيين جميعاً متساون في الحقوق، والواجبات، وهذا الأساس هو الذي يوحد العراقيين، ويذوب التعصبات القومية والطائفية، فمن حق جميع

(١) الشيخ محمد يعقوبي، خطاب المرحلة، ج٦، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٤.

العراقيين، والذين تنطبق عليهم شروط والمواصفات الترشيح والمشاركة في الترشيح، وإدارة البلد^(١)، والتصدي إلى المواقع الحكومية^(٢).

ب: الحقوق الاقتصادية

ومن الحقوق التي يجب أن يتمتع بها الإنسان الحقوق الاقتصادية، وهي على عدة أنواع منها حق التملك، فأعطى الإسلام للفرد حق التملك في حيازة الأشياء، والانتفاع بها على وجه الاختصاص والتعيين؛ لأن ذلك من مقتضيات الفطرة ومن خصائص الحرية، بل من خصائص الإنسانية، وأيضاً لأن ذلك أقوى دافع لزيادة الإنتاج وتحسينه، وقد أشار إلى ضرورة احترام حق الملكية الخاصة لافراد الشعب العراقي بصرف النظر عن الجنس، أو الدين، أو الطائفة، أو القومية؛ فالجميع مواطنون، ويجب إعطاء الجميع حق الملكية، والتصرف بأملكه الخاصة، ولا يجوز لأي شخص سلب هذا الحق منه، وقد علق على مسودة الدستور بما اشرفنا إليها في المبحث الأول من هذا الفصل في جواب سؤال عن هل اباح الدستور سلب هذا الحق من الأشخاص لأغراض المنفعة العامة؟ إذ قال دام ظله: "وهذا مبرر غير كاف، فان وجود منفعة عامة لا تبرر انتزاع الملك الشخصي إلا بأذنه، نعم لو توقف دفع ضرر عام على ذلك جاز" وقد اقترح إضافة فقرة في الدستور "إلا لأغراض دفع الضرر العام، وإلا فلا يجوز التصرف في ملك الشخص

(١) المصدر نفسه، ج ٤، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠.

(٢) تائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي البيهقي، نشر

الخاص، الذي تقوم به الحكومة الا بأذنه^(١).

ج: حقوق العمل

ومن الحقوق التي يجب أن يتمتع بها الفرد هو حق العمل، فعظم الإسلام شأن العمل فعلى قدر عمل الإنسان يكون جزاؤه، قال الله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^(٢)، فالأنبياء الذين هم أفضل خلق الله قد عملوا فقد عمل آدم بالزراعة، ونوح بالنجارة، وموسى بالرعي، وداوود بالحدادة، ومحمد صلى الله عليه وآله برعي الغنم والتجارة، فلا يجوز للمسلم ترك العمل باسم التفرغ للعبادة أو التوكل على الله، ولو عمل في أقل الأعمال فهو خير من أن يسأل الناس.

د: حقوق القوت والأمن

ومن الحقوق المهمة التي يراها الشيخ محمد يعقوبي، ويجب أن يحصل عليها الفرد هي الحق في القوت والأمن، وهما من الحقوق الأساسية للإنسان، ومن غير الممكن مطالبته بأي استحقاق أو واجب إلا بعد توفيرها، وأن الله سبحانه لم يطالب الناس بالعبادة إلا بعد أن من عليهم بالأمن والخبز قال تعالى: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)^(٣)، فمن الضروري الحصول على هذا الحق، وأنه يجب على الدولة

(١) الشيخ محمد يعقوبي، خطاب المرحلة، ج ٤، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٧.

(٢) سورة النحل الآية ٩٧.

(٣) سورة قريش الآية ٣-٤.

تحقيق الأمن والاستقرار، والغذاء لافراد الشعب^(١) ومن الحقوق الاخرى التي يؤمن بها حق الحياة والحرية في التنقل^(٢) .^(٣)

المطلب الثالث: الحريات عند المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي

ان قضية الحرّية كواحدة من المفاهيم التي أكد عليها القرآن الكريم وأحاديث الأئمة (عليهم السلام) مراراً ومن الطبيعي ان الحرّية التي نتحدث عنها هنا لا تعني الحرّية المطلقة التي لا يوجد أحد في العالم يؤيدها أو يدعو إليها. إن مصطلح الحرية يعني الانعتاق من أغلال الشهوات، والتعصب، والأهواء، والعبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى، وليست كما يرى الغرب؛ إذ تعني عندهم الانفلات من كل الضوابط الأخلاقية، والدينية، والإنسانية^(٤)، والحرية بمعناها الإنساني هي: التي تحققها الشريعة الالهية الحقّة أما الابتعاد عنها فيؤدي إلى الشقاء، والهلاك، والألم في الدنيا قبل الآخرة، فالشريعة هي التي توفر الحرية الحقيقية للفرد؛ لأنها تحرره من الأهواء؛ فهي تخلصه من عبودية نفسه الأمانة بالسوء. كما يعبر عنها القرآن الكريم، قال تعالى: (وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ

(١) الشيخ محمد اليعقوبي، خطاب المرحلة، ج ٤، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥.

(٢) الشيخ محمد اليعقوبي، القضايا العربية في وجدان النجف الاشرف، ط ١، دار الصادقين للطباعة والنشر والتوزيع، النجف الاشرف، ٢٠١٤، ص ١١٣، ١٠٦، ٦٦، ٦٢، ٣٥-١٢٠، ١١٦، ١١٥، على التوالي.

(٣) نائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي اليعقوبي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٣٧٧.

(٤) الشيخ محمد اليعقوبي، خطاب المرحلة، ج ٩، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٤.

رَحِيمٌ^(١).

ونري في النهضة الحسينية المباركة، دفاع الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن الحريات،
و منها:^(٢)

١- الحرية، وهي الانعتاق عن عبودية ما سوى الله تعالى.

٢- حرية التعبير عن الرأي، واتخاذ القرار بكل اختيار، واردة من دون
أي تأثير أو اكراه.

٣- الكرامة، ورفض الذل والمهانة بكل اشكالها.

إذن فالحرية الاجتماعية بمعناها المتعارف في الثقافة السياسية العالمية،
ذات جذر قرآني. ولا ضرورة للعودة إلى ليبرالية القرن الثامن عشر في أوروبا
لاستطلاع ما قاله «كانت» و «جان استوارت ميل» وغيرهم، فنحن لنا رأينا
ولنا منطقنا. وهذا ما يدعونا إلى القول بأن مقولة الحرية مقولة إسلامية.
ويبدو أن ثمة فريقين تتظافر جهودهما ضد النظر إلى الحرية باعتبارها مقولة
إسلامية ونابعة من هذه الارضية؛

الفريق الأول هم أولئك الذين يستشهدون على الدوام في كلماتهم
عن الحرية بأقوال الفلاسفة الغربيين الذين ظهروا خلال القرون الثلاثة
الأخيرة.

أما الفئة الأخرى التي تقدّم لهم اسباب العون جهلاً فهي تلك
المجموعة التي ما ان تسمع بمفهوم الحرية حتى يعترها الرعب وتأخذ

(١) سورة يوسف الاية ٥٣.

(٢) المكتب الإعلامي للمرجع الديني للشيخ محمد يعقوبي، نشرة الصادقين، ع ١٢٢

٢٠١٣/١/٨، ص ١.

باطلاق صيحات الخوف على ذهاب الدين. إلا انهم واهمون في موقفهم هذا وذلك لأن الدين أكبر منادٍ للحرية الصحيحة والحرية المعقولة وأكبر هدية يقدمها الدين للمجتمع وللشعب. بفضل وجود الحرية تتنامى الأفكار وتزدهر الطاقات.

ان الإسلام أعطى للحرية الاجتماعية زخماً أكبر مما أعطته اياها المذاهب الغربية على ما فيها من تفسيرات ليبرالية متعددة. أي منذ ما أعقب عصر النهضة وانتشار الفكر الليبرالي في فرنسا وفي أوروبا ومن بعدهما في كل أرجاء العالم، وانتهى بقيام الثورة الفرنسية، ثم استغل في ما بعد على نحو مشوّه في حروب استقلال أمريكا، وإلى حين صدور المنشور الأمريكي - إلى آخر ذلك من المواضيع المطوّلة التي يستلزم الحديث عنها فرصة أوسع - طُرحت منذ ذلك الوقت وحتى العصر الحاضر عشرات التفسيرات لمفهوم الليبرالية. وخاصة في الآونة الأخيرة حيث ما برح المنظرون الأمريكيون ومن يدور في فلك أمريكا يدبّجون المقالات في هذا المضمار.

والنفس هي التي تجر الانسان، وتدعوه إلى طاعة الأهواء، والانفعالات، والشهوات، فتوقعه في المهالك وهذا واضح من خلال ما يمر به البعيد عن القانون الإلهي، وكذلك الشريعة، التي تخلصه من عبودية الآخرين من الحكام المستبدين، والطواغيت، وسدنة المعابد وغيرهم، الذين يتاجرون بالدين من أجل الدنيا، وهذا ما يدور في العراق في وقتنا

الحاضر، فأما الشريعة الالهية فتحرره من القلق والاضطراب^(١)، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)^(٢) هذا هو القانون الالهي، وهو العارف بما يصلح عيوب الإنسان ويسعد روحه، وينظم حياته وعلاقته بالآخرين، أما القوانين، التي يضعها به الإنسان فهي ناقصة، وفي تبدل وتعديل دائم، فالأولى بالاتباع هو القانون الالهي، قال تعالى: (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)^(٣)، فماذا يريدون من الحرية إلا الانسلاخ من الحياء والإنفلات من الضوابط؟^(٤)

اولاً: حرية الاعتقاد

الحرية الدينية أو حرية المعتقد أو حرية التعبد هو مبدأ يدعم حرية فرد أو مجموعة بإظهار دينهم أو معتقداتهم أو شعائرهم الدينية سواء بالتعليم أو الممارسة أو الأحتفال؛ فمن الحريات التي يجب أن يتمتع بها الشخص هي حرية المعتقد، واختيار العقيدة، وقد ثقف الإسلام أتباعه المسلمين عليها، قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا

(١) الشيخ محمد اليعقوبي، خطاب المرحلة، ج ٩، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٥.

(٢) سورة الرعد، الاية ٢٨.

(٣) سورة يونس، الاية ٣٥.

(٤) الشيخ محمد اليعقوبي، خطاب المرحلة، ج ٣، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٥.

انفصامَ لها وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).^(١)

لكن هذه النظرة الإيجابية لا تنفي وجود بعض الآراء، التي تؤكد التحفظ الشديد حول حرية العقيدة بالمعنى القائم على إمكانية استبدال الدين، فيستند بعضهم إلى حرمة التراجع عن الدين الإسلامي واختيار دين آخر، ومن أبرز الأحاديث التي سيقت في هذا الاتجاه أقوال الرسول (ﷺ): (لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث: رجل زني وهو محصن فرجم، أو رجل قتل نفسا بغير نفس، أو رجل ارتد بعد إسلامه)، وقوله (ﷺ): (من ارتد عن دينه فاقتلوه)، وقوله (ﷺ): (من بدل دينه فاقتلوه لا يقبل الله توبة عبد كفر بعد إسلامه)، وفي قبال هذا الرأي المتطرف هناك من يرى أن الإسلام قد سن ما يخفف الحد الذي يستوجب القتل في المرتد إلى أقصى درجة مخففة؛ لوجود امر بدفع الحدود وعدم تنفيذها حين تكون هناك شبهة بالاستناد إلى حديث النبي (ﷺ): (ادرأوا الحدود بالشبهات).

ويصل هذا المبدأ إلى أكمل حالاته حين يأمر الله سبحانه وتعالى المسلمين أن يوفروا الأمن والحماية لمن يريد من الطرف الآخر حتى يستمع إلى هذا الدين، ثم يعيده إلى بلده آمناً ليختار بكل حرية، قال تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَا مَنَّاهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ)^(٢) فهل توجد شفافية أكثر مما في

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ٦.

الإسلام، وفي رسالة موجهة إلى الرئيس الفرنسي (جاك شيراك) عبر الشيخ محمد اليقوي^(١) عن أسفه للقرار الذي سيتخذ بمنع الحجاب الإسلامي في المدارس؛ إذ قال:

”إن مثل هذه القرارات منافية لحقوق الإنسان والتي تتضمن حرية التعبير عن المعتقد، والقيام بما يتطلبه معتقده ما دام غير مضر بالمصالح الوطنية، وإن دول الغرب، ومنها فرنسا تتبجح وتفتخر على الكثير من دول العالم بمراعاتها لحقوق الإنسان، فتأتي مثل هذه القرارات لتكشف زيف هذه الادعاءات، وتظهر الصورة الحقيقية للنظم الغربية التي تضع تحت اقدامها كل الشرائع الإنسانية والسماوية اذا اقتضت مصالحها“^(٢)، وكذلك اعتماد مبدأ الحوار في جميع الأمور وعدم فرض الرأي على الآخر مهما كان مقتنعا به، فان الرسول محمد (ﷺ) كان يعلم أنه على الحق، ومع كل ذلك أمره الله سبحانه وتعالى بالحوار مع الآخرين“^(٣).^(٤)

ثانياً: حرية التعبير

ومن الحريات الأساسية الأخرى هي حرية التعبير، وإن كان لا بد لها من ضوابط، فالحرية بلا قيود ولا ضوابط عقلية وخلقية ودينية لا يصلح بها أمر الإنسان والمجتمعات أبداً، فالحكمة تقتضي أن لكل شيء حدوداً

(١) الشيخ محمد اليقوي، خطاب المرحلة، ج ٤، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٥.

(٣) الشيخ محمد اليقوي، خطاب المرحلة، ج ٤، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٢.

(٤) ثائر هادي مرهج الذهبي، الاطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسي اليقوي، نشر

وقواعد، فهي إن تُركت سائبة بلا حدود فغايتها الضلال والسقوط في الهاوية، وأماننا الأمم السابقة أدلة واضحة على ذلك. هذا؛ وإنّ الإسلام أحكم قواعد الحرّية للإنسان أفراداً ومجتمعات، بأن جعل إطاراً معقولاً وصحيحاً للحرّيات، هو (عدم الإضرار بالنفس وعدم الإضرار بالآخرين)، حتى إنّ الإسراف في الأكل والشرب يحرم لأنه إضرار بالنفس. وقد أمر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بعدم الضرر، فالقاعدة الشرعية: (لا ضرر ولا ضرار)، فلا يسوغ لأصحاب المذاهب الفكرية والكلامية القول بالحرّية المطلقة ممّا يؤدّي إلى الإضرار والتضييق على حرّيات الآخرين، هذا بالإضافة إلى الآفات والعيوب الاجتماعية في بلاد الحرّية التي تدّعي الحرّية المطلقة ولا تعرف حدوداً ولا قيوداً ضرورية لحياة المجتمعات الإنسانية. الإسلام واسع سهل، يحمل في طياته خطاباً شاملاً مستوعباً، وهو لا يريد الإكراه، للقاعدة المعروفة: (القسر لا يدوم)، وإنّما يسعى إلى إعطاء الحرّية لكل إنسان فيما يعمل بحسب معتقده، ويحاوره، قال سبحانه وتعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)^(١).

ومن أبرز مظاهر الحرّية في التعبير هي المظاهرات، التي تعبر عن رغبة الشعب في التعبير في رأيه، وعدم الخضوع للدكتاتورية وإن الشيخ محمد اليقوبي قنن موضوع التظاهرات والخروج للتعبير عن الراي او المطالبة بالحقوق بالطرق السلمية ، منها^(٢):

(١) سورة النحل الآية ١٢.

(٢) الشيخ محمد اليقوبي، خطاب المرحلة، ج ٣، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٣.

- ١- اتباع الوسائل السلمية في التعبير عن الرأي.
- ٢- المحافظة على المؤسسات العامة والخاصة، وعدم عرقلة عملها، وحرمة التصرف فيها.
- ٣- عدم حمل السلاح أثناء المظاهرات.
- ٤- الوعي والحذر من دخول الغرباء، والمخربين.
- ٥- المحافظة على الوحدة و تعزيزها، وضرورة احترام آراء الآخرين.
- ٦- إن من أولويات المرجعية حفظ كيان الأمة، وحماية أرواح ابناء الشعب وممتلكاتهم.

وقد دعا سماحته إلى خروج المواطنين إلى المظاهرات عدة مرات؛ للتعبير عن رفضهم بعض القرارات، والتصرفات التي قامت بها قوات الإحتلال الامريكي في عام (٢٠٠٣م)، ودعا إلى مظاهرة تنطلق من ساحة الفتح قرب المسرح الوطني إلى ساحة الفردوس، ضمت عشرات الآلاف من أبناء الشعب حيث كانت المطالب في حينها: بأنهم شعب مسلم، ويرفضون قيادة البلد دون الرجوع إلى المرجعية الدينية^(١)، وكذلك دعوته إلى مظاهرة في الصحن الكاظمي المقدس في (٢٠٠٣/٧/١٥م) للاعتراض على تشكيل مجلس الحكم.^(٢)

يرى الشيخ محمد اليعقوبي وجوب وجود قيادة وطنية واعية موحدة للمظاهرات؛ إذ يقول: "إن غالبية الشعب يطالب بحل المشاكل الظاهرة التي يراها أمامه، ولا يلتفت إلى الأسباب الاصلية المؤدية لها، كما لا توجد

(١) للمزيد ينظر الشيخ محمد اليعقوبي، جهاد واجتهاد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٠-٢٣٠.

(٢) للمزيد ينظر الشيخ محمد اليعقوبي، نصوص سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧-٧٦.

مطالب موحدة للمتظاهرين، وهنا تبرز أهمية دور النخب في تشخيص جوهر المشكلة أولاً، ودراسة الأسباب الأساسية دراسة موضوعية، ثم تقديم الحلول الجذرية لهذه المشاكل ثانياً^(١)، ويضرب امثلة لذلك مثل: مفوضية الانتخابات التي تكونت من ممثلي الكتل السياسية فكيف تكون مستقلة؟، وكذلك قانون الانتخابات الذي صمم على مقاس المتنفذين، لكي تعود نفس الوجوه في كل انتخابات، ودعا النخب المثقفة والأساتذة الأكاديميين إلى أن يأخذوا دورهم المحوري في التظاهرات؛ لتوحيد مطالب الجماهير، ووضعها على طاولة التفاوض باتجاه بلورة المشروع الوطني الإصلاحي، وكذلك لضبط حركة الجماهير، وحماية هذه المظاهرات من الانحراف عن الأهداف التي خرجت من اجلها^(٢)، وفي نفس المسار لابد من الإشارة إلى نقطة مهمة في المظاهرات التي تخرج وهي الانتباه على قيادة المظاهرات، وكيفية توحيد المتظاهرين، وضبط حركتهم حتى لا تتعرض مؤسسات الدولة العامة، والممتلكات الخاصة إلى الاعتداء، والسرقة، والانتباه للشعارات التي ترفع، والتأكد من عدم وجود مخربين، ومغرضين، ومندسين، واستغلال المظاهرات، وهذا ما أشار اليه الشيخ اليقوبي في الاستفتاء الذي وجه له حول المشاركة في مظاهرات في 244 (٢٥/شباط/٢٠١١م)، وهو عدم وجود قيادة ظاهرة لهذه المظاهرات فضلاً

(١) الشيخ محمد اليقوبي، خطاب المرحلة، ج ٣، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٣٤٧.

عن الشعارات المحرّضة.^(١)

إن لحركة الجماهير تأثيراً في أصحاب القرار، والأحزاب المتسلطة، وأن عملية الإصلاح التي تدعو إليها هذه المظاهرات ليست ذكراً في لسان، وإنما تحتاج إلى عمل متواصل، ودؤوب، وضغط مستمر؛ فهذه الحركة وإن كانت ليست واسعة على وفق المقاييس لكنها ترعب الظلمة، والفاستين، وقد أشار الشيخ محمد اليعقوبي إلى المظاهرات في وقت سابق إلا أنه استغرب لتأخر حركة الجماهير والشعب، ولم يقل الشعب كلمته طيلة الأعوام التي مضت على الرغم من التحذيرات المتوالية من الأخطار الكبيرة، التي تحدى بالعراق التي تضمنتها كلمات وخطابات الشيخ اليعقوبي منذ عام (٢٠٠٦م)^(٢)، التي حذر فيها من الفساد المالي، والإداري، الذي هو أشد خطراً من الإرهاب.^(٣)

ثالثاً: حرية الإعلام

ومن الحريات الأخرى ضمن حرية التعبير هو الإعلام فحرية الإعلام أي حرية نشر أو بث الآراء والأفكار والاتجاهات المختلفة في شتى المجالات في أي وسيلة من الوسائل الإعلامية في أي وقت وفي أي مكان داخل المجتمع. وهي حرية الممارسة الإعلامية على أرض الواقع دون

(١) المكتب الإعلامي للمرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، نشرة الصادقين، ع ٩٧، ٩٧،

٢٠١١/٢/٢٦ م، ص ١

(٢) للمزيد ينظر: خطاب المرحلة، ج ٤، ص ٣٠٦. وج ٩، ص ٣٤٨.

(٣) نائر هادي مرهج الذهبي، الأطروحات الفكرية السياسية عند محمد موسى اليعقوبي، نشر

دار القارئ، ٢٠١٧، ص ١٩٠

عوائق أو رقابة تحد من حرّيته، ورد فعل من قبل المسؤولين في الدولة تجاه كل ما ينشر أو يذاع أو يبث عبر وسائل الاعلام. فالهدف من حرية الاعلام هو احراز تقدم للبشرية وتمكين الانسان من تحقيق حرياته ومساواته وتحقيق العدالة. وحرية الاعلام سوف تنعكس علي طريق الديمقراطية السياسية ويصحح من مسارها وكلاهما قادر بسهولة ويسر علي تحقيق الهدف الاساسي وهو الصالح العام للمجتمع بأسره وهو الهدف الذي تنشده الدولة وتتوخاه.

وقد أشرنا سابقا إلى أن الإعلام يمثل السلطة الرابعة في الدولة والحكومة؛ لما له من الدور الكبير في توجيه الناس باتجاه حدث أو امر ما، والإعلام يمارس دور خطير في حياة الأمة، وهو يستطيع توجيه الرأي العام بالاتجاه الذي يريده أصحاب وسائل الإعلام، ويقدم الشيخ محمد اليقوبي موعظة للإعلاميين؛ انطلاقا من الحديث الشريف: (طالبان منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب المال)^(١)، وأوضح يمكن أن يكون الصحفيون من القسم الأول أو الثاني؛ فاذا عملوا بموضوعية، وحيادية، وانصاف في كشف الحقائق، وإيصال المعلومات الصحيحة والدقيقة، كانوا من الصنف الأول؛ لأن العلم هو انكشاف الحقيقة، وإن خضعوا للاهواء، والاعراض، وباعوا أمانتهم كانوا من الصنف الثاني، والأول هو الإعلامي الناجح الذي يقابل بالرضا، والقبول، والاحترام.^(٢)

(١) الشيخ محمد اليقوبي، في الإعلام الإسلامي، ط ١، دار الصادقين، النجف الاشرف،

٢٠١٤م، ص ٤١.

(٢) المصدر نفسه ص ٤١.

إن دور الإعلام بكل أقسامه بارز في إيصال المعلومة والأحداث إلى أفراد المجتمع، ففي هذا الصدد يقول الشيخ محمد يعقوبي:

”إنني استفيد كثيرا مما يعرضه المراسلون من قضايا وخبايا عن وضع الناس، ومعاناتهم، ومشاكلهم مما لا نستطيع الوصول اليه، واتحرك منطلقا من مسؤوليتي بما أستطيع لحل تلك المشاكل، ورفع المعاناة، وأنا مدين لهم بهذه الخدمات التي يؤدونها“^(١).

إن للإعلام ووسائله وظائف، ومن أهم هذه الوظائف صناعة الرأي العام؛ ليتخذ موقفا إزاء مختلف القضايا السياسية، والثقافية، والاجتماعية، والدينية، والأخلاقية، وغيرها؛ فهذه الوسائل تساهم مع الخطباء، والمفكرين وغيرهم في صنع هذا الموقف العام؛ ولكي تنجح وسائل الإعلام بكل أقسامها في أداء هذه الوظيفة العظيمة لابد أن تنشئ قسمة يقوم بتشخيص القضايا، التي تحتاج حشد الرأي العام باتجاهها، ووضع الحلول لها، وآليات اقناع الرأي العام بالأخذ بهذه الحلول، وقد التفت العالم إلى الأهمية الكبيرة لوظائف وسائل الإعلام؛ فجعلوا يوما مخصصا في السنة لبعض القضايا البشرية المهمة - كمكافحة الإيدز، وتلوث البيئة، والفقر، والتعليم والمرأة - يقومون بفعاليات متعددة لشد انتباه الناس للمشاركة في معالجتها،^(٢)

والإعلام يمارس دورا خطيرا في حياة الشعوب والأمم، وله القدرة على توجيه الرأي العام بالاتجاه الذي يرغب به أصحاب الإعلام.

(١) مقابلة مع المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي، ٩-١-٢٠١٨م.

(٢) المكتب الإعلامي للمرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي، نشرة الصادقين، ع

ويرى الشيخ محمد اليقوي أن الإعلام في الغالب بعيد عن الموضوعية، والانصاف، والضمير الحي؛ ولذا فهو المسؤول الأول عن معاناة الأمم من الكوارث؛ لذلك لابد من وجود جهات أو مؤسسات تشرف على تربية الإعلاميين، وتوجيههم نحو الأهداف السامية والنبيلة حتى نخرج بخطاب مصلح بناء يعمل من أجل الأمة وازدهار البلاد^(١)، ولهذا أكد على أهمية الكلمة الصادقة، والتأثير الفاعل في عملية الاصلاح والتغيير اذا انطلقت على وفق آليات مناسبة، وتستطيع الكلمة الواحدة أن تغير مجرى حياة الإنسان، وتنقله من حالة إلى أخرى^(٢)، إن التاريخ يروي لنا أن كلمة واحدة غيرت مسار إنسان من حالة اللذة واللهو والمجون إلى حالة التوبة، والايان، والعرفان وهي حادثة بشر الحافي مع الامام الكاظم (عليه السلام)^(٣)، وقال تعالى: (لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)^(٤) وأنه سبحانه وتعالى حذر من الكلمة الخبيثة، قال تعالى: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ

(١) الشيخ محمد اليقوي، في الإعلام الإسلامي، مصدر سبق ذكره، ص ٤١-٤٢.

(٢) المكتب الإعلامي للمرجع الديني الشيخ محمد اليقوي، نشرة الصادقين،

ع ٣٥، ٢٢/١٢/٢٠٠٥م، ص ٣.

(٣) للمزيد منظر، مجموعة مؤلفين، اعلام الهداية: الامام موسى بن جعفر الكاظم (ع)، ج ٩،

ط ٢، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لاهل البيت (ع)، دم، ١٦٢٠ هـ ص ٨٠

(٤) سورة ابراهيم، الآية ٢٤-٢٥.

فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ^(١).

إن الإعلام مسؤولة كبيرة يجب أن تكون وفق الأسس الإسلامية والإنسانية؛ لأن الكلمة - كما اشرفنا - لها تأثير كبير، وقول كلمة أو شطر كلمة في المشرق، وقتل بها شخص في المغرب يتحمل قائلها وزرا كوزر القاتل؛ وهذا ما يفعله اليوم صناع ثقافة التكفير والقتل، وقد أشار الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) إلى مثل هذه الأمور؛ فقد روى الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن جده الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه قال: (يعذب الله اللسان بعذاب لم يعذب به شيئا من الجوارح، فيقول: أي رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئا، فيقال له: خرجت عنك كلمة، فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسفك بها الدم الحرام، وعزتي لا عذبتك بعذاب لا اعذب به شيئا من جوارحك^(٢)). فيقول الشيخ محمد اليعقوبي: "فإذا استشعرتنا هذه الأهمية فإن هذا الشعور ينظم برامج التعامل مع الكلمة، وسيراقبها، ويتحكم بها، فإن الكلمة في وثائقك وتحت سيطرتك ما دمت لم تطلقها، فإذا اطلقتها فستكون أنت في وثاقها، وتتحمل تبعاتها، ومسؤوليتها^(٣)."

عوامل رفع الوعي في الاعلام

إن للإعلام دورا كبيرا في توجيه الناس، وكذلك اعتمد الغرب عليه

(١) سورة ابراهيم، الآية ٢٦.

(٢) محمد الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة، كتاب القضاء، باب صفات القاضي، مصدر سبق ذكره، ب، ح، ٤.

(٣) الشيخ محمد اليعقوبي، في الإعلام الإسلامي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠.

بصورة كبيرة، وبكل قنواته المسموعة والمرئية، والمقروءة وقد وضعوا في خدمته كل الإمكانيات المادية؛ لتشد اليها الإنسان، وتسلب قدرته على التفكير؛ حتى لا يتأمل ليميز الصحيح من الفاسد، وخير شاهد نشرات الأخبار التي يوهمون الناس بأنها حقيقية، وتنقل بكل أمانة، وموضوعية ويستخدمون أساليب متعددة لذلك، مثل الالتقاء بأشخاص ضعيفي الحجة لا يستطيعون اقناع الآخرين بحقهم، وغيرها من الأساليب، ويضع الشيخ محمد اليقوي عدة نقاط لرفع الوعي لدى الناس في الاستماع، أو الأخذ من وسائل الإعلام، وهي: (١)

١- إن الاذاعات متفاوتة في درجة الاطمئنان اليها، فلا بد أن لا يتفاوت الحذر منها بقدر الاطمئنان اليها.

٢- الوعي والتأمل في مضمون الخبر، والتثبت منه؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُكُمْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ). (٢)

٣- الرجوع إلى الحوزة الشريفة، والواعين المخلصين من المثقفين لمعرفة تقويم الخبر، والأثر المترتب عليهم؛ قال تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْحُوفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمْ

(١) الشيخ محمد اليقوي، خطاب المرحلة، ج ٣، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٦.

الشَّيْطَانِ إِلَّا قَلِيلًا^(١).

٤- عدم المبالغة، والانخراط في الاستماع إلى الأخبار.

٥- إن كثرة الاستماع إلى الأخبار يؤدي إلى التشويش الفكري، وانشغال القلب، والعقل بالأفكار المتضاربة.

٦- يجب أن نتصيد الدروس، والعبر من الأخبار؛ لتدعم بها عقائدنا؛ حتى يكون الاستماع لها صادقاً وواعياً؛ قال تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ)^(٢).

السلبيات الملاحظة في الاعلام

يبين الشيخ اليعقوبي أن عدم الالتفات إلى ما تقدم من النقاط يجعل الأخبار، ووسائل الإعلام المختلفة تسبب آثاراً سلبية، وتدميرية للمجتمع، ويبين هذه الآثار بالشكل التالي.^(٣)

١- إضعاف القوة المعنوية، وتحطيم نفسية الأمة.

٢- بث الشك، وفقدان الثقة بالنفس أولاً وبأولي الأمر ثانياً، وبالدين،

(١) سورة النساء، الآية ٨٣.

(٢) سورة المدثر، الآية ٣١.

(٣) الشيخ محمد اليعقوبي، في الإعلام الإسلامي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٦.

والعقيدة، والمبادئ ثالثاً.

٣- إحداث التفرقة، والاتجاهات المتباينة، وتمزيق وحدة الصف، ونشر الخلافات (هذا ما حدث في العراق وما قامت به بعض القنوات لزرع الطائفية، والتفرقة بين أبناء الشعب العراقي).

٤- خلق أزمات اجتماعية، وإرباك اقتصادي يؤدي إلى إهدار الطاقات.

٥- تغيير أخلاق المجتمع، وسلوكياته وأنماط حياته، وأفكاره على وفق

الرؤية التي يريدونها، وهو ما يسمى بالعولمة، والنظام العالمي الجديد، وهو

ليس بجديد، وإنما قالها فرعون من قبل؛ قال تعالى: (يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ

الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ

فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)^(١).

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية والوحدة الإسلامية والتقريب في فكر المرجع الشيخ

محمد اليعقوبي

المطلب الأول: مبادئ العلاقات الدولية في الإسلام

قال تعالى: [لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ] ^(١) وقال تعالى: [لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] ^(٢).

فهناك شكلان للتعامل مع غير المسلمين، فإن هم احترموا تعاليم الإسلام وحافظوا على كيان المجتمع المسلم، ولم يعتدوا عليهم، فيأمر الله تعالى المسلمين أن يتعاملوا معهم بالقسط والعدل والبر.

وإن هم انتهكوا حرمة الإسلام، فتجب مقاطعتهم وإظهار الامتعاض منهم، والرفض لوجودهم، وإشعارهم بأنهم حالة غير طبيعية وليس لهم موقع بين المسلمين، فالحكم متوقف على شكل تصرفهم إزاء كيان الأمة

(١) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(٢) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

الإسلامية.

أ: أشكال انتهاكات حرمة الاسلام

يمكن تلخيص اشكال انتهاك الاسلام والمسلمين بما يلي:

- ١- إهانة المسلمين وإذلالهم والإساءة إليهم مثل اعتقالهم بغير حق.
- ٢- الاعتداء على بيوتهم وأموالهم أو على عرضهم وشرفهم، مثل مدهامة البيوت واقتحامها بغير استئذان وتفتيش النساء من قبل الرجال، ومصادرة الممتلكات، والتطلع إلى نساء المسلمين وحریم بيوتهم.
- ٣- المخالفة العلنية للقيم والمبادئ التي يؤمن بها الشعب ويقدها لأنها مستمدة من شريعة الله تبارك وتعالى وفي ذلك اعتداء على أخلاق الأمة وعقيدتها.

٤- نشر الفساد والرذيلة والانحلال الخلقي كترويج الصور الخلاعية والخمور أو ممارسة الأفعال الجنسية اللامشروعة علناً، أو الظهور بهيئة مخدشة للحياء والعفة.

٥- منع الناس من حقوقهم المشروعة إسلامياً وإنسانياً، وتعويق أي محاولة لتحصيلها، وفرض أمور على غير أرائهم، كعرقلة تشكيل حكومة وطنية حرة من أشخاص اختارهم الشعب لبعض المواقع.

فأكد سماحته علي أن:

254

هذه بعض أشكال المحادّة مع الله ورسوله التي رتبّ عليها حكماً وهو إظهار الامتعاظ وعدم المودة والمقاطعة والرفض لهم، وجعل كل ذلك علامة لإيمان المسلم وإخلاصه له تبارك وتعالى، أيّاً كان الذين يقومون بهذه الأفعال حتى لو كانوا اقرب الناس إليهم كالأب والابن والأخ

والعشيرة، وقد جعل جزاءً عظيماً لمن يمثّل هذا الحكم وهو تثبيت الإيمان في القلب والتأييد بروح القدس وجنات النعيم والخلود، وهذه منازل عظيمة لا تنال إلا بالهمة العالية والإخلاص. وعلى ما قيل من أن الأمور تعرف بأضدادها فنستطيع أن نعرف من مقابلة هذه المراتب العظيمة بأضدادها استحقاق من لم يلتزم بهذا الحكم الشرعي فإنه سيصاب بسلب الإيمان من قلبه، والتوفيق من عمله، والخزي في الدنيا والذل والهوان في الآخرة والحرمان من جنان الله تبارك وتعالى ورضوانه وهو الخسران العظيم.^(١)

ب: عواقب العلاقات الودية مع منتهكين حرمة الاسلام

بين سماحته: فلا يخدعنّ أحد نفسه بأنه ينبغي أن نفعل كذا لأجل إظهار الصورة الحسنة لنا، فليلتفت إلى هذه العواقب الوخيمة هؤلاء الذين يقيمون العلاقات الودية معهم بكل أشكالها، وعليهم أن يعلموا أن من أعظم المحرمات في الشريعة هو الدخول في ولاية الكافرين، والرضا بتسلطهم رغم محاددتهم لله ولرسوله، وقد أكدّ القرآن الكريم عليها كثيراً وجعلها علامة بارزة لتمييز المؤمنين عن المنافقين ومن الأخلاق الفاضلة، فإن الله تبارك وتعالى كما أنه (غفور رحيم) كذلك هو (شديد العقاب) وكما أنه أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة كذلك هو أشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة، وقد أمر الله تعالى عباده أن يتخلقوا بأخلاقه ووصف أصحاب نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بأنهم [أَشْدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ

(١) خطاب المرحلة ج ٣ ص ٦٥، حكم التعامل مع الامريكان.

بَيْنَهُمْ^(١).

فلسنا نحن من نحدّد الأخلاق الفاضلة والصورة الحسنة وفق ما تشتهيهِ أهواؤنا وتقتضيه مصالحنا، بل وفق ما تأمر به الشريعة. فسلوك المؤمنين متوقف على سلوك الطرف الآخر فإن احترم قوانين الإسلام وحافظ على مقدساته ولم ينتهكها فلا مانع من التعامل معه في ما فيه مصلحة البلاد والعباد، وإلا فالشكل الآخر وعليهم أن يثبتوا صدقهم في ما يقولون، وعلى المسلمين أن يكونوا حريصين على هويتهم الإسلامية بكل ما تتضمنه من عناصر العقيدة والأخلاق والتصرف النظيف، ولا يفرطوا في شيء من ذلك تحت ضغط أهواء النفس أو الحاجة الاقتصادية أو الانبهار بالحضارة الزائفة التي تستبطن عوامل الانهيار والفناء وإن بدا وجهها برافاً.

وقد كتب سماحة المرجع اليعقوبي عدة محاضرات طُبعت بكتاب عنوانه (نحن والغرب) يبين فيه هذه المسألة وما تتضمنها من تحديات وما تقتضيها من تكاليف، فينبغي الاستفادة منه وقراءته بإمعان وتطبيق ما فيه.^(٢)

المطلب الثاني: الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية

إن الأمة الإسلامية تمرّ بظروف صعبة، ومرحلة عصيبة؛ لقد اعترتها التصدعات وعوامل الوهن؛ وهي تواجه تحديات كبرى. وفي مقابل ذلك نجد ان ما يحيط بالأمة الإسلامية من أوضاع مأسوية تسودها الفرقة والتمزق والاختلافات المذهبية والتنازعات القومية والخصومات الاقتصادية

(١) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٢) خطاب المرحلة ج ٣ ص ٦٥، حكم التعامل مع الامريكان.

والسياسية والحدودية. ويسعى سماحة المرجع اليقوبي (حفظه الله) بإرشاداته وبياناته إلى محاولة تشخيص العلة والداء، ومحاولة لتشخيص العلاج قبل أن يعتري الأمة الزوال والفناء ويساهم في حل أزمة التنازعات التي أدت إلى التفرق.

وذكر سماحته ان الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)^(١) ويعتمد أسلوب الحوار والحجة والبرهان واحترام الآخر والعدالة بين جميع البشر، والشواهد على ذلك كثيرة من القرآن الكريم وسنة المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، ومن الشواهد التاريخية ما كانت عليه الأجواء العلمية والاجتماعية السائدة في بغداد باعتبارها عاصمة التقريب والتعايش بين الأديان والمذاهب، وبقيت على ذلك إلى أيام الشيخ المفيد والشيخ الطوسي (قدس الله سرهما) وقد تسنّمنا رئاسة كرسي الكلام على جميع المذاهب آنذاك حيث عاش المسلمون جواً تقريبياً وتعايشاً مذهبياً مميزاً قبل حصول الفتنة وانتقال الشيخ الطوسي الى النجف الاشرف، لافتاً الى ضرورة فهم فقه العامة والإحاطة به للوصول الى نقاط التقارب وفهم طريقة الأئمة المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في معالجة المسائل الخلافية، وهو أسلوب اعتمده سماحة المرجع اليقوبي في بحثه الفقهي الموسوم (فقه الخلاف)، تأسيساً على قواعد المدرسة التي انشأها السيد البروجردي (قُدْسِيَّيْنِ).

وقال سماحته: لقد أكدت في كلماتي السابقة على ضرورة الدخول الى عمق التفكير التكفيري ومعالجة مكامن الخطر فيه.. لأن التكفير

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

والتطرف ليس فعلاً أو حدثاً، وإنما هو ثقافة وفكر مبني على أسس تدفع الآخر للقيام بأفعال معينة معادية ذات طابع عدائي، فلا بد من معالجة وتفكيك بنيته الفكرية وخلق ثقافة مضادة له، والتنبيه والتعريف بحجم الاخطار المحدقة بالدين الاسلامي والبلاد الاسلامية.^(١)

يبين الشيخ أثر الاختلافات على وحدة الأمة الإسلامية، وأنواع الاختلافات والتنازعات، وأسباب اختلاف المسلمين، والدور الصهيوني في الصراعات الداخلية، وتأثير الاختلافات والتحديات الداخلية لوحدة الأمة الإسلامية في تأسيس المذاهب الفقهية.

اولاً: الوحدة وأهميتها في فكر المرجعية

الوحدة في دين الإسلام المقدس من أهم الأمور الاجتماعية التي تيسر التخلص من أنواع التبعية والنجاح في إصلاح شؤون المجتمع، وتسهل للمسلمين المقاومة أمام أي نوع من مؤامرات الأعداء و هجماتهم. و بما أن الإسلام دين المحبة والأخوة، يدعو الناس إلي الوحدة الشاملة التي لا يمكن الحصول عليها إلا برفع التنازع والشقاق، وترك العصبية والخلافات، وإزالة الأوهام، والإبتعاد عن إثارة ما مضى في أعماق التاريخ من ضغائن وعداوات. وفضلاً عن ذلك فإن للوحدة أهداف عالية وأهمية كبيرة بحيث أنّ المصلحين الكبار طوال تاريخ الإسلام خطوا في هذا الطريق متابعين للقرآن الكريم والسيرة النبوية، وحاولوا تشكيل الصلات

(١) خطاب المرحلة (٥٩٢) جامعة المذاهب الإسلامية مشروع ناهض للوحدة الإسلامية وللحد من مخاطر التكفير والتطرف الفكري والديني.

الدينية الوثيقة والأخوة العاطفية العميقة بين المسلمين.

ويؤكد سماحته على أهمية تعزيز ثقافة التقارب والتعايش المذهبي ونشر مبادرات والمشاريع التقريرية وتنمية وترويج الثقافة المناهضة للتطرف والتكفير خاصة في البلدان التي استهدفتها مؤامرة التكفير والتطرف وطالتها الاجندات المسمومة^(١).

الأمة الإسلامية أمة واحدة؛ تلتقي وتجتمع وتشارك في عقيدة واحدة، ولها منهج واحد، وترتبط بمصالح واحدة، ولها مصير واحد، وتواجه عدواً متعدداً ولكنه وحد صفوفه وإمكاناته المتنوعة للقضاء عليها وعرقلة حركتها التاريخية، وهذا ما أشار إليه المرجع العنقوبي:

(الالتفات إلى القواسم المشتركة بيننا وهي كثيرة، فربنا واحد ونبينا واحد وكتابنا واحد وقلبتنا واحدة وعدونا واحد وهمونا واحدة ومصالحنا واحدة ومستقبلنا واحد وأسس ديننا واحدة).^(٢)

وقدم دين الإسلام للبشرية تشريعات شاملة لجميع نواحي الحياة، ولاسيما الإنسانية منها، بحيث تؤسس أصولاً في التلاقي الفردي، واللحمة الأسرية والرحمية، والتكافل الاجتماعي والإنساني، وهي تُعدّ من أرقى التشريعات وأكملها في المجتمعات الإنسانية؛ كونها تكفل حياة سعيدة ومطمئنة للإنسانية في الدنيا والآخرة، من خلال رؤيتها وبنيتها العقدية والقيمية والتشريعية التي تأخذ بيد الإنسانية إلى كمالها ورقبها على المستويين الفردي والاجتماعي.

(١) المصدر نفسه.

(٢) خطاب المرحلة ٢.

ويعدّ الشيخ اليقوي من الشخصيات القيادية والعلمية المفصلية في تاريخ الأمة الإسلامية، التي أرست الوعي والنهوض على الظلم في وجدان الأمة، وأوضحت المخاطر التي تحيط بالأمة الإسلامية بمقدّرات الشعوب لا سيما الشعب العراقي، ودعت الشعوب إلى عدم الرضوخ للظالمين والمستكبرين وإلى التصديّ لهم، ومواجهة كلّ ما يهدّد وحدتهم ويسبّب إضعافهم.

وتعالج هذه الأفكار في قضية الوحدة الإسلامية، والنهي عن التفرقة بين المسلمين، وبيان الأمراض التي تفتك بجسد الأمة الإسلامية، وسُبل علاجها والوقاية منها.

ومن هذه المخاطر هي قضية التفرقة بين المسلمين التي عمل الغربيون على تسعيرها بين المسلمين، فمنذ أن دخل الاستعمار الأوروبي إلى البلدان الإسلامية كانت التفرقة بين المسلمين من المبادئ الحتمية في سياسة المستعمرين، متوسّلين بسلاح الطائفية تارة، وبالنعرات الإقليمية والقومية تارة، وبغيرها من الأسباب، ولهذا اعتبر أنّ عزّة المسلمين وعظمتهم ترتبط بوحدتهم، وأنّ الدعوة إلى الإسلام تعني الدعوة إلى الوحدة؛ أي أنّ يجتمع الجميع تحت راية الإسلام وكلمته.

فالذين آمنوا بالإسلام يقبلون القرآن ومحتوى القرآن الذي يقول: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)^(١)، فيلتزمون بكلّ ما تقتضيه الأخوة من الاهتمام بشؤون إخوتهم في السراء والضراء، فيتألّمون لألمهم ويفرحون لفرحهم.

(١) سورة الحجرات الآية ١٠.

والوحدة الإسلامية ضرورة شرعية وعقلية، وهي من أهم مقومات البناء الحضاري وهي سر إنتصار الإسلام وإستمرار وجوده ودوره الريادي العالمي، ولهذا أكدت الإرشادات والتوجيهات القرآنية والنبوية وتوجيهات أئمة أهل البيت (عليه السلام) وتوجيهات المرجعية على جعلها حاکمة على العلاقات في جميع مجالاتها، وقد هيا الله تعالى للأمة الإسلامية قادة مصلحين يرشدونها ويوجهونها نحو تحقيق الوحدة، ومن أبرزهم في الوقت المعاصر السيد الامام الخميني والسيد القايء الخامني والسيد محمد باقر الصدر والسيد محمد الصدر والشيخ محمد يعقوبي فقد سار على طريق من سبقه في تبيان اسباب الفرقة واثارها السلبية وعلاجها او الوقاية منها، وكان يتابع الأحداث والمواقف ليجعلها موقظة للقلوب والعقول، ويحذر من الكيد والدس والتربص المخطط له من اعداء الاسلام، فيتعامل مع الواقع ذاته لا مع فروض ذهنية تترك الواقع وتصبح غرضاً في ذاتها.

وهو حكيم في تجاوز الأزمات والقضاء عليها في مهدها قبل أن تتأصل في العقول والقلوب في بداية حدوثها ليحذر منها ويحجمها في مهدها، فلو اثيرت فتنة يراد منها الوقعة بين مكونات الأمة، ولم يحمل من أبناء المذاهب المسؤولية بل يحمل أعداء الأمة مسؤولية إثارتها، فيقطع الطريق أمام المتآمرين لكي لا تتوسع دائرة الفتنة والفرقة. فنشير الي توجيهات وارشاداته في المحاور الآتية.

ثانياً: أسباب وعوامل الفرقة

في الفكر الاسلام السياسي هناك اهمية ومكانة متميزة لمفهوم الوحدة

الاسلامية ويكشف الوضع الحالي للعالم الاسلامي والمومارات الشيطانية المتعددة لخلق الخلافات والعداوة بين المسلمين عن هذه الضرورة. ولا شك في أن الدراسة الدقيقة للتجارب القديمة لدي زعماء الوحدة الاسلامية في العالم المعاصر خاصة دراسة آراء و افكار الشيخ اليقوي، ضرورية جدا. وهناك أسباب وعوامل ادت الى عدم تحقق الوحدة بين مسلمي العالم ، يمكن أن تصنف الى صنفين.

أ: الأسباب والعوامل الداخلية

الأسباب والعوامل الداخلية، وهي ناشئة من داخل النفس الإنسانية وممارساتها العملية، ومن اضطراب العلاقات بين أفراد المجتمع.

ب: الأسباب والعوامل الخارجية

الأسباب والعوامل الخارجية، وهي ناشئة من مخططات ومؤامرات أعداء الإسلام، بتصيدهم للهفوات والثغرات، والدخول من خلالها إلى داخل الصف الإسلامي، لتشتيته وتمزيقه.

أ: الأسباب والعوامل الداخلية

أولاً: الأهواء النفسية

إذا ابتعد الانسان عن الله تعالى وتجرد من الإخلاص له، وانسلخ عن مفاهيمه وقيمه، فانه سيبتعد ويتجرد وينسلخ عن الغطاء الواقى والدرع الحامي، فينحرف عن الهدى والإستقامة ويهبط من الأفق المشرق الرحب فتستحوذ عليه الأهواء لتدفعه الى علاقات وممارسات سلبية في تعامله مع الآخرين، فيحكم الاضطراب والارتباك على مسيرته ومسيرة الآخرين،

فتشتت علاقات المودة والإخاء والتآزر لتحل محلها الخلافات والصراعات النابعة من الأهواء والرغبات غير الصالحة، فيتمزق المجتمع الواحد ويسوده الحقد والعدوان.

والأهواء النفسية من العوامل الضاغطة على الانسان فيندفع تحت تأثيرها ليمارس ألوان من الأعمال والنشاطات والفعاليات دون ادراك مساوئها وأضرارها الوخيمة على نفسه وعلى الآخرين، ومن أخطرها تشتت وتمزق المجتمع.

وقد أشارت الروايات الشريفة الى الآثار والنتائج الوخيمة التي يخلفها الهوى على حركة المجتمع.

قال الامام علي (عليه السلام): (إما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولى عليها رجال رجالا على غير دين الله...).^(١)

وفي ذلك قال سماحة الشيخ اليقوي دام ظلّه: (أن التنازع لم يحصل الا عندما استسلم كل شخص لهواه واطماعه وفشل في مجاهدة نفسه والالتزام بما يريد الله تبارك وتعالى).

وقال ايضا: «من نقطة اتباع الأهواء والانانيات والتعصب بحيث يجعل هواه وارادته هي المتبعة والحاكمة في الاختلاف وحينئذ يقترن به الشيطان ويسول له أن الرضوخ للحق هو هزيمة واهانة واذلال بينما الصحيح هو أن الحق احق ان يتبع وطالبه هو الغالب دائما».

(١) نهج البلاغة: ٨٨، تحقيق صبحي الصالح.

حيث أن الأهواء النفسانية تجعل كل انسان او كل طرف او تجمع يعمل لذاته او لفئته فلا يفكر الا في ميدان محدود وأفق ضيقة، فتكون جميع او أكثر مواقف وممارساته نابعة من مصالحه الانية الضيقة دون تفكير بالمصلحة العليا المتمثلة بمصلحة الاسلام.^(١)

والإنسياق وراء الأهواء النفسية يؤدي إلى ظاهرتين سلبيتين:
الأولى: غياب الميزان النظري الثابت الذي توزن به الافكار والعلاقات والوجودات الإجتماعية والسياسية، فلا يبقى مرجع يرجع اليه في حال الاختلاف لتقويم الاراء والممارسات ومعرفة درجة قربها وبعدها عن المنهج الصحيح والمستقيم.

الثانية: طغيان الأنا أو المصلحة الشخصية في العلاقات والارتباطات مع الآخرين من افراد او تجمعات او كيانات. وغياب الميزان النظري وطغيان الأنا هو الذي يجعل البعض يتحولون من رفض الفعل إلى رفض فاعله مما يزيد من الفرقة والتمزق وهذا ما اشار اليه سماحة الشيخ قائلاً: «فالمشكلة التي تعاني منها وتمزق وحدة المجتمع هي التوسع من رفض الفعل إلى رفض نفس الفاعل، وبدل الاعتراض على الفعل نفسه كحالته يتحول إلى رفض الشخص كلياً وتسقيطه وتفسيقه وإلغائه ولو كان إنساناً مؤمناً ملتزماً بالخط العام للشريعة، وفي هذا خروج عن القواعد الشرعية وتجاوز للحدود».^(٢)

(١) موفق مجيد و ايوب احمد الموسوي، تأصيل الرشد الاسلامي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧،

ص ٣٥.

(٢) خطاب المرحلة ٣٥٥.

ثانيا: التعصب للانتماءات

التعصب من أخطر الظواهر التي تصيب الأمة وهو منشأ الكثير من الممارسات السلبية التي تنخر في جسد الأمة وتؤدي إلى التفكك والاضمحلال والتدهور والنكوص الحضاري وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن التعصب في جميع ألوانه ومظاهره وعد المتعصب خارجا عن الوجود والكيان الإسلامي فقال: (ليس منا من دعا عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية).^(١)

والعصبية هي إعانة المتعصب لقومه وطائفته على الظلم، فعن واثلة بن الاسقع قال: (قلت يا رسول الله ما العصبية؟ قال: أن تعين قومك على الظلم).^(٢)

وعن سراقه بن مالك المدجلي قال: (خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله): خيركم المدافع عن عشيرته مالم يأثم).^(٣)

وقال الامام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام): (العصبية التي ياثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيرة من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية ان يعين قومه على الظلم).^(٤)

وقال سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله):

(١) سنن ابي داود: ٩٠٦، حديث ٥١٢١.

(٢) المصدر نفسه، ٩٥٦، حديث ٥١١٩.

(٣) المصدر نفسه، ٩٥٦، حديث ١٥٢٠.

(٤) الكافي: ٣٠٨، ٣٠٩ كتاب الأيمان والكفر، باب العصبية، الحديث: ٧٠.

(نبت الفرقة والخلاف باجتناّب أسبابه التي أهمها التعصب للانتماءات سواء كانت للأشخاص أو الجهات ومحاولة الغاء الآخر والتطرف في المعتقدات والتحجر في الأفكار فلا بد أن نحترم وجهات نظر الآخرين خصوصا أخواننا في المذهب والدين ونعتقد أن الأنماط المختلفة من السلوك إنما هي ادوار مختلفة يؤديها أصحابها لتصب في هدف واحد وإذا أريد أقتناع الآخرين فبالحوار والدليل والحكمة والموعظة الحسنة وليس القسر والإكراه).^(١)

والنهي عن التعصب يحصن المسلم من التفرق والشتت لأنه في حال الخصومة والخلافات سيرجع إلى الميزان الثابت وهو القرآن والسنة وتقويم الأشخاص والوجودات والأعمال والأحداث بعيدا عن الدوافع الناجمة عن الأهواء والأمزجة والمصالح والمنافع الضيقة، فلا يحايي جماعته ولا قومه ولا فئته ما دام يزنها بالميزان الثابت، وبالتالي يستطيع تشخيص الموقف الحق فيقف إلى جانبه ويتخلى عن الموقف الباطل وإن كان صادرا عن انتمائه الذي ينتمي إليه.

ثالثا: الاختلاف

الاختلاف ظاهرة طبيعية في الواقع الإنساني؛ لاختلاف الإنسان عن أخيه الإنسان في الفكر والعاطفة والسلوك تبعا للاختلاف في الوراثة والمحيط الاجتماعي الذي يكون الشخصية الإنسانية بتفاعله مع الوراثة، وما يزخر فيه من أفكار ومفاهيم وقيم حضارية وتربوية واجتماعية وسياسية

(١) موقع سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) ٢٠١٦-٠٤-١١-١٤٣١-٩-٣.

واققتصادية، ودرجة وأسلوب التلقي.

والاختلاف أريد منه التنافس المشروع والتكامل في بناء النفس والمجتمع، ولكنه في الواقع غير ذلك، فهو عامل من عوامل الفرقة لتأثره أو تفاعله مع العوامل الأخرى النفسية والاجتماعية، حيث يترتب عليه الاعتزاز بالمفاهيم والقيم الموروثة، والأنس بها، حتى تصبح جزءا من كيان الإنسان. يقول الإمام علي عليه السلام: (سبب الفرقة الاختلاف).^(١)

والاختلاف قد يكون اختلافا عقائديا بين عقيدتين متضادتين، أو اختلافا في فهم العقيدة الواحدة في أسسها أو في تفاصيلها، وقد يكون اختلافا في الولاء لهذه الشخصية أو تلك، ولهذا التيار أو ذاك، أو اختلافا في الوسائل والأساليب الموصلة للهدف، أو اختلافا في المصالح الآنية والمستقبلية.

وأشار سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظلّه) الى لونين من الخلاف خلاف طبيعي وخلاف مذموم، والاختلاف الطبيعي هو الاختلاف الذي يحسم ويتوقف بالرجوع الى القيادة الشرعية:

(إن الخلاف بين الناس يمكن أن يحصل بسبب اختلاف الفهم أو النوايا أو بسبب تدخل الآخرين والعوامل الخارجية ونحو ذلك، وهو بهذا المقدار يبقى ضمن الاطار الطبيعي مادام المختلفون عازمين على أن يعودوا إلى حكم الشريعة وحاكمها والقيادة الشرعية الرسالية ليفصل بينهم وعليهم التسليم له وان يكون مبتغاهم دائما معرفة الحق واتباعه).^(٢)

(١) تصنيف غرر الحكم: ٤٦٦، عبد الواحد الامدي.

(٢) خطاب المرحلة ٤٥٥.

أما الخلاف المذموم المؤدي الى الفرقة فهو الخلاف الناجم من الابتعاد عن الشريعة والقيادة (فالتنازع المذموم انما يقع من نقطة الابتعاد عن حكم الشريعة وأوامر القيادة الرسالية الحقة والتشكيك فيها والتمرد عليها).^(١)

رابعاً: انحراف القادة

في رواية عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه قال: (صنّفان من أمتي اذا صلحا صلحت أمتي، واذا فسدا فسدت أمتي الفقهاء والامراء).^(٢)
وقال الامام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (زلة العالم كانكسار السفينة تغرق وتغرق معها غيرها).^(٣)

فاذا كان القادة مبتعدين عن بعض الاخلاق الحميدة، فان ذلك يؤدي الى الاختلاف والفرقة فيما بينهم أولاً، وفيما بينهم وبين الأمة التي تبتعد عنهم.

وقد تطرق سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظلّه) الى ذلك في قوله: تصوروا لو أن هذه الصفات (الصدق، الرحمة، العفو إلى المسيء، العمل على تحقيق مصالح الناس وإسعادهم) توفرت في قادة البلاد هل تصل الحال إلى ما نحن عليه الآن من التمزق والتناحر والصراع الطائفي والعرقي والفساد والعبث بأموال الشعب، فإذا أردنا الحل فإنه يبدأ من الالتفات إلى هذه المبادئ السامية والأخلاق الكريمة حتى تتحول إلى خلق ثقافة عامة

(١) خطاب المرحلة ٤٥٥.

(٢) تحف العقول: ٣٦.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ٤٧.

مبنية عليها، والعمل الجاد لترسيخها).^(١)

وساق سماحته مثالا من تجربة حكام الاندلس حينما اختلفوا وتناحروا، فقال (هزيمة المسلمين في الاندلس وانحسار دولة الإسلام عن تلك الأرض الأروبية بعد سلطة دامت حوالي ثمانمائة عام حينما انقسم المسلمون تبعا للامراء وملوك الطوائف وتنازعوا وأصبح بعضهم يتآمر على بعض ويستقوي بالأعداء على اخوته).^(٢)

خامسا: الجهل وقلة الوعي

يُعتبر الجهل من الآفات الخطيرة التي تواجه المجتمعات، والتي تتسبب في أضرار هائلة على الصعيد الفردي، والمجتمعي، الجهل من أخطر الأمراض على الروابط الاجتماعية والسياسية وجميع ألوان الروابط حيث يؤدي إلى التقاطع والتنافر بسبب سوء الفهم وسوء التقدير وسوء الحكم على الآخرين، والتسرع في اتخاذ القرار وعدم تشخيص الموقف السليم تجاه الأفكار والأشخاص والوجودات، وعدم التمييز في حال الاختلاف بينها، والانسحاق وراء المخططات والمؤامرات المحاكة ضد الوجود والكيان الصالح، وعدم تشخيص المصلحة والمفسدة. يقول الإمام علي (عليه السلام): (لو سكت الجاهل ما اختلف الناس).^(٣)

وسكوت الجاهل أعم من السكوت في الحديث، فهو توقف عن أي حركة أو ممارسة في القول أو الفعل، فلرب قول أدى إلى صراع طويل

(١) خطاب المرحلة ٣٥٦.

(٢) خطاب المرحلة ٤٥٥.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ٤٦٦.

بسبب إشاعة مغرضة أو اتهام باطل، أو حكم مرتجل على شخصية مرموقة أو تيار معين، ولرب موقف أو ممارسة أدت إلى فتنة عمياء تحرق الأخضر واليابس، بإثارة الاضطراب والبلبله داخل المجتمع، وإثارة الأضغان والأحقاد بمواقف عملية صاخبة ومتشجعة.

وقد أشار سماحة الشيخ يعقوبي (دام ظلّه) الى دور الجهل في الفرقة والتمزق فقال: (الوحدة وتراص الصفوف وتذويب الخلافات سواء كانت دينية أو شخصية أو اجتماعية، وهذه المسيرات الجماهيرية التي خرجت ولا زالت تخرج وهي تطالب بتوحيد الأمة مهما كانت اتجاهاتها المذهبية أو الطائفية أو العرقية، حيث تسير الجموع متحابه متألفة قد جمعتها الأهداف المشتركة عراق مسلم، حر، مستقل، تتحقق فيه العدالة وتكفل فيه حقوق الإنسان، لا استبداد فيه لأحد، ولا استئثار بثروات الأمة ولا تبديد الطاقات)، وحتى حينما كان يشعل المغرضون والجهلة فتنة لكي يفرقوا بين الإخوة كانت النتائج تأتي بعكس ما يخططون له، وتكون نفس الفتنة سببا للوحدة والتقريب وتناسي الاختلافات الجزئية).^(١)

سادسا: الإنشغال بالممارسة

إن مسؤولية الانسان المسلم - فردا كان أم جماعة - هي السمو والتكامل وإقرار المفاهيم والقيم الالهية في الواقع، بتغيير الذهنية الى ذهنية إسلامية، وتغيير السلوك الى سلوك إسلامي، بالعمل الجاد والحركة الدؤوبة

دون كلاً وممل أو تراجع أو تردد أو نكوص، والابتعاد عن جميع المعوقات والمثبطات ومن أهمها الإنشغال بالممارسة والمناقشات الصاخبة التي تبذل فيها الجهود وتبدد فيها الطاقات دون جدوى حيث أنها تؤدي الى الحقد ومن ثم التقاطع والتدابير والتمزق وهي عوامل مساعدة على الابتعاد عن الاهداف الكبرى والمسؤوليات الالهية.

وقد أشارت الروايات الشريفة التي ذكرها سماحة الشيخ اليقوي دالة الى خطورة المراء والممارسة على وحدة وتآلف الصف الاسلامي ومنها:
 روى الإمام الباقر (ع) عن آباءه عن رسول الله (ص) قال (من لاحي - أي خاصم ونازع - الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته)، ثم قال (ص) (لم يزل جبرائيل ينهاني عن ملاحات الرجال كما ينهاني عن شرب الخمر وعبادة الأوثان). وروي عنه (ص) قوله (لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقاً).

وعنه (ص) قال: (من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة) - (اي ما حولها خارج عنها).

حيث أن الممارات والمناقشات تؤدي إلى التقاطع والتدابير بالاراء ثم بالأقوال والخطابات ثم بالمواقف العملية وحيانا تتأجج المواقف العملية التحول الى استخدام القوة والسلاح وممارسة القتل. والمراء هو النقاش من أجل النقاش وليس الوصول الى الحقيقة، ولا باعث له إلا محاولة الانتصار للرأي الذاتي، واثبات خطأ الآراء المقابلة، ويكون مصحوباً بممارسات وتوجهات سلبية كاحتقار المقابل واطهار جهله، وقد يصاحبه التكبر والشتم

والسباب والالتهام بالحمق والجهل والفسق والكفر، وجميع ذلك يؤدي الى التدابر والتقاطع، حيث يبدأ بالقول ثم بالموقف العملي.

وتتنوع اساليب الممارسة، فقد تكون فردية بين فرد وآخر، أو جماعية بين جماعة وأخرى، وقد تكون بتأليف كتاب أو إلقاء خطبة وما شابه ذلك، فيتعصب المماري لأفكاره ومتبنياته المذهبية، وان إقنع بخطئها لأنه يرى أن أفكاره قد أصبحت جزء من كرامته ووجوده، وأن التنازل عنها هو تنازل عن كرامته ووجوده، فيصر عليها ولا يتنازل عنها فلا تحقق الممارسة اي اصلاح أو تغيير في مقومات الشخصية: الفكرية والعاطفية والسلوكية، ومن خلال متابعة حركة المسلمين التاريخية وجدنا أن الممارسة لم تزد الممارين الا نفورا وتدابرا وتقاطعا.

إنّ أفضل طريقة للتعامل مع الاختلاف هي الحوار والإصغاء، من المهم جداً الاستماع للرأي المختلف والوقوف على ما وراء الكلمات المجردة؛ حيث أن هذا يساعد على فهم أفكار الرأي الآخر، وحينها قد يولد العطف وتقدير قيمة وجهات النظر على الرغم من بقاء الاختلاف، وليس من المهم الوصول إلى اتفاق على وجهات النظر بل المهم فهم وجهات النظر المختلفة.^(١)

272 سابعا: عدم الالتزام بتعاليم السماء

الإنسان والمجتمع في تدهور وإضطراب وخسران في جميع مقومات

(١) موفق مجيد و ايوب احمد الموسوي، تأصيل الرشد الاسلامي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧،

الحياة وميادينها، باستثناء من تكون المفاهيم والقيم الدينية هي الحاكمة على مسيرته وحرّكته، وأثبتت حركة التاريخ وسننه المتتابعة إن الإبتعاد عن الدين فكراً وسلوكاً هو أساسي جميع ألوان ومظاهر المشاكل والصعوبات والأزمات، ومنها الخلاف والنزاع والتشتت والفرقة، فالإبتعاد عن الدين يؤدي الى تحكّم القيم المادية بأذهان الناس والسعي وراء تحقيقها بمواقف وممارسات سلوكية وعملية، فتتقهقر القيم الروحية، وتتجمد القيم الصالحة، والموازن في العلاقات بين الناس.

أصيب الاسلام بمصيبة التفرقة وتجزئة بلاده، وفصلها عن سياسة الحكم الديني وشرائع الاسلام وتعاليمه وارشاداته، فكل دأنا يعود إلى ترك العمل بالقرآن والاكتفاء باسم الاسلام، وعدم تطبيق تعاليمه الكاملة الرشيدة على حياتنا العامة والخاصة. فالإبتعاد عن الدين يخلق أجواء الإنسياق وراء الأهواء النفسية، والتكالب على الدنيا من أموال ومناصب وما يرافقها من نزاع وصراع.

والإبتعاد عن الدين يخلق الهفوات والثغرات التي ينفذ منها أعداء الدين لبلبله الأفكار وإشاعة الإضطراب في العلاقات بجميع ألوانها ومظاهرها، فيقع الفرد والمجتمع في جائلهم ومخططاتهم وفي مقدمتها تشييت وتمزيق أواصر المحبة والمودة والأخوة والوحدة، والمصير الواحد. وبعبارة أخرى الابتعاد عن الدين، هو السبب والعامل الأساسي في الفرقة بين المسلمين.

ب: الأسباب والعوامل الخارجية

إن الصراع بين الإسلام والكفر متجذر في عمق التاريخ البشري منذ إن

وجدت عقيدتان ومنهجان وشريعتان تختلفان في المصدر والمبدأ، فالأولى إلهية والأخرى طاغوتية وسيستمر الصراع مادامت هناك عقيدتان ومنهجان وشريعتان ولا يتوقف الصراع إلا بدوبان احدهما في الآخر.

وإذا كان الإسلام يحث أتباعه بالدعوة إلى منهجه بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن الكفر لا يطيق مجرد وجود الإسلام عقيدة وكيانا ووجودا، فيطارده وينازله إلى إن يتنازل عن وجوده ويذوب في الوجود الآخر.

قال سبحانه وتعالى: (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ).^(١)

وقال سبحانه وتعالى حاكية عن المستكبرين: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيْنَتِنَا أَوْ لَتَعُوْدَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِيْنَ).^(٢)

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوْدَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِيْنَ).^(٣)

وقال سبحانه وتعالى حاكية عن اصحاب الكهف: (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْنَا مَرْجُومٌ أَوْ يُعِيْدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا).^(٤)

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٠

(٢) سورة الأعراف، الآية ٨٨

(٣) سورة ابراهيم، الآية ١٣.

(٤) سورة الكهف، الآية ٢٠.

وهذا ما وضحه سماحة الشيخ وبين أن الهدف هو ابعادنا عن الاسلام
وولاية أهل البيت (عليه السلام)، فقال:

(الصراع بين الخير والشر قديم بدأ مع خلق آدم (عليه السلام)، ثم تجلى في
صراع ابنه، وهو نابع من الصراع الأكبر في داخل الإنسان بين جنود
الرحمن التي تأتمر بالعقل، وجنود الشيطان التي تأتمر بأهواء النفس الأمارة
بالسوء. ويشهد بلدنا الحبيب اليوم حلقة جديدة من سلسلة هذا الصراع
الطويل فها هي أمريكا وبريطانيا والكيان الصهيوني جاءوا لينزعوا منكم
هذه الجوهرة الثمينة وهو الإسلام وولاية أهل البيت (عليه السلام) التي لا يعدلها
شيء.)^(١)

ويتخذ الصراع اساليب ووسائل متعددة كالتشكيك وبث الاشاعات
والشبهات والمحاورة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ثم يتطور ليصبح
ترغيب وترهية بالسجن والتهجير والقتل، ثم المنازلة العسكرية وهي اخر
المطاف.

ويسعى قادة الكفار في جميع مراحل الصراع الى اضعاف الوجود
الاسلامي من الداخل بإثارة الفرقة بين طبقاته وشرائحه، لأن الوحدة هي
السد المنيع والحصن الواقي من نجاح المؤامرات والدسائس. وهذا ما بينه
سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله):

(ومن أقدر الوسائل وأخطرها إشعال الحرب الطائفية وإثارة
الفتن بين المسلمين وتغذية التعصب واستفزاز المشاعر والعواطف الدينية

(١) خطاب المرحلة ٧.

بالأفعال الدينية التي لا يقوم بها حتى أشد الوحوش ضراوة وبطشا).^(١)
 وبقي هاجس الوحدة الاسلامية يراود قادة الاستكبار العالمي لانهم
 أيقنوا أنهم لا يستطيعون منازل الاسلام اقتصاديا او سياسيا او عسكريا،
 فمهما خططوا ونفذوا فان الاسلام بقادته وافراذه قادر على العودة الى موقعه
 الريادي بين الأمم لانه اطروحة الهية متجذرة في عقل وقلب وضمير الأمة
 الإسلامية، وانها قادرة على توجيه المسلمين نحو تحقيق الأهداف الكبرى
 في اقرار مفاهيم وقيم الاسلام في واقع الحياة والانتشار في كل بقعة
 جغرافية، وفشل الأطروحات الاستكبارية في تحقيق السلام والعدالة
 والسعادة للمجتمعات التي تنتظر من يقودها الى ذلك.

وقد صرح قادة ومفكرو الشرق والغرب بهذه الهواجس وصرحوا
 بخوفهم من وحدة المسلمين ومن هذه التصريحات:

قال سالازار ديكتاتور البرتغال السابق: (أخشى أن يظهر بينهم رجل
 يوجه خلافاتهم الينا).^(٢)

وهم يرون إن اتحاد المسلمين في دولة عظمى واحدة يشكل خطرا
 عليهم وعلى العالم اجمع.

قال لورانس براون: (إذا كان احد المسلمين في إمبراطورية أمكن إن
 يصبحوا لعنة على العالم وخطرا ... إما إذا بقوا متفرقين فأنهم يضلون حينئذ

(١) خطاب المرحلة ٣١.

(٢) قادة الغرب يقولون: دمروا الاسلام أيدوا اهله: ٨٣. بنقل من: موفق مجيد و ايوب احمد الموسوي، تأصيل الرشد الاسلامي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧، ص ٤٣.

بلا وزن وتأثير).^(١)

وكشف سماحة الشيخ المنهج والمخطط الاستكباري في عصرنا
الراهن والذي أصبح واقعا و مطبقا في الواقع بوسائل متعددة، فقال:
(يوما بعد يوم تنكشف وتضح الخطة الشيطانية التي أعدت للمنطقة
الإسلامية والعربية ضمن مشروع الشرق الأوسط الكبير، والتي تستهدف
تمزيق وحدتها ونسيجها الاجتماعي وتفتت دولها إلى دويلات وأقاليم
ضعيفة، ويبقى فقط الكيان الصهيوني القوة المهيمنة في المنطقة لاستمرار
السيطرة عليها، بعد أن احترقت ورقة تركييع الشعوب والتحكم بثرواتها من
خلال أنظمة ديكتاتورية تعتمد سياسة البطش والقسوة والتسلط بالحديد
والنار. وقد استخدموا لتنفيذ هذه الخطة وسائل عديدة على رأسها القوة
العسكرية وأموال دول البترودولار والالتفاف على حركة الشعوب
ومصادرة ثوراتها التي سميت بالربيع العربي حتى أخضعوها لإرادتهم
وبدأوا يحتمون بها من خلال الأنظمة العميلة في المنطقة).^(٢)

ومن هذه الأساليب العملية:

تجزئة الدولة الإسلامية.

إحياء الروح العنصرية والعرقية.

بث الخلافات المذهبية.

(١) الاسلام وشبهات المستشرقين: ٨٣، عن كتاب: التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٣.
بنقل من: موفق مجيد و ايوب احمد الموسوي، تأصيل الرشد الاسلامي، نشر دار القارئ،
٢٠١٧، ص ٤٣.

(٢) خطاب المرحلة ٣١.

ووجه سماحة الشيخ المسلمين عموما والعراقيين خصوصا الى المشاريع الإستراتيجية والخطط التكتيكية المعدة للمنطقة فقال:

(إن هذه الأحداث المؤلمة والمقلقة لا يصح أن نتعامل معها كمفردات جزئية غير مترابطة، بل علينا أن نضع كلا منها في مكانها من منظومة المشاريع الإستراتيجية والخطط التكتيكية المعدة للمنطقة، وهذا ما يجب أن تنتبه إليه شعوب المنطقة وخصوصا الشعب العراقي الممتحن الصابر الذي يراد له أن يكون وقود هذه الخطة الشيطانية، منذ حل الاحتلال الغاشم أرضه عام ٢٠٠٦ مرورا بتفجير الروضة العسكرية والحرب الطائفية الشرسة التي تلتها، والصراعات السياسية المستمرة إلى الآن على السلطة والمغانم تلك الصراعات التي يلبسونها ثوب الطائفتين زورا وبهتانا).^(١)

وحذر سماحته من هذه المخططات ودعا إلى الوعي والحيطة لكي لا ينساق المسلمون وراى بها فقال: (نهيب بالمسلمين كافة في أقطار الأرض أن يعوا مخططات الاستكبار والصهيونية وان لا يجعلوا من أنفسهم فريسة ولقمة سائغة تنهشها الوحوش الضارية).^(٢)

وبين سماحته أن الاعداء لا يميزون بين مذهب واخر او زعيم واخر فهم يستهدفون الجميع بما هم مسلمون، وفي ذلك حث على نبذ الخلافات والتوجه الى القضايا المصيرية، فقال:

278

(نبذ أسباب الفرقة والخلاف والالتفات إلى القضايا المصيرية التي تهمنا جميعا على حد سواء فان أعدائكم يحاربونكم لا لأنكم سنة أو شيعة

(١) خطاب المرحلة ٣١.

(٢) موقع سماحة المرجع الشيخ محمد اليقوي (دام ظله)

أو مقلدي سين أو صاد ولا لأنكم من هذه العشيرة أو تلك أو هذه المدينة أو تلك بل يحاربونكم جميعاً على حد سواء لأنكم مسلمون فاجتمعوا في مواجهةكم لهم على هذا المحور وهو الإسلام ولا تنشغلوا بالخلافات الجزئية وتنازلوا عن الكثير من حقوقكم من أجل عزة الإسلام ووحدة المسلمين^(١) (٢).

المطلب الثالث: الفرقة والتمزق وآثارها السلبية

يعد التعصب القومي والعنصري والمذهبي من جوهر الخلاف الذي فرق الأمة؛ ومن إستراتيجية اليهود التفتيت والتجزئة للعالم الإسلامي إلى دويلات؛ فإن النزاعات الإسلامية أفرزت حالة من الاضطراب الأمني في الإقليم وعدم الاستقرار السياسي؛ والإسلام دعا إلى الوحدة؛ لأنها طبيعته وركنه الذي تقوم عليه دعوته الدينية الموجهة إلى الناس كافة. ومن الحقائق الأساسية التي تجابه الإنسان في العصر الحاضر أن النموذج الحضاري الغربي يشغل مكاناً مركزياً في وجدان معظم المفكرين والشعوب. والادبيات والمفاهيم الدينية وفهمها فهما صحيحا تلعب دوراً بارزاً لتوحيد الأمة الإسلامية.

فلا بد أن تنبذ العصبية بكل أشكالها، والخلافات والفوارق الطائفية والقبلية والإقليمية والعرقية والمذهبية والقومية واللغوية، وأن تُحكَم الرابطة

(١) المصدر نفسه.

(٢) موفق مجيد و ايوب احمد الموسوي، تأصيل الرشد الاسلامي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧،

الإسلامية بين الجميع باتخاذ القرآن الكريم والسنة مصدرين للهداية والتوحد. وأن تحكّم الشريعة الإسلامية في الدول الإسلامية في كل شؤون الحياة.

فذكر الآثار السلبية للفرقة والتمزق علي ضوء الفكر الديني السياسي لسماحة المرجع العقبوي (دام ظله).

الاول: النكوص في قوة تحقيق الأهداف

بالوحدة يتحقق الأمن والسلام والطمأنينة، فيقضي بواسطة ادائه على جميع ألوان العدوان والاضطهاد والاستغلال، ويتحقق العدل وتحفظ كرامة الإنسان وحرية، ويتم الحفاظ على سلامة الأرواح والأعراض والأموال، ويقضي من خلال أدائه على جميع ألوان الاعتداء فيعيش الناس آمنين مطمئنين.

وبالوحدة يتم القضاء على جميع ألوان الانحراف والفساد، وإشاعة الأخلاق الحسنة في العلاقات الاجتماعية لتقوم على قواعد وأسس الشريعة حيث الصدق والوفاء والتراحم والتناصح وأداء الأمانة والرفق والإحسان والانطلاق لإسعاد المجتمع.

وبالوحدة يتحقق الشعور بالمسؤولية من قبل الجميع، وايصال عدول الفقهاء إلى موقعهم الريادي، وتطبيق حكم الله في الأرض طبقاً لقواعد الشريعة، وزوال الفوارق بين الحكام والمحكومين، والتأزر من اجل الأهداف الواحدة ومنع المنحرفين من الوصول إلى المراكز الحساسة في السلطة السياسية.

وجميع هذه المقومات هي مصادر قوة ومنعة ورفعة وعزة، وبالفرقة

يحدث عكس ذلك حيث الضعف في جميع المجالات.

وقد بين سماحة الشيخ هذه الآثار السلبية فبعد النظر للاية الكريمة الناهية عن التنازع، (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)^(١). قال سماحته:

(الآية تنهى المؤمنين عن التنازع والتخاصم فيما بينهم وتحذرهم، بأن عاقبة هذا التنازع هو الفشل والضعف والانهازم لأنهم سينشغلون بهذا الصراع الداخلي عن الاستعداد لمواجهة الأعداء وسينهك قواهم وسيفقدهم الثقة بأنفسهم ويحطم شخصياتهم ويذهب بحرمتهم وكرامتهم لأن كلا من الطرفين المتنازعين يريد أن يتغلب على الآخر بأي ثمن فيبذل طاقته في تسقيط الآخر والبحث عن عيوبه ونقائصه وإظهارها للآخرين لكي يثبت أحقيته وغلبته، فيسقط الجميع بهذا الانتقال المتبادل ويفشلون).^(٢)

وضرب مثالا واعيا وواقعا من الريح التي تحرك السفن في البحار، فقال:

(ويؤدي الفشل إلى ذهاب ريحهم أي عزتهم وقوتهم وغلبتهم وتسير الأمور على غير ما يريدون، وفي التعبير عن القوة بالريح رمزية وكناية دقيقة عن هذا المعنى لأن الريح هي التي ترفع الأشعة وتعطي القدرة لاندفاع السفن في البحار فإذا توقفت الريح فإن السفن تعجز عن الحركة ولم يتحقق الوصول إلى الهدف المطلوب، كذلك فإن الريح تجعل الأعلام والألوية ترفرف مرتفعة في ساحة الحرب فتشعر بالقوة فإذا ذهب الريح

(١) سورة الأنفال الآية ٤٦.

(٢) خطاب المرحلة ٤٥٥.

انتكست الأعلام وخارت القوى).^(١)

الثاني: غياب العناية الإلهية

إن العناية الإلهية بالناس عموماً وبالمسلمين خصوصاً لا تنقطع عنهم ولو للحظة واحدة. فهم يعيشون تحت ظل هذه العناية التي وهبت لهم الحياة وهبت لهم الاستمرار، وهبت لهم النعم التي لا تعد ولا تحصى، فهم يتمتعون في ظلال هذه الرحمة التي لا تكون في الآخرة وحدها، إنما تكون في هذه الأرض أولاً ثم الآخر ثانية.

والعناية الإلهية تجعل الإنسان قادرة على التمييز بين النافع والضار وبين الخير والشر، وقادر على تشخيص الأحداث والوقائع ليتخذ الطريق الأسلم له والذي يوصله إلى السعادة والهناء.

والعناية الإلهية هي الحصن الحصين للإنسان تحرره من الضياع والتخبط، ومن الحيرة ومن الأوهام، فيتوجه إلى الله تعالى مستمد منه العون والإسناد فيستشعر الأمان والصفاء وهو عميق الصلة بمنعم الوجود وبالركن الركين الذي تتهاوي فيه جميع مظاهر الضياع.

والعناية الإلهية تحفظ للإنسان كرامته وحرية وتجعله متعالياً على أسر الأهواء والشهوات وأسر المغريات فتطمأن روحه، وفي إطمئنانها السعادة والهناء.

وبالفرقة يحرم المجتمع من الرعاية الإلهية وتذهب منه روح الإيمان وطمأنينة القلب ويتورط المجتمع بمجموعة من الممارسات التي تشيع

(١) خطاب المرحلة ٤٥٥.

الاضطراب في جميع المجالات، وهذا هو الظاهر من قول سماحة الشيخ:
 (لا يختص الفشل وذهاب الريح والقوة بالجانب المادي وما يتعلق
 بالدنيا، بل تذهب القوة المعنوية أي روح الايمان وطمأنة القلب أيضا،
 فتخسر الأمة ريحها وروحها لان التنازع يوقع صاحبه في الكبائر من اجل
 تحقيق الغلبة فيتورط في الغيبة والكذب والبهتان والافتراء والتجسس على
 خصمه ليضعفه وهذه كلها من الكبائر الموبقة، ويبرر لنفسه المداينة
 والسكوت عن الباطل عند من يريد الاستقواء به على خصمه وينشغل
 تفكيره بالمجادلات والمنازعات عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة وهو من
 فعل الشيطان بهم وهكذا يذهب في منزلق خطير نحو الهاوية).

الثالث: تعطيل الطاقات وإستهلاك القوى

أن هدف المسلمين كأفراد أو امة هو هداية المجتمع الإنساني وإيصاله
 إلى قمة التكامل والسمو والارتقاء بتقرير المنهج الالهي في واقع الحياة
 وجعله الحاكم على الأفكار والمشاعر والمواقف، ولا يتحقق هذا الهدف
 الا بالعمل الجاد الدؤوب دون كلل أو ملل أو تراجع أو نكوص، بإزالة
 جميع المعوقات والمثبطات والمخططات والمؤامرات المحاكة ومواجهة
 قوة الكفر والطغيان والباطل.

وبما أن هذا الهدف يحتاج إلى التعاون والتآزر والانسجام والإتحاد،
 وتوحيد الامكانيات والطاقات البشرية والاعلامية والسياسية، وتوحيد
 الخطط والبرامج، فان التقصير بهذه المقدمات يؤدي إلى الابتعاد عن تحقيق
 الهدف، ولهذا فان الاختلاف والنزاع والتفرق يؤدي إلى تعطيل الطاقات
 واستهلاك القوى في أمور هامشية بعيدة عن الهدف الحقيقي.

الرابع: التبعية وفقدان الاستقلال

إذا أعد المسلمون عدتهم وفي مقدمتها خلوص النية لله تعالى وتقرير وتحكيم منهجه في نفوسهم وممارساتهم فإن النصر حليفهم، ومن مقومات هذا التحكيم الاعتصام بحبل الله ونبذ الفرقة، فوحدة الحكومات الإسلامية ووحدة البلدان الإسلامية بقادتها وحكوماتها وشعوبها هي السبيل الأساسي للنصر والانتصار، حيث يصبح المسلمون بها قوة عظيمة لاتضاهيها قوة فتصل إلى النصر من أقرب طرقه.

وقوة المسلمين العظيمة التي هي ثمرة من ثمرات الوحدة الإسلامية ستكون قوة واقعية أعظم وأكبر من جميع القوى المتحكمة في حياة ومصير الإنسانية؛ حيث تتجسد بقوة العقيدة وقوة المنهج الالهي وإستمداد العون من الله تعالى فهو أقوى القوى، وتتجسد بقوة المسلمين من حيث عدتهم وعددهم، وبهذه الوحدة تتحقق عظمة الإسلام والمسلمين وعزهم الذي هو مظهر من مظاهر العزة الإلهية وفي آثار الوحدة، وقد وعد الله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»^(١).

إن إرادة الله سبحانه وتعالى قد جعلت للحياة البشرية قوانينا لا تتخلف وسننا لا تتبدل، فالأمور لا تمضي جزافا، والحياة لا تجري عبثا، فكل ما في الكون والحياة خاضع لهذه القوانين والسنن وحيث توجد المقدمات والأسباب تتبعها النتائج، وان موافقة هذه القوانين والسنن والسير على مقتضاها تنتج اثارها الايجابية كما ان مخالفتها تنتج اثارا سلبية.

(١) سورة محمد الآية ٧.

ومن هذه القوانين والسنن الوحدة والاتحاد ونبذ الفرقة والتشتت والنزاعات، فالوحدة اهم مقومات البناء الحضاري للامة الإسلامية والمجتمع العالمي، والفرقة اهم مقومات النكوص الحضاري، والوحدة سر عظمة الإسلام وعز المسلمين، وذل المسلمين والفرقة سر الهزيمة والنكسة وانزواء الإسلام وسيطرة الأعداء.

وقد اشار سماحة الشيخ الى ذلك قائلاً:

(وهذه الامور مجربة ومعروفة في كل المنازعات مهما صغرت دائرتها او اتسعت كالخلاف بين الزوجين أو بين العائلة الواحدة على الميراث مثلاً او النزاع بين عشيرتين أو حزبين سياسيين أو بين جماعتين أو بين مقلدي المرجعيات الدينية المتعددة، او بين طائفتين وغير ذلك، وهكذا يستهلك المجتمع الواحد قوته وامكانياته في هذه النزاعات ويفسح المجال واسعا لخصمه ليستحوذ على حقوقه التي فرط فيها).^(١)

المطلب الرابع: علاج الفرقة وسبل التخلص منها

في أجواء الاختلاف والنزاع والفرقة تختلط المعايير وتضطرب الموازين، حيث تميع القيم وتارجح المشاعر؛ تتخللها اخطاء في التصورات واخطاء في الممارسات فتصبح الفئات المختلفة والمتنازعة عرضة للاهواء والرغبات والنزوات العارضة، فلا تتطلع إلى افق أعلى ولا إلى إهتمامات أرفع، وتنشغل بمعركة الجدل والمرء والتشكيك والكيد والدس والتربص، فلا تستطيع التحرر من ضغط المصالح والمغانم والمطامع الآنية الضيقة،

(١) خطاب المرحلة ٤٥٥.

وجميع ذلك لا يزيد الاختلاف والنزاع والفرقة الا توسعا واستشراء، ولذا فان الامة بحاجة الى الرجوع الى المفاهيم والقيم الاسلامية الصالحة، وبحاجة إلى من يوجهها ويرشدها لذلك، ويوجهها نحو الوقاية من الفرقة وعلاجها بعد الوقوع، ومن مظاهر هذه المفاهيم والقيم التي اكد عليها سماحة الشيخ العقبوي (دام ظله).

الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية عامة

الوجوب والحرمة هي الميزان الثابت الذي ترجع اليه الامة الإسلامية لتقويم اعمالها وممارساتها وتقييم عليه حياتها، وهي الميزان الذي لا يميل مع الأهواء ولا تغلبه النزوات، ولا يتأرجح مع الرضى والغضب، وهي الميزان الثابت الذي تستجيب له الأمة بلا حاجة إلى استخدام القوة حيث تستسلم عن فناعة واعية وتشعر من خلالها بقدسية الأوامر والنواهي، فتندفع نحو التقييد بها باطمئنان وقبول، ومن موارد الوجوب والحرمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن مصاديقها وجوب الأمر بالوحدة وحرمة الفرقة، وهذا ما اشار اليه سماحة الشيخ العقبوي (دام ظله) في قوله:

(ومن الطبيعي أن تحظى الفريضة بهذه الأهمية والمكانة العظيمة عند الشارع المقدس؛ لأن كل أمة - والأمة: هي الجماعة التي يجمعها أمر مشترك به ويكون محور اجتماعها ومحط أنظارها. لا يكتب لها البقاء والاستمرار إلا إذا حصنت نفسها بالتدابير اللازمة من الداخل والخارج ضد الأعداء الذين يريدون القضاء عليها، بتفكيكها وتمزيقها وإضعافها من

الداخل، أو باستئصالها والقضاء عليها من الخارج) (١) (٢).

الثاني: طاعة القيادة الربانية

طاعة الله تعالى يصد عن فعل القبيح لاستشعار الرقابة الإلهية المطبقة على حركات الإنسان وسكناته، فلا يقدم على اي ممارسة مخالفة للموازين الإلهية في السلوك والعلاقات الاجتماعية والسياسية، ولا يقدم على اي عمل لا يحرز فيه رضا الله تعالى وخصوصا الفرقة وهي من القبائح الكبيرة المنهي عنها.

وأول ثمار طاعة الله تعالى هو الابتعاد عن الأهواء والنزوات والمغريات غير المشروعة، وهو مقدمة لاصلاح النفس وتوجهها نحو العمل الايجابي المثمر، ومن مصاديق هذا العمل هو الإتحاد والوحدة المأمور بهما. وتتفرع على طاعة الله تعالى طاعة الرسول صلى الله عليه واله وطاعة أهل البيت (عليهم السلام) وطاعة العلماء المصلحين.

وفي شرحه للآية المباركة يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قال سماحة الشيخ العنقوبي (دام ظله):

(بالعودة الى الآية الكريمة فإنها تعطي الحل لحسم النزاع وانهاؤه وهما أمران كفيلان بازالة اسباب النزاع ومنعه من أصله، وبتركهما يحصل التنزاع وهما: التحاكم الى علماء الشريعة في كل اختلاف والتسليم والاذعان

(١) خطاب المرحلة ٣٥٤.

(٢) موفق مجيد و ايوب احمد الموسوي، تأصيل الرشد الاسلامي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧،

لحكمها سواء كان لمصلحته أو على خلافها... ولذا ابتدأت الآية بالأمر بطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه واله وطاعة القيادة الحقّة التي جعلها الله تعالى حجة على عباده فالالتزام بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). والرجوع إلى القيادة الحقّة هما الضمان من وقوع التنازع أو الانجرار اليه بسبب الاختلافات فالآية تشير الى سبيل تحقيق وحدة المسلمين ومنع تشرذمهم وهو ما عبرت عنه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ع بقولها: وجعل امامتنا نظاما للملة وامانا من الفرقة.^(١)

وحت سماحة الشيخ على الالتزام بالصبر في محور الاحتكام الى الشرع عند الخلاف والنزاع فقال:

(الالتزام بالصبر لأن الاحتكام الى الشرع والعمل بالتوجيهات الشرعية على خلاف هوى النفس يحتاج الى مجاهدة ومصابرة فيامرنا الله تعالى بالصبر ويعدنا باحسن الجزاء وهو (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) معهم مطلقا أي في كل الأحوال وفي الدنيا والاخرة، وكفى بهذه المعية حافزا ودافعا للصبر على القيام بما يريد الله تبارك وتعالى)^(٢) .^(٣)

الثالث: احياء الايام المباركة الموحدة

عمل رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على توجيه المسلمين وتربيتهم باتجاه الاخوة والوحدة ووضع ارشاداته وتعاليمه وبرامجه في العلاقات والروابط التي

(١) خطاب المرحلة ٤٥٥.

(٢) خطاب المرحلة ٤٥٥.

(٣) موفق مجيد و ايوب احمد الموسوي، تأصيل الرشد الاسلامي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧،

تنسجم مع اتساع أفق المفاهيم والقيم الإسلامية، ليمثلوها فكرة في عقولهم وعاطفة في قلوبهم وحرارة في واقعهم، واران منها أن لا تبقى حقيقة مجردة في الأذهان واللسان، وإنما حقيقة حية فاعلة متحركة ما إن تستقر في القلب حتى تتحرك لتحقيق ذاتها في العمل والحركة والسلوك.

وكانت ارشاداته وتعاليمه دستوراً وقانوناً يرجع إليه المسلمون في سيرتهم العملية؛ ليحققوا من خلاله مفاهيم الأخوة والوحدة في اجواء البلبلية والاضطراب وإختلاف الأمزجة وتصادم المصالح والمنافع، ولهذا ينبغي أن نحیی هذه الارشادات باحیاء ذكری المبعث الشریف واستذكاره، وهذا ماتطرق إليه سماحة الشيخ بقوله:

(إن من أعظم النعم التي من الله تعالى بها على الأمة بالبعثة النبوية الشريفة هو التاليف بين القلوب ونبذ الخلافات والنزاعات قال تعالى:

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ^(١)). وقال تعالى (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(٢)). فلنستذكر هذه النعمة العظيمة ولنحرص عليها كما أمرنا الله

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٢ - ٦٣.

تبارك وتعالى، ولنتعاهد في هذا اليوم المبارك على عدم الوقوع في التنازع والتقاطع والتخاصم قدر الامكان بفضل الله تبارك وتعالى^(١).

وجعل الشيخ ذكرى الامام الحسين وحبه وزيارته محطة وقود لعجلة الوحدة، فهي التي توحد الأمة بكل طوائفها وقومياتها وتوجهاتها الاجتماعية والسياسية ومختلف انتماءاتها الجغرافية والعشائرية، فقال:

(إنها توحد الأمة بكل طوائفها وقومياتها وتوجهاتها الاجتماعية والسياسية ومختلف انتماءاتها الجغرافية والعشائرية، وهذا واضح حيث يذوب الجميع في حب الإمام الحسين وبعضهم لبعض مما يستحيل تحقيقه في غير هذا الهدف قال تعالى: (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

(٢) (٣)

الرابع: التضحية بالمصالح الخاصة من اجل العامة

إن المصلحة الإسلامية العليا تتجسد في حفظ الدين الإسلامي باعتباره دعوة ومبدا وقاعدة للدولة، وحفظ الدين يتمثل في كل رأي أو موقف يساهم في ايجاد الوضع الافضل للاسلام والمسلمين، وهو يستدعي التعاون والتآزر وهذا ما قام به الامام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حيث تعاون مع الخلفاء حفظا

(١) خطاب المرحلة ٤٥٥.

(٢) خطاب المرحلة ٣٥٣.

(٣) موفق مجيد و ايوب احمد الموسوي، تأصيل الرشد الاسلامي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧،

للدين وقد جسد هذا التعاون في سيرته العملية وجعل المصلحة الإسلامية العليا قاعدة للانطلاق في آرائه ومواقفه وعلاقاته متوجها نحو الآفاق العليا ونحو الهدف الكبير.

وقد اشار سماحة الشيخ الى ذلك مستشهدا بخطاب الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حول صبر الامام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

(التضحية بالمصالح الخاصة من أجل وحدة الأمة ومصالحها العليا، قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (أما بعد فإن الله اصطفى محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره برسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وكنا أهله وأوليائه وأوصيائه وورثته، وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه).^(١)

وفيما يلي نستعرض قبسات من سيرة الامام علي و تعميما للفائدة من اجل الاقتداء به في المواقف الوجدانية، فعلى الرغم من أحقيته بالخلافة الا انه لم تسعفه الظروف لتسلم زمام الأمور، وقد كان الواقع الموضوعي يتمثل في تصدي غيره في ظروف نحن في غنى عن ذكرها، وأمام هذا الواقع بين أحقيته بالخلافة بأسلوب هادئ وبحوار موضوعي، وحينما وجد أن الظروف غير مؤاتية كان موقفه الوجداني حفاظا على الدين ودولته الفتية، فقال: (ان الله لما قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالامر ودفعتنا عن حق نحن احق به من الناس كافة، فرأيت أن الصبر على ذلك افضل من تفريق كلمة

(١) خطاب المرحلة ٣٥١.

المسلمين وسفك دمائهم والناس حديثوا عهد بالإسلام والدين يمحض
محض الوطب يفسده أدنى وهن ويعكسه اقل خلف).^(١)

وحول بيعته قال: (فامسكت يدي حتى رأيت راجعة من الناس قد
رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين الله وملة محمد... فمشيت عند
ذلك إلى أبي بكر فبايعته).^(٢)

وحينما عرض عليه ابو سفيان النصره اجابه: (طالما غششت الإسلام
وأهله فما ضررتهم شيئاً لا حاجة لنا إلى خيلك ورجالك).^(٣)

وحينما سمع بشعر عتبة بن ابي لهب الذي يتطرق الى أحداث صرف
الخلافة عن الامام علي (عليه السلام) وينتقد الخليفة بعث اليه وامره أن لا يعود
وقال له: (سلامة الدين احب الينا من غيره).^(٤)

وحينما طلب منه العباس بن عبد المطلب عدم الدخول في الشورى
التي رتبها الخليفة الثاني أجابه الامام ع بالقول: (إني اكره الخلاف).^(٥)

وخاطب أهل الشوري بعد إختيار عثمان خليفة: (لقد علمتم إنني احق
بها من غيري ووالله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جور الا
علي خاصة).^(٦)

(١) شرح نهج البلاغة ١: ٣٠٨.

(٢) المصدر السابق ٦: ٩٥.

(٣) المصدر السابق ٢: ٤٥.

(٤) الاخبار الموفقيات: ٥٨١.

(٥) الكامل في التاريخ: ٣: ٦٦.

(٦) شرح نهج البلاغة ٦.

الخامس: التأكيد على القواسم المشتركة

الوحدة الإسلامية ليست كلمة تقال أو الفاظا تطلق، فلا جدوى للكلام ولا معول على الألفاظ ما لم تترجم إلى واقع عملي وممارسات متجسدة في الواقع؛ لتكون حركة دائمة متصلة بالغايات والأهداف الواحدة، ومتجهة نحوها بوعي وإخلاص، لتتمثل فكرا في العقول وعاطفة في القلوب وحركة في الواقع، وتصبح أساسا للتطلعات والطموحات والآمال.

أن المنهج الإسلامي سعى إلى جعل العلاقات والروابط بين المسلمين قائمة على أساس العقيدة، فهي المقياس والمعيار، لتكون صلة الحب والتجاذب الروحي والمودة تنطلق من منطلقات عقائدية حاکمة على جميع الصلات والتجاذبات فلم يسقط غيرها وإنما جعلها في حدودها الجزئية التي لا تؤثر على الصلات والتجاذبات المنبعثة والمنطلقة من العقيدة الواحدة والمصالح الواحدة والمصير الواحد، فقد جعل الحب في الله والبغض في الله هو الحاكم على جميع ألوان ومظاهر العواطف، وجعله من أوثق دعائم الإيمان فقال: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله).^(١)

وقد تطرق سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) إلى التركيز أو التجمع

حول القواسم المشتركة فقال:

(المحافظة على الوحدة ونبذ الخلاف والتأكيد على القواسم المشتركة التي تجمعنا وهي كثيرة، أما الجزئيات المختلف فيها فيحتفظ بها كل واحد

(١) مستدرک الوسائل ٢: ٦٨.

لنفسه، وقطع الطريق أمام كل من يحاول بذر الفتنة وشق عصا المسلمين).^(١)
 والوحدة لا تتحقق الا بالتجمع والتمحور حول المحاور المشتركة
 وكذلك باتحاد الطبقات والقوى لانها هي التي تكوّن المجتمع أو الامة
 وخصوصا الطبقات والقوى الفعالة والمؤثرة على بقية الطبقات وبالاخص
 منهم علماء الدين، ولهذا دعا سماحة الشيخ الى المحافظة على وحدة
 الحوزة والمجتمع والتركيز على القواسم المشتركة فقال:^(٢)
 (المحافظة على وحدة الحوزة والمجتمع وعدم التركيز على نقاط
 الخلاف فإنها مهما تكن لا تصل إلى أهمية القواسم المشتركة الكثيرة التي
 تجمعنا، فهل من المعقول أن نفرق بسبب نقطة واحدة وبيننا نقطة مشتركة
 وهم يجتمعون على نقطة واحدة وبينهم نقطة اختلاف، فبأي مقياس نقبل
 هذا، إنها معادلة مؤلمة ومقرحة للقلوب).^(٣)

السادس: مراعاة التعددية وتهذيب المنطلقات العنصرية

من السنن التاريخية التي لا تختلف ولا تتخلف أن الإنسان يختلف مع أخيه
 الإنسان في مختلف القضايا وعلى جميع المستويات الفكرية والسلوكية
 والولاءات العاطفية، وهذه حقيقة موضوعية لا تقبل الجدل، فالإنسان
 بغرائزه وطاقاته العقلية والنفسية وامكاناته الروحية والمادية يختلف عن
 غيره من بني الإنسان، ومن هنا تعددت الانتماءات الإسلامية في جميع

(١) خطاب المرحلة ٢.

(٢) موفق مجيد وايوب احمد الموسوي، تأصيل الرشد الاسلامي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧،

ص ٦٦

(٣) موقع سماحة المرجع الشيخ محمد اليقوي (دام ظله)

مراحل المسيرة، فرعاة الامة يختلفون في كثير من الأمور النظرية والعملية في تصورهم للأوضاع والأحداث وفي تقييمهم للأشخاص والوجودات وفي اساليب العمل في المواقف الإصلاحية والتغيرية، والرعية تختلف أيضا في قناعاتها الفكرية والعاطفية والسلوكية وان كانت تنتمي إلى عقيدة واحدة أو مذهب احد، فانها تنتمي أيضا إلى محاور ثانوية تتوزع على ولاءات جانبية يفرضها الواقع الانتماء الأسري والقبلي والوطني والقومي، والانتماءات متعددة بتعدد الأفراد وهي حالة صحية أن كان الإسلام بمفاهيمه وقيمه هو الحاكم على السلوك والمواقف والممارسات، ومن العقل والمسؤولية الشرعية أن تبقى التعددية في الولاء والانتماء في حدودها الايجابية التي تخلق أجواء المنافسة المشروعة في إنجاح الأعمال والممارسات والتحرك ضمن الأفق الواسع للوصول إلى الأهداف الكبرى.

ينبغي الاعتراف بأن الاختلاف سواء كان بسيطا أو كبيرا هو جزء من أي علاقة، ومن المهم عدم تعليق أهمية كبيرة على ماهية الاختلاف بل الاهتمام بطريقة احتوائه، فالتعدد من الأمور الواقعية لذا فان سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظلّه) يرى ضرورة وحدة الموقف تجاه القضايا المصيرية مع ابقاء التعددية النظرية:

(وحدة الصف بازاء القضايا المصيرية وإن تعددت الرؤي وأختلفت المناهج فإن هذا أمر طبيعي مادام هناك عقل يفكر ويقتنع بما يتوصل اليه ولكن يجب أن ننظر إلى هذا التعدد على أنه حالة ايجابية باعتبار تنويعه لآليات العمل التي تصب في الهدف الواحد لتمكن من استيعاب كل

شرائح المجتمع ذي القناعات المتعددة).^(١)

فان الحق لا بد وأن ينتصر في النهاية على الباطل وان طال الامد، والله ينصر من ينصره انه قوى عزيز. لكن الوصول إلى الغاية المنشودة لا يتم لا بالدعوة إلى الجهاد المتتابع المتواصل، والعمل على اعادة مناهج الاسلام ومعالمه إلى واقع حياة الامة الاسلامية. وذلك لا يتم الا باشتراك الباحثين والكتاب المسلمين ومفكريهم ومصالحهم للتداول حول المشاكل القائمة وعلاجها، وعرض مفاهيم الاسلام وأساليبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها على ابناء امتهم سيما الفتيان والفتيات، حتى لا ينخدع الجاهل منهم بالمبادئ الكافرة والنظم المستوردة. ويجب عليهم ايضا دعوة الطوائف الاسلامية إلى التجاوب والتفاهم وتوحيد الصفوف ورفض العصبية الطائفية وما يوجب التباغض والتباعد، فقد جربنا مرارة الاختلاف والتفرقة وسوء الظن ورمى بعضنا بعضا بالكفر والشرك.^(٢)

(١) موقع سماحة المرجع الشيخ محمد اليقوي (دام ظلّه)

(٢) موفق مجيد و ايوب احمد الموسوي، تأصيل الرشد الاسلامي، نشر دار القارئ، ٢٠١٧،

المحتويات

مقدمة من الدكتور عبدالوهاب الفراتي	٥
المقدمة	١١
الفصل الاول المفاهيم و خصائص الفكر السياسي للمرجع اليعقوبي	١٤
المطلب الأول مصطلحات ومفاهيم مهمة في السياسة والعمل الاسلامي	١٧
١- الحكومة	١٧
٢-السلطة	٢٠
المطلب الثاني	٢٢
خصائص النظام السياسي الاسلامي في فكر المرجع اليعقوبي	٢٢
أولاً: المرجعية وبناء النظام المتناسب مع التطور الحضاري	٢٢
ثانياً: المرجعية وممارسة الانتخابات	٢٤
ثالثاً: المرجعية والقانون الوضعي	٢٥
رابعاً: المرجعية ومبادئ الديمقراطية	٢٧
خامساً: المرجعية وحرية الرأي العام	٢٨
سادساً: المرجعية والأحزاب السياسية	٢٨
سابعاً: المرجعية ومنظمات المجتمع المدني	٢٩
ثامناً: المرجعية ومبدأ حقوق الإنسان	٣٠
تاسعاً: حقوق المرأة في الإسلام	٣١
عاشراً: التنوع في الآراء و المعارضة الايجابية في الحكم	٣١
الحادي عشر: المبادئ الثابتة والمتغيرة في السياسة	٣٢

- الثاني عشر: أصول ومظاهر الشفافية ودورها في العمل السياسي ٣٢
- المطلب الثالث بناء السلطة في فكر المرجع اليعقوبي ٤٧
- أولاً: المرجعية وتقديم الأفكار الاصلاحية ٤٧
- ثانياً: المرجعية وتقويم اعمال السلطة ٥٧
- ثالثاً: المرجعية و تصحيح مسار السلطة ٦٣
- الفصل الثاني قواعد النظام السياسي في الاسلام من منظور فقهاء الشيعة .. ٧٠
- المطلب الاول: الخطاب السياسي الشيعي ٧٢
- المطلب الثاني: تاريخ السياسة والعمل السياسي الإسلامي ٧٥
- أولاً: تاريخ تدوين الفقه السياسي ٧٥
- ثانياً: العمل الإسلامي السياسي ٨٢
- المطلب الثالث: قواعد النظام السياسي الإسلامي المعاصر ٩٢
- أولاً: مفهوم السلطة في الفكر السياسي المعاصر ٩٣
- الاتجاه الثاني: تعيين الإمام ١٠٩
- الاتجاه الثالث: انتخاب الإمام ١١٧
- المطلب الرابع: ولاية الفقيه في فكر الشيخ محمد اليعقوبي ١١٩
- ثانياً: ادلة وجوب تمكين ومساعدة الفقيه علي ادارة شؤون الأمة ١٣٦
- الدليل الثاني: السنة ١٤١
- الدليل الثالث: العقل ١٤٣
- الدليل الرابع : الاجماع ١٤٣
- ثالثاً: شروط الولاية العامة للفقيه عند الشيخ اليعقوبي ١٤٦
- المراد من الأمة ودور إرادتها؟ ١٤٨

- رابعاً: حدود ولاية الفقيه والاطر العامة عند الشيخ اليقوبي ١٤٩
- خامساً: شروط أعمال الولاية ١٥٠
- سادساً: موانع أعمال الولاية ١٥١
- الفصل الثالث الديمقراطية في منظور المرجع الديني الشيخ محمد اليقوبي ١٥٥
- المطلب الأول: مقومات الديمقراطية ١٦٢
- المقوم الاول ..الانتخابات ١٦٣
- المقوم الثاني القانون ١٧٢
- المقوم الثالث الاحزاب ١٧٦
- المطلب الثاني: مفهوم الدولة عند المرجع اليقوبي ١٨٢
- اولاً: مكانة الدولة في الاسلام ١٨٣
- ثانياً: ضرورة وجود الدولة ١٨٨
- ثالثاً: الشخصية المعنوية للدولة ١٩١
- رابعاً: الهدف من تشكيل الدولة ١٩٢
- المطلب الثالث: الحقوق عند المرجع الديني الشيخ محمد اليقوبي ٢١٣
- اولاً: حقوق الإنسان ٢١٥
- ج: حقوق الأقليات الدينية ٢٢٩
- ثانياً: المرجعية ومتابعة حقوق المواطنين ٢٣٣
- المطلب الثالث: الحريات عند المرجع الديني الشيخ محمد اليقوبي ٢٣٦
- ثانياً: حرية التعبير ٢٤١
- ثالثاً: حرية الإعلام ٢٤٥

- عوامل رفع الوعي في الاعلام..... ٢٤٩
- السلبات الملاحظة في الاعلام..... ٢٥١
- الفصل الرابع العلاقات الخارجية والوحدة الاسلامية والتقريب في فكر
المرجع الشيخ محمد اليعقوبي..... ٢٥٣
- المطلب الاول: مبادئ العلاقات الدولية في الاسلام..... ٢٥٣
- المطلب الثاني: الوحدة والتقريب بين المذاهب الاسلامية..... ٢٥٦
- اولاً: الوحدة وأهميتها في فكر المرجعية..... ٢٥٨
- ثانياً: أسباب وعوامل الفرقة..... ٢٦١
- المطلب الثالث: الفرقة والتمزق وآثارها السلبية..... ٢٧٩
- المطلب الرابع: علاج الفرقة وسبل التخلص منها..... ٢٨٥
- الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية عامة..... ٢٨٦
- الثاني: طاعة القيادة الربانية..... ٢٨٧
- الثالث: احياء الايام المباركة الموحدة..... ٢٨٨
- الرابع: التضحية بالمصالح الخاصة من اجل العامة..... ٢٩٠
- المحتويات..... ٢٩٨